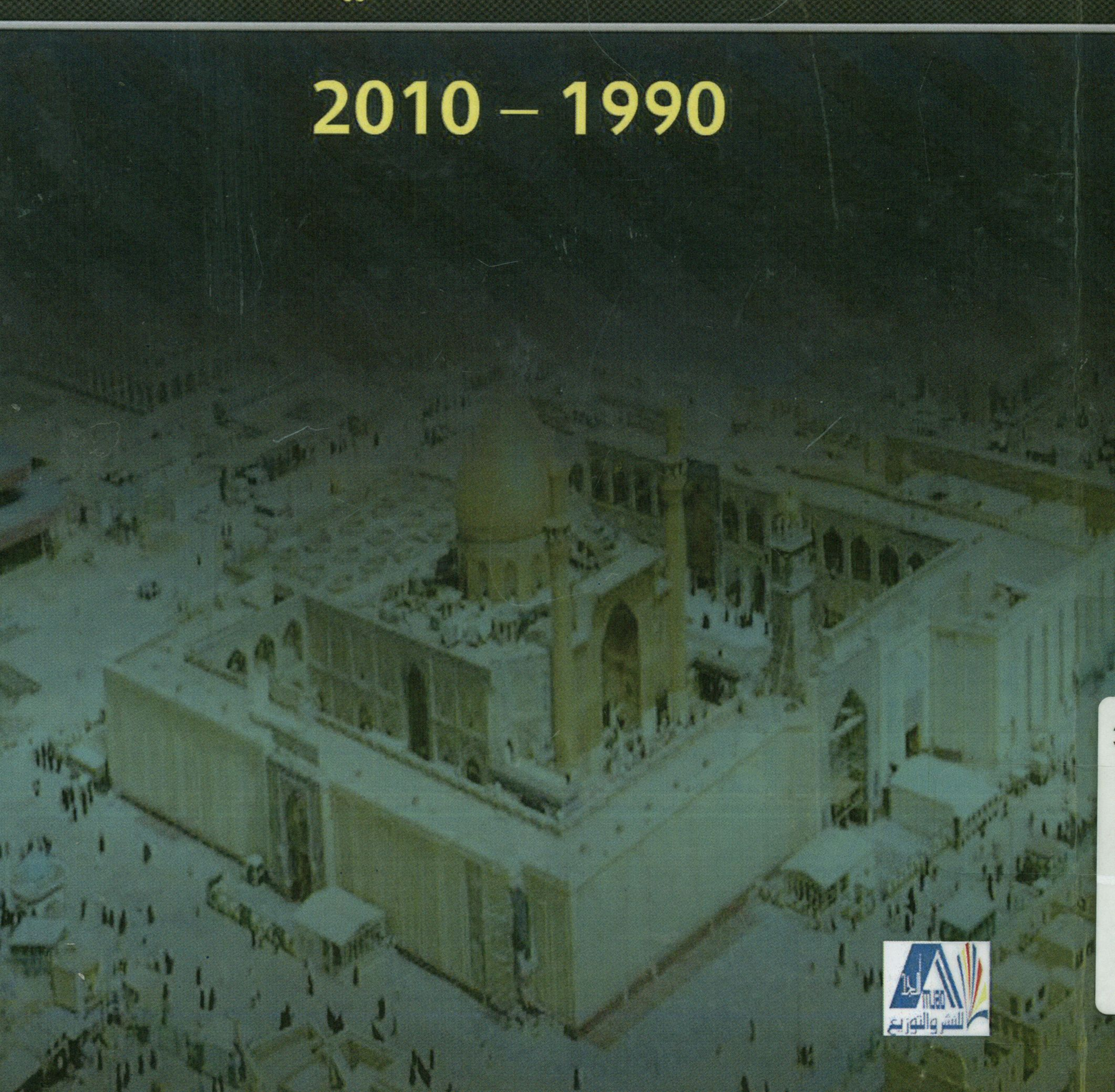
الدكتور علي صبيح التميمي

الدور السياسي للمؤسسة الدينية في العراق

1990 - 2010



الدور السياسي

للمؤسسة الدينية في العراق

2010 – 1990

الدور السياسي
للمؤسسة الدينية في العراق
1990 – 2010

الدكتور علي صبيح التميمي

الطبعة الأولى
2016م



دار امجد للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2015/7/3333)

320.9563

التميمي ، علي صبيح .

الدور السياسي للمؤسسة الدينية في العراق 1990 - 2010/ علي صبيح التميمي ، عمان ، دار أمجد للنشر والتوزيع،2015.

( ) ص

ر.إ: 2015/7/3333

الواصفات:/ المؤسسات الدينية // العراق // الأحوال السياسية

ردمك :ISBN:978-9957-99- 201 -9



دار أمجد للنشر والتوزيع

جوال :
٠٠٩٦٢٧٩٦٩١٤٦٣٣
٠٠٩٦٢٧٩٩٢٩١٧٠٢
٠٠٩٦٢٧٩٩٦٨٠٣٦٧٠

هاتف :٤٦٥٢٣٧٧٢ ٠٠٩٦٢٦

فاكس:٤٦٥٢٣٧٧٢ ٠٠٩٦٢٦

dar.almajd@hotmail.com

dar.amjad2014dp@yahoo.com

عمان - الأردن - وسط البلد- مجمع الفحيص - الطابق الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

((لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ
وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ))

صدق الله العظيم

(سورة المائدة – الآية 77)

المحتويات

المقدمة

ظهرت المؤسسة الدينية في العراق كلاعبٍ سياسي مؤثر يحسب له حساب بعد أن دخلت القوات العسكرية العراقية للكويت في 2 / 8 / 1990 وانهزام الجيش العراقي على يد قوات التحالف الدولي 25 / 1 / 1991 .. عبر مشاركتها الخجولة في أحداث الانتفاضة الشعبانية التي كادت أن تطيح بالنظام الحاكم ..

هذه الخطوة وضعت المؤسسة الدينية في مواجهة مع النظام الحاكم الذي دعمته الولايات المتحدة حتى بعد تحديه واعتدائه على منطقة نفوذها (الكويت) بدفع من الدول المجاورة للعراق وذلك للحيلولة دون قيام دولة شيعية في العراق العربي على غرار ما حصل في إيران الشاه (1979) .

يحاول الكتاب الخوض في استكشاف مشكلة الدور السياسي للمؤسسة الدينية .. هي لا تريد أن تحكم العراق على غرار الجارة إيران ولا تريد أن تتدخل في تأييد شخص دون آخر .. و هي لا تؤمن بولاية الفقيه المعمول بها في إيران .. و لكنها تتدخل في رسم سياسة الدولة و في صياغة الدستور و في الانتخابات المحلية و البرلمانية .. على الرغم من إعلانها عدم التدخل ..

أن السبب الذي دفعني إلى دراسة هذا الموضوع بالذات دون غيره يرجع بالدرجة الأساس للرغبة الشديدة في التعمق في دراسة أدوار المؤسسة وكشف المضامين الحقيقية لهذه الأدوار .. مضافاً إلى ذلك قلة من كتب في هكذا دراسات ، بحيادية ، كما ركزنا في كتابنا على المؤسسة الدينية الشيعية دون التعرض للمؤسسة الدينية السنية في العراق لان الأخيرة تأسست بعد احتلال العراق 2003، فهي خارج نطاق البحث.

إن الكتاب ذو أهمية في مجالي التاريخ السياسي للعراق والفكر السياسي الإسلامي المعاصر ولذلك فقد انتهجنا المنهج التحليلي لدراسة الموضوع قيد البحث، كما يتابع الكتاب مفاصل عديدة لمدة زمنية محددة الخصائص والعوامل والشخصيات، التي ساهمت في إرساء قواعد المؤسسة الدينية في ظل تحولات خطيرة وكبيرة عاشها العراق وأدخلته في ظروف الحصار والجوع والقمع الداخلي المتزايد ..

لم يكن أحد يحسب أن المؤسسة الدينية ستخلق ظاهرة تحول كبيرة وستقود جهداً تغييرياً للواقع العراقي .. ومن ثم توجد أنماطاً جديدة من علاقة المرجع بالسياسة وعلاقته بالسلطة ..

أن ظهور الصدر الثاني في الساحة العراقية كفقيه سياسي ومرجع ديني حاول إرساء روابط جديدة مع الأمة العراقية وإصلاحاً حوزوياً واجتماعياً بالشكل الذي حصل ، بالإضافة إلى ذلك ، تكتشف آليات تواصل ومنظومة مفاهيمية لم تكن موجودة لتشكل إبداعاً ذاتياً وخصوصيات لتجربة مرجعيته .. أضافت إلى تجارب الفقيه الشيعي عبر التأريخ الثوري إضافات معرفية واضحة معززة بسلوكية ثورية وخيار فقهي استشهادي له خصوصية ووضوح ..

يهدف الكتاب إلى إبراز الحقائق وتسليط الضوء على أهداف المؤسسة ومجالات عملها وتصنيفها من ضمن المؤسسات الاجتماعية وإبراز دورها في مجال التنشئة الاجتماعية والسياسية .. وعلاقة المؤسسة الدينية بالمؤسسات الأخرى المدنية والحكومية ..

كما يحاول الكتاب الإجابة عن عدة أسئلة هي :-

1- ما هو وضع المؤسسة الدينية قياسا إلى المؤسسات الأخرى ؟

2- ما هي تداعيات التغيير والإصلاح في المرجعية الدينية ؟

3- على ماذا تستند في ديمومتها ؟

4- ما مدى صلاحياتها ؟

5- هل تتأثر أو العكس بمثيلاتها في دول الجوار ؟

6- هل لها اهتمامات دولية ؟

7- ما علاقة الدين بالسياسة ؟

8- ما معنى الفقيه السياسي وعلاقة الفقيه بالسلطة ؟

9- ما هو الموقف الرسمي للسلطة إزاء المؤسسة الدينية في الحقبتين المختلفتين ؟

10- ما علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالأحداث التي حصلت وطرفها كانت الحوزة العلمية أو احد رجالها .. ؟

يتكون الكتاب من مقدمة وأربعة فصول كل فصل ينقسم إلى مباحث ثلاثة .. ومقدمة تمهيدية مهمة جدا. وخاتمة واستنتاجات ورؤية مستقبلية للمؤسسة الدينية في العراق الجديد .

يتناول الفصل الأول القاعدة والصلاحيات للمؤسسة الدينية بثلاثة مباحث مع مقدمة تمهيدية تتناول المفاهيم التي سيتناولها البحث ..

المبحث الأول يتناول بالدراسة والتحليل ظهور المؤسسة الدينية على الساحة السياسية العراقية والمتغيّرات السياسية التي سمحت لها بالظهور بعد أن كانت منشغلة بالدراسات الفقهية والإرشاد .. مبتعدة عن أي عمل سياسي أو اجتماعي .. مروراً بمراحل نشوء المؤسسة الدينية وما هي صلاحيات وأهداف المؤسسة وتبيان الجهاز التنظيمي والإداري للمؤسسة الدينية ، وبيان آراء المدافعين والمعارضين لعملية مأسسة المرجعية الدينية في النجف الأشرف .

بينما يتناول المبحث الثاني أهم الشخصيات التي لها تأثير في المؤسسة الدينية والتي كان عملها سياسيا على الرغم من الظروف الصعبة المتمثلة بوجود سلطة جائرة متطرّفة ..

ووجود معارضة من داخل المؤسسة تتجنّب العمل السياسي .. ثم التطرق إلى رأي السيد الخوئي في الجهاد ، وتطور المؤسسة الدينية في عهده والتطرق إلى العهد الجديد الذي مرت به المؤسسة أبان ظهور السيد محمد صادق الصدر وبيان مواقف السيد السيستاني وبيان الخدمات الاجتماعية التي يقدمها مكتب سماحته ...

يتناول المبحث الثالث تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ودراسة النظريات السياسية الثلاث ، الشورى ، والديمقراطية ، وولاية الفقيه ، باختصار .

أما الفصل الثاني فيتناول حقبة مهمة في تاريخ العراق السياسي ويعد خروج على مبدأ التقية الذي هو احد مبادئ الفكر السياسي الشيعي .. أحداث الانتفاضة الشعبانية 1991.. ودور المؤسسة الدينية فيه قبل الانتفاضة و أثنائها وبعدها حيث يعد هذا الفصل المفترق الحقيقي في المواقف الوطنية والدينية والشخصيات التي برزت في هذه الحقبة الحرجة من تاريخ العراق السياسي ..

يناقش المبحث الأول علاقة المؤسسة الدينية ودورها في قيام الانتفاضة ضد النظام السياسي ... فيما يتناول المبحث الثاني الدور الإعلامي للمؤسسة الدينية ومدى فاعليته من عدمه على الوسط المدني والعسكري أبان الانتفاضة الشعبانية ..

المبحث الثالث يناقش الدور السياسي للمؤسسة الدينية من الناحية الفكرية والعملية أبان الانتفاضة الشعبانية ..

أما الفصل الثالث فهو المفصل الرئيسي الذي يعد نقلة حقيقية بالأدوار الرئيسة لزعماء المؤسسة الدينية .. خاصة بروز دور الصدر الثاني وحشد القوة البشرية حوله من خلال خطب الجمعة وتوجيهاته لوكلائه بالاتصال بجميع زعماء العشائر وعلاقته المتدهورة مع أقطاب المؤسسة الدينية مما أدى إلى انشطار في المؤسسة الدينية لازال إلى اليوم موجوداً مما ولد صراعاً ليس خفياً حتى ظهر إلى الشارع بعلنية تامة ..

يحاول المبحث الأول تسليط الضوء على النشاط السياسي للمؤسسة الدينية بين عامي 1991 حتى سقوط النظام 2003 والأحداث المهمة التي حصلت ما بين هذه الأعوام .. أنها سنيّ جوع شعبٍ بقرارٍ أممي وانتهاك لحقوق الإنسان بصمتٍ أممي وعنف لا مسبوق بمرأى من الجميع والمؤسسة منقسمة في الرد على هذه الفظائع اللاإنسانية ..

يُسَلّط الضوء في المبحث الثاني على النشاط الديني للحقبة الزمنية نفسها مع محاولة المقارنة بين جدية العمل الميداني لزعماء المرحلة في المؤسسة الدينية في العراق.

يركّز المبحث الثالث على مبدأ المشروعية في القيادة الدينية ويناقش أصالتها وطبيعة ارتباطها بالأمة .

الفصل الرابع .. يتناول بالدراسة والتحليل الموضوع الحقيقي الّذي هدف إليه الكتاب لإيجاد التطابق والتناقض بين مدتين زمنيتين عاشتها المؤسسة الدينية قبل وبعد الاحتلال وما علاقة المؤسسة الدينية بالمحتل .. وكيف تعاطت المؤسسة مع الأحداث الجسام التي حدثت بعد الاحتلال وما هو (الدور الديني لها) الواجب عليها اتخاذه وكيف سيّرت الأمور وما موقفها من الحداثة والعولمة التي هجمت على جميع مفاصل الحياة العراقية .. ما موقفها من الديمقراطية .. والتعددية الحزبية والانتخابات والحكومة الجديدة .. والبرلمان كسلطة تشريعية .. فما وظيفتها في العراق الجديد .. ؟

يناقش المبحث الأول موضوع القيادة والقائد بطريقة فكرية اعتماداً على آراء أساتذة الإدارة العامة وأخصائي علم النفس الاجتماعي وعلم النفس السياسي مع إبراز مقومات القيادة الناجحة وبيان أهمية القيادة في المجتمع ، مروراً بأهم النظريات التي درست القيادة كمفهوم وظاهرة في حياة المجتمع .

المبحث الثاني يناقش بدقة موضوعة القيادة الدينية وركائزها العامة ، من خلال آراء المفكرين الشيعة مروراً بمواصفات القائد الديني السياسي ، كما يناقش البنية الداخلية لقيادة المؤسسة الدينية (الحاشية) .

المبحث الثالث سيركز على دور المؤسسة الدينية في الحكم في العراق الجديد وما آلت إليه الأمور من تدخلها وما هو مستقبل العلاقة بين الحكومة والمؤسسة الدينية .. كما يرّكز على دور المؤسسة الدينية في كتابة الدستور الجديد للعراق وبيان علاقة المؤسسة الدينية بالمحتل ونخلص بالنتيجة إلى الدور الرئيس والمحوري للمؤسسة الدينية وتدخلها في مفاصل الحياة السياسية في العراق ، مع خاتمة تحليلية .

المؤلف

2011/7/15

الفصل الأول
المؤسسة الدينية
القاعدة والصلاحيات

- المبحث الاول/ ظهور المؤسسة الدينية
- المبحث الثاني/ شخصيات المؤسسة الدينية
- المبحث الثالث/ تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

مدخل

يبدو للوهلة الأولى أنه من الصعب تبيان صفة المؤسسة الدينية عن المرجعية الدينية في النجف الأشرف وذلك ينبع من :-

أولاً : إن مصطلح المؤسسة ذاته ليس دقيقاً في توصيف الوجود العلمائي أو توصيف تلك المجموعة مما يسمى (رجال الدين) الذين يدرسون المواد الدينية المتعارفة من فقه وأصول ولغة ومنطق وفلسفة ومواد أخرى ، وما تخضع له من مناهج تدريس متغايرة، ومن طرق مختلفة في الإدارة ، وشكل تكويناتهم المتعددة ، فيما يخص الطلبة ، فكل مجموعة من الطلبة تلتف حول رمز مرجعي ، وتتداخل هذه المجاميع مع غيرها في الدرس ، واستلام الرواتب ، وتوزيعها ، فمثل هذا الوجود لا ينطبق عليه مصطلح المؤسسة .

فالمؤسسة تمتاز بضوابط ونظام وإدارة وغيرها، ولذلك يطلق على هذا الوجود الحوزة العلمية أو المرجعية الدينية أو المؤسسة الدينية مجازاً[1]، وعليه يمكن تعريف المؤسسة على أنها مجموعة الأحكام والقوانين الثابتة التي تحدد السلوك والعلاقات الاجتماعية في المجتمع.

وتتميز المؤسسة في إطار الرؤية الإسلامية بالمميزات التالية :

1- ارتباطها بعقيدة معينة، وتبني نظمها وقاعدتها الفكرية وفق هذه العقيدة .

2- التركيز على المبدأ والقيمة كونهما يشكلان الجوهر الثابت .

3- التمييز بين ما هو ثابت وما هو متغير . وهذا التمييز هو من صلب الأصول الإسلامية ، فالقرآن الكريم اشتمل على آيات كثيرة توضح أهداف ومبادئ الدولة

[1] - علي محمد تركي ، رجل الدين وإستراتيجية تحول الدور ، حميد الهاشمي في hashimi@mailicty.com ؛ محمد حسين فضل الله ، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية ، تأليف سليم الحسني ، مطبعة صدر ، بيروت ، 1993 ، ط 1 ، ص 67 .

الإسلامية بمختلف مؤسساتها، إلى جانب ما ورد في السنة من مبادئ وقواعد للمعاملات والعلاقات الاجتماعية، وخلق الأسس التنظيمية للدولة ومواكبتها لتطورات الظروف السائدة .

كما تتسم المؤسسة في الإسلام بمجموعة من العناصر ، وهي :

1- الإيمان والتقوى كونهما قواعد أساسية لبناء المؤسسات . فالبناء الذي يؤسس على التقوى هو الأجدر بالبقاء ، حيث قال الحق سبحانه وتعالى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ،أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ،والله لا يهدي القوم الظالمين).

2- تحقيق المقاصد الإسلامية العليا باعتبارها الهدف النهائي من وراء بناء المؤسسات.

3- الوسائل التي تحقق أهداف المؤسسات. ومن مجموع هذه العناصر الثلاثة، تتبين لنا الرؤية الإسلامية للمؤسسة على أنها بناء يسعى لتحقيق المقاصد الشرعية العليا، والتوافق مع ظروف المجتمع ، مما يعني تفاعل الشريعة مع الواقع بالرغم من أنه قد ينظر إلى المؤسسة وليدة الفكر والهيكل ، وبأن نمو المؤبسات ناتج عن السلوك الشعبي للتغيير ، والذي يتحول إلى عادات اجتماعية لا تلبث أن تتحول إلى عرف اجتماعي ، ثم تتحول إلى أحكام وقوانين ثابتة تفسر طابع المؤسسة الدينية.

ثانياً : أن رموز النجف الدينية (المراجع) كل واحد منهم يعد نفسه أحق بالمرجعية العليا (كزعامة) من غيره .

إن مصطلح المرجعية الدينية هو الأكثر شيوعاً من غيره ، لكن مصطلح المؤسسة الدينية يستخدم بكثرة للتعبير عنها ، على الرغم من عدم انطباقه على واقع هذا الوجود ، على الرغم من عدم علميته فالقائم من أشكال هذا الوجود في مدينة النجف الأشرف أو مدينة

كربلاء المقدسة ليس مؤسسة حقيقية ، إنما هو يشبه المؤسسات الصغيرة المتداخلة حيناً ، والمتضادة حيناً آخر ، وفي كل شيء[2] .

ولكن ومع كل ذلك فإن ما يمكن أن نطلق عليه مجازاً في هذا الكتاب بالمؤسسة الدينية يمكن أن يخدم البحث الذي نحن بصدده من حيث الإحاطة الشاملة بالمحور الذي نخوض فيه وبالخصوص، فعالية المؤسسة الدينية ، ومخاضها الداخلي ، بين القديم والجديد (الخط التقليدي والخط التجديدي) والعلاقة بين هذين الخطين ، أو التناقضات التي حكمتها خلال المدة التي نتحدث عنها .

فقد ازدادت خطورة المنعطف الكبير في خطوط المرجعية الدينية في العراق أيام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (توفي 1992)[3] وبات واضحاً ، ظهور الخط التجديدي في

---

[2] - للمزيد راجع حسين بركة الشامي ، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة ، دار السلام ، بغداد ، ط 3 ، 2006 .

[3] - وهو أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي (1899-1992) هو مرجع دين شيعي إيراني سابق، كان يتزعم الحوزة العلمية بمدينة النجف بالعراق، وكان مرجعا وزعيما لملايين الشيعة الاثني عشرية في العراق وإيران والخليج وغيرها من المناطق. ترأس الحوزة العلمية في أشد مراحلها حساسية منذ تأسيسها عام 449هـ على يد الشيخ الطوسي ، لم تتعرض الحوزة لمثل هذه المرحلة من تأسيسها أبدا، استلم الرئاسة في فترة نظام الحكم البعثي ، ووقت الثورة الإسلامية في إيران ،مما جعل النظام البعثي يحس بالخطر المباشر من هذه الثورة، طالبت السلطة من السيد أن يصدر فتوى يعارض فيها ثورة الخميني ،ولكن نتيجة لرفضه تعرض لكثير من المضايقات على يد النظام البعثي، وفي عام 1980 م عمدت السلطة إلى تفجير السيارة التي كان يتنقل بها السيد إلى مسجد الخضراء ، ولكن نجا من حادث الانفجار بأعجوبة بالغة ،إضافة لاغتيال العديد من طلاب العلم من النجف وتسفير الغير عراقي إلى بلاده، وعلى رأسهم محمد باقر الصدر الذي اغتيل في عام 1980 م لمعارضته لنظام حزب البعث. ويرجع نسب الخوئي إلى السيد إبراهيم المجاب (دفين الروضة الحسينية الشريفة) بن السيد محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

المؤسسة الدينية في العراق[4] . لينعكس بعد ذلك انفراداً لخط المرجعية التقليدي في الساحة العراقية لضبطها وفق منهج ناتج عن حسابات تجاه إيران الإسلامية ، مما زاد التمسك بشكل أكبر من قبل الجميع بالخط التقليدي للمرجعية الدينية في مدينة النجف الأشرف ، ما عدا إيران[5] .

أساتذته: من أساتذته في مرحلة السطوح..1-علي الكازروني ودرس عنده كتاب كفاية الأصول ج/1 ..2- محمود الشيرازي ودرس عنده كفاية الأصول ج/2.. 3- شيخ الشريعة الأصفهاني ..4- مهدي المازندراي..5-ضياء الدين العراقي..6- محمد حسين الغروي الأصفهاني.. 7- محمد حسين النائيني.. ومن أبرز تلامذته..1-علي السيستاني 2-محمد سعيد الحكيم .3- شمس الدين الواعظي. 4- بشير حسين النجفي5- مرتضى البروجردي. 6- علي الغروي.7- علي الفلسفي.8- علي البهشتي.9- جواد التبريزي.10- حسين وحيد الخراساني.11- صادق الحسيني الروحاني.12- تقي القمي.13-مجتبى الشيرازي.14- ميرزا يوسف الايرواني.15- محمد رضا الخلخالي.16- محمد آصف المحسني.17- محمد مهدي شمس الدين .18- علاء الدين بحر العلوم.19- محي الدين الغريفي.20- عبد الصاحب الحكيم..

مؤلفاته: 1- أجود التقريرات.2- البيان.3-نفحات الإعجاز.4- مناسك الحج .5- رسالة في اللباس المشكوك.6- توضيح المسائل.7- المسائل المنتخبة . 8- منهاج الصالحين.9- تكملة منهاج الصالحين .10- مباني تكملة المنهاج.11- تعليقة العروة الوثقى ، هذا الكتاب تعليقة على كتاب (العروة الوثقى) لمحمد كاظم الطباطبائي اليزدي ،وفيها بيان لأرائه الفقهية على مسائل الكتاب المذكور..12- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة . موسوعة في علم الرجال تقع في أربع وعشرين مجلدا..

وقد قررت بعض دروسه وأبحاثه بأقلام تلامذته..

[4] - فالح عبد الجبار ، العمامة والأفندي – سيسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني ، ترجمة أحمد حسين ، منشورات الجمل ، بيروت ، 2010 ، ط 1 ، ص 306 .

[5] - فالح عبد الجبار، المصدر السابق ، ص 306.

وباستشهاد السيد محمد باقر الصدر (توفي 1980)[6] فقد تضائل نشاط ووجود الخط التجديدي ، ما عدا القيادات الحركية هنا وهناك . وضعف على مستوى المؤسسة الدينية والشارع في العراق ، ولم يتصور أحد لا من بعيد ولا من قريب أن ولادة أخرى من الممكن

---

[6] - كان السيد محمد باقر الصدر مرجعاً دينياً وقائداً سياسياً ومفكراً وفيلسوفاً إسلاميا ومؤسس حزب الدعوة الإسلامية في العراق ، ولد بمدينة الكاظمية يوم 25 ذو القعدة 1353 ه وقد نشأ يتيما منذ صغره فتكفل به أخوه الأكبر آية الله إسماعيل الصدر الذي اهتم بتعليمه وتدريسه أيضا ، وقد ظهرت علامات النبوغ والذكاء عليه منذ صغره . وقد كان أخواله من العلماء وهم .. محمد رضا آل ياسين، راضي آل ياسين ، مرتضى آل ياسين..

أساتذته: 1- محمد رضا آل ياسين .2- ملا صدر البادكوبي .3- عباس الرميثي.4- أبو القاسم الخوئي.5- الشيخ محمد تقي الجواهري .6- إسماعيل الصدر.

مؤلفاته: 1- غاية الفكر في علم الأصول 2- فدك في التاريخ 3- فلسفتنا 4- اقتصادنا 5- البنك اللاربوي في الإسلام 6- المدرسة الإسلامية 7- المعالم الجديدة للأصول 8- الأسس المنطقية للاستقراء 9- موجز أحكام الحج 10- الفتاوى الواضحة 11- بحوث في شرح العروة الوثقى 12-دروس في علم الأصول 13- بحث حول الولاية 14- بحث حول المهدي 15- تعليقة على رسالة بلغة الراغبين 16- تعليقة على منهاج الصالحين 17- الإسلام يقود الحياة 18- المدرسة القرآنية 19- أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف وللصدر كتب أخرى صادرتها السلطة ..

وفاته: في مساء يوم 9 نيسان 1980 تم إعدامه مع أخته بنت الهدى بالرصاص بأمر من الرئيس العراقي السابق صدام حسين وفي اليوم التالي التاسع لنفس الشهر بحدود الساعة التاسعة ليلا قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مدينة النجف الاشرف وفي ظلام الليل الدامس تسللت مجموعة من قوات الأمن الى بيت محمد صادق الصدر وطلبوا منه الحضور إلى بناية محافظة النجف وكان بانتظاره مدير أمن النجف فقال له :هذه جنازة الصدر و أخته وقد تم إعدامهما وطلب منه أن يذهب معهم للدفن وبعد أن طلب محمد صادق الصدر أن يرى جثتيهما شاهد محمد باقر الصدر مضرجا بدمه وآثار التعذيب على كل مكان من وجهه وكذلك أخته بنت الهدى.

في تلك الظروف أن تكون قريبة ، أو متصورة في ظل أجواء خارجية وداخلية لا تسمح بها إطلاقاً .

إلا أن أحداث 1991 وما تلاها من متغيرات على المستوى الداخلي والتدخل الإقليمي السلبي والإيجابي والموقف الدولي المنحاز فيما بعد للسلطة في العراق ... فقد برز رجل اسمه محمد محمد صادق الصدر ، استطاع أن يعيد الأمل في تجديد وتحديث الحوزة في عجلة سريعة مذهلة .

إلا أن الملفت للنظر ، أنها لم تكن تمثيلاً طبيعياً لمسار الأحداث السابقة لها ، بل إنها جاءت بما يشبه التمرد المنظم على الضغط المنظم ، لمؤسسة النجف الدينية ، مما يوجد وجه تشابه ، لما قام به الصدر الأول بموقفه الاحتجاجي الرافض لواقع المؤسسة الدينية ، والسلطة الحاكمة معاً ، لكن مع الفارق التنظيمي الذي انطوت عليه حركة الصدر الثاني .

إن المؤسسة الدينية في العراق بعد الصدر الأول والثاني تضعنا أمام مشهد آخر يبقى فيه السيد السيستاني مميزا (كمرجع أعلى)[7] ...، إلا انه مشهد تتعدد فيه رموز المرجعية التقليدية،

---

[7] - علي الحسيني السيستاني من مواليد(4 أغسطس 1930 في مشهد) وهو أحد المرجعيات الدينية الشيعية في العراق والعالم ، يعيش في مدينة النجف ،خلف أبو القاسم الخوئي في زعامة حوزة النجف وهي أحد مراكز الدراسات الدينية لدى الشيعة الاثنا عشرية الأصولية..

بدأ علي السيستاني مسيرة تحصيله العلمية وهو في الخامسة من العمر في مدرسة دار التعليم الديني ، وبعدها في عام 1941 بدأ بتوجيه من والده بقراءة المقدمات ،وحضر في المعارف الإلهية دروس الميرزا مهدي الأصفهاني المتوفي 1946 كما حضر بحوث الخارج للميرزا مهدي الاشتياني و الميرزا هاشم القزويني المتوفي 1949 هاجر الى مدينة قم لإكمال دراسته فحضر عند السيد حسين الطباطبائي البروجردي والسيد محمد الحجة الكوهكمري ،وكان حضوره عند الأول في الفقه والأصول وعند الثاني في الفقه فقط .

وفي عام 1951 هاجر من مدينة قم إلى النجف ، فسكن مدرسة البخاراني العلمية وحضر بحوث أبو القاسم الخوئي وحسين الحلي في الفقه والأصول ولازمهما مدة طويلة ، وحضر

من جديد مع صراع داخلي وخارجي ،وليبرز دور المرجعية ، دور جديد في إدارة الصراع الحوزوي ، وإدارة الأموال المهولة ، كأداة تميز هذه الظاهرة.

والنتيجة هي : أنه لا المرجعية العليا مارست دوراً قيادياً لشيعة العراق ، وفق مخططات إستراتيجية دائمية تلائم تحديات الحركة السياسية الداخلية ، ولا هي سمحت لأي شكل من أشكال العلاقة مع السلطة التي ارتآها رموز آخرون ، بل كان استهداف هذه الرموز يأتي من حواشي المرجعية العليا قبل أن يأتي من السلطة ..

إن تراكم الانحراف التاريخي في مسألة القيادة كرس الناحية الفردية لقائد المؤسسة الدينية ، حتى مع غياب هذا النمط القيادي والمؤسساتي فإن تكريس فردانية القيادة لدى رجل الدين ضمن إطار المؤسسة الدينية نراه جلياً في تعدد المرجعيات الدينية وانفصالها التام عن بعضها البعض الآخر ، وهذا أبرز تجلي للفردانية التي اختزلتها التجربة الإسلامية

خلال ذلك أيضا بحوث الإمام الحكيم والسيد الشاهرودي . في عام 1961 عزم على السفر الى موطنه الأصلي ، مشهد.

قام حزب البعث الحاكم في العراق سابقا(1963-2003) بعمليات تسفير واسعة للعلماء، والطلبة الأجانب في حوزة النجف، ولاقى السيستاني عناء بالغاً من جراء ذلك وكاد أن يسفر عدة مرات، أما موقفه من حرب العراق 2003 فتفصيله في الفصل الرابع المبحث الثالث ...مؤلفاته: 1-شرح العروة الوثقى.2-البحوث الأصولية.3-كتاب القضاء. 4-كتاب البيع والخيارات.5-رسالة في اللباس المشكوك فيه.6-رسالة في قاعدة اليد.7-رسالة في صلاة المسافر .8-رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ .9-رسالة في القبلة .10-رسالة في التقية .11-رسالة في قاعدة الإلزام.12-رسالة في الاجتهاد والتقليد .13-رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.14-رسالة في الربا.15-رسالة في حجية مراسيل ابن أبي عمير.16-نقد رسالة تصحيح الأسانيد للاردبيلي.17-شرح مشيخة التهذيبين.18-رسالة في مسالك القدماء في حجية الاخبار. بالإضافة الى مؤلفات مخطوطة أخرى ورسائل عملية في الأحكام للمقلدين...

أبنائه: 1-محمد رضا السيستاني 2-محمد باقر السيستاني.

عموماً ، ولا زال هذا التعدد يمثل أكبر تحدٍ للواقع الشيعي ... ، وبدلاً من أن تؤدي هذه التحديات إلى حلول في إطار المؤسسة الدينية فقد توج بلقب (المرجع الأعلى) لتجلّي أخطر وأشد للجانب الفرداني في المسألة القيادية الإسلامية ، وترسّخ هذا الواقع في وعي المجتمع الشيعي بشكل متوارث ، ودخلت في سياقه عوامل مؤثرة لا علاقة لها بالإسلام ، ولم تلق رفضاً من قبل المجتمع الإسلامي الذي فهم الدين في جزء منه ، و من خلال ما هو قائم لا من خلال أصوله النظرية القرآنية .

المفاهيم والمصطلحات :

المفهوم يضع الباحث على الخط الصحيح لمناقشة مشكلة بحثه وهذا ما دأب عليه الباحثون لذا سنناقش أهم المفاهيم لدراسة البحث(الدور السياسي للمؤسسة الدينية) والمفاهيم هي :-

1- الدّور
2- السياسة
3- المؤبسة
4- الدين
5- الحوزة

1- الدّور Role :-

يعرّف المعجم السياسي الحديث (الدّور) على أنه (أنماط من السلوك ومجموعات المواقف المتوقعة من الأشخاص الذين يحتلون مناصب في هيكل اجتماعي)[8] .

[8] - د. أحمد عطية الله السعيد ، المعجم السياسي الحديث ، بغداد ، شركة بهجة المعرفة، (د.ت) ، ص 399 - 400 .

وهكذا فإن الأدوار السياسية هي السلوك والمواقف المرتبطة بالمواقف السياسية، من مثل زعيم الحزب ورئيس الجمهورية ورجل الدولة المحنك والمحرّض السياسي والوسيط الدولي ، مثل هذه لأدوار ، لاسيما تلك الأدوار التي يحددها جزئياً القانون أو العرف ، ولكنها بوصفها أدواراً تعرف على نحو أكثر عمومية بالمعايير الضمنية[9] .

2-السياسة Policy :-

مجموعات قرارات يتخذها عنصر سياسي أو مجموعة سياسية بشأن اختيار الأهداف المتعلقة بحالة معينة ، وطرائق الحصول عليها ، وينبغي أن تكون هذه القرارات ، من حيث المبدأ ، ضمن قدرة واضع السياسات على تحقيقها"[10] .

إن الوضع المعين يعني التفاعل بين عملية وضع السياسات والبيئات الاجتماعية والطبيعية وهو التفاعل الذي يفرض قيوداً على تحقيق الأهداف وقد يكون عنصر السيطرة من جانب واضع السياسات عن طريق السلطة أو الإقناع أو القسر ولكنه إذا لم يكن موجوداً ، من حيث المبدأ على الأقل ، فليس من غير المناسب استعمال مصطلح السياسة لأن اختيار الأهداف مجرد بيان بالتفصيل أو النية"[11] .

3-المؤسسة Institution :-

وهي (شبكة هياكل وإجراءات وقيم مشتركة في نظام اجتماعي يستمر فترة من الزمن ويعنى بوظيفة اجتماعية أو مجموعة وظائف).[12]

---

9 - المصدر السابق، ص 400.

10 - المصدر نفسه، ص 316.

11 - المصدر نفسه، ص217 - 318.

12 - المصدر نفسه، ص 216.

كما تعني كلمة المؤسسة في علم الاجتماع (مجموعة من الأحكام والقوانين الثابتة التي تحدد السلوك والعلاقات الاجتماعية في المجتمع)[13] .

4- الدين Religion :-

نظام اجتماعي يقوم على وجود موجود أو أكثر أو قوى فوق الطبيعة ويبين العلاقات بين الناس وتلك الموجودات وتحت أي ثقافة معينة تتشكل هذه الفكرة لتصبح نمطاً من أنماط اجتماعية أو تنظيماً اجتماعياً ومثل هذه الأنماط أو النظم تصبح معروفة باسم الدين[14] .

كما يعرّفه علماء اجتماع آخرون بأنه (بمثابة جهاز أو منظومة من الرموز المقدسة)[15].

وهناك علماء اجتماع تحدثوا بدورهم عن الخدمات والمعطيات الاجتماعية للدين دون أن يروا في الدين عنصر خداع وسبب في تخلف المجتمع على عكس آراء كارل ماركس الذي يرى أن الدين إيديولوجية كاذبة[16] . إن الدين يمثل عامل توحيد وانسجام بين أفراد

---

[13] - معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 2006 ، ص 169 .

[14] - د، إبراهيم مدكور ، معجم علم الاجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1975 ، ص 270.

[15] - د، عبد الكريم سروش ، الصراطات المستقيمة ، ترجمة أحمد القبانجي ، دار الفكر الجديد ، النجف ، العراق ، ط 2 ،د.ت، ص 213.

[16] - المصدر نفسه، ص214،.... عاش ماركس بين العامين (1818-1883) وهو ينحدر من اسرة يهودية اعتنقت البروتستانتية ، من الصعب الحديث عن مفهوم ونقد ماركس للدين بدون التطرق في هذا السياق الى فويرباخ الذي شكلت أفكاره أساس نظرة ماركس الى الدين ، ففي الوقت الذي عمل فيه فويرباخ على شرح الدين بالنسبة للإنسان بشكل تجريدي ، يري ماركس الإنسان كجزء من مجموعة بشرية." الانسان ، هو عالم البشر، الدولة، المجتمع. هذه الدولة وهذا المجتمع ينتجون الدين الذي هو وعي مطلق خاطيء لان اسبابه (الدولة والمجتمع) هي

المجتمع ، فالدين عنصر اجتماعي بحت ولا معنى للدين بدون مؤسسة دينية . وتعريف الدين غير ضروري لإيجاد الإيمان بالإسلام والاعتقاد به فمثل هذا الإيمان حاصل مسبقاً ولكنه مهم بالنسبة للبحث .

إن المظاهر الدينية تتجلى عادة بالآداب والمناسك والشعائر التي يلتزم بها المتدينون ، إلا أن ذلك لا يعني أنها كافية لإبراز تعريف الدين فهناك من ركز في تعريفه على الماورائيات ومنهم من ركز على عناصر اجتماعية ودنيوية لأن كل عمل في الإسلام يمكن أن يعد عبادة بالمعنى الأعم .

5- الحوزة School:-

من المفاهيم المهمة في هذه الدراسة هو مفهوم الحوزة ، وللوصول إلى تحديد دقيق لمعنى هذا المفهوم يجب الرجوع إلى جذره اللغوي إذ أن الفعل (حاز) يراد به الضّم والجمع ،

عالم خاطيء " لذلك يعتقد ماركس ان ازالة الدين لا تعني حصول الانسان على كماله. فأسباب نشوء الدين موجودة داخل العالم الحقيقي (الحياة البشرية) ويجب تغيير هذا العالم البشري قبل كل شيء. لذلك فأن نضال ماركس لم يكن ضد الدين انما ضد اسباب وجوده . فحقيقة الغربة الدينية للإنسان تكمن في أصلها ومبدئها أي في أسباب حدوثها وتطورها . بالتالي فمع القضاء على أسباب هذه الغربة يختفي الشعور الديني تلقائيا . لذلك يجب النضال ضد أسباب هذه الغربة الدينية وليس ضد الغربة الدينية . كتب ماركس في موضوعاته عن فويرباخ : " أن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن فسروا العالم بأشكال مختلفة ولكن المهمة تتقوم في تغييره" لذلك يرى ماركس ان نقد الدين يجب أن يكون من أجل المعرفة أي من أجل معرفة حقيقة أساسيات وأصل الدين وبالتالي يكتشف الانسان التناقض بين المخلوق الوهمي (الإله) وماهية البشر الحقيقية.

والحوزة : الموضع إذا أقيم حواليه سد أو حاجز وتعني الحوزة أيضاً الناحية ولذا فهي المكان المحدد بتحديد ما"[17] .

أما اصطلاحاً ، فكثيراً ما يضاف إلى لفظة الحوزة لفظة العلمية ، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن الحوزة أسست لتكون مدرسة دينية ، والحوزة العلمية هي التعبير المتعارف عليه بين الذين يتسبون إلى المراكز العلمية الرئيسة كالنجف وقم والأزهر ، ويعرفها الدكتور عبد الهادي الحكيم (أنها مركز التعليم الديني الذي يتبع الطريقة التي تربى عليها الفقهاء السابقون منذ العصور الإسلامية الزاهرة ، وحتى الوقت الحاضر ، متخذة من نظام الحلقات في الغالب شكلاً لها ، متبعة نظام الدراسة التامة . . .)"[18].

-أفيون الشعوب: مشهورة هذه الجملة ولكن هل يفهم هذه الجملة جميع من يستخدمها ؟ الوقت الذي عاش فيه ماركس كان عصر التطور الصناعي وبالتالي فقد العمال في هذا النوع من الصناعة العلاقة مع البضاعة التي ينتجوها لأنهم تحولوا من منتجين للبضاعة الى خدم للآلات التي تنتج البضاعة . هذا أدى الى تذمر العمال وإحساسهم بالاستغلال . في هذا الوقت نشأت هذه الجملة " الدين هو أفيون الشعب" لان الانسان يستطيع احتمال الألم الجسدي بمساعدة الأفيون وكذلك فأن الشعب يستطيع احتمال الألم الناتج عن بؤس الحياة بواسطة الدين فالأفيون يوهم الانسان بشعور السعادة وكذلك الدين .

بالرغم من أن العلاقة بين الايديولوجيا وواقع الإنسان أعقد مما قاله ماركس ، إلا أنني أعتقد أنه لامس الصواب بشكل كبير ، وكثيرا ما يطلع علينا لا دينيون في هذا المنتدى أو ذاك بأقوال مثل " الدين سبب كل شر " أو " لو تنتهي الاديان لانتهت الحروب " وكأن الاديان جاءتنا من المريخ. الدين كأيديولوجية جماعية نتاج لتفاعل الانسان مع وسطه وحتى لو اختفت الاديان لبقيت الحروب لأن السبب الحقيقي فيها (الإنسان) سيظل باقيا ، وسيجد تبريرات أخرى لشن حروبه العدوانية .

[17] - عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف الأشرف ، النظام والمشاريع ، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ، العراق،ط1، 2004 ، ص20 .

[18] - المصدر نفسه ، ص21.

المبحث الأول

ظهور المؤسسة الدينية

في العبادات الجماعية التي لا بد فيها من تصدي شخص معين ليكون إماماً للجماعة شريطة أن تتوفر فيه صفة العدالة ، وهي صفة أخلاقية عامة ، وليست حكراً على طبقة معينة بذاتها . ففي دين الله سبّحانه وتعالى أوامر ونواهي لا يستطيع المكلف من أدائها إلا إذا كان مجتهداً في أحكام الشريعة ، أو مقلداً لأحد المجتهدين"[19] .

وعلى مسيرة (التطور) في تاريخ الإسلام والمسلمين ونظراً للمناخ السياسي الخاص الذي عانى منه الشيعة ، وعلى الدوام ، فقد كان للمذهب الشيعي منذ ظهوره نوع من التنظيم الديني ، وذلك لأن الشيعة كانوا دائماً أقلية مضطهدة في النظام الإسلامي ، وكان لا بد لهم من اللجوء إلى العمل المنظم تحت قيادة مركزية محددة .

ولما كان الهدف الأساسي من إيجاد هذا التنظيم خدمة الدين والمذهب ، فلا مناص إذاً من أن يكون الجهاز القيادي لهذا التنظيم مؤلفاً من رجال الدين ، وبمرور الزمن تحول هذا الجهاز التنظيمي إلى طبقة شبه رسمية من رجال الدين تسمى (المؤسسة الدينية)"[20] .

إن المؤسسة الدينية بشكل عام هي مؤسسة تقليدية تجعل من محاكاتها للحكومة والأحزاب السياسية مادة وجودها واستمرارها مضافاً إلى ذلك علاقاتها مع شيوخ

---

[19] - السيد محمد باقر الصدر ، الفتاوى الواضحة ، ج 1 ، دار البشير ، قم ، إيران ، ط 5 ، 2012 ، ص 111.

[20] - د، صادق أطيمش ، دين السماء ودين الفقهاء ، المؤسسة اللبنانية للنشر ، بيروت ، ط 2 ، 2010 ،ص 337.

العشائر دون العشائر بأفرادها حيث أنها عاجزة عن طرح خطاب ديني يتطرق إلى مشاكل المجتمع في الفقر والجهل والمرض والخدمات[21] .

حتى في المجال الذي هو مجال اختصاصها وحقل عملها عجزت هذه المؤسسة عن تقديم المفردة الدينية العلمية التي تأخذ بيد المجتمع نحو الحداثة التي يعيش فيها العالم اليوم[22].

قاعدة المؤسسة الدينية :

تبني المؤسسة الدينية نظريتها في توسيع القاعدة المؤمنة بها إلى إتباع نهج واضح ومكتوب في جميع الرسائل العملية (الفقهية) لعلماء الدين الشيعة . إذ يستلزم (كأحد شروط البلوغ) على الطفل حال ولادته أن يكون مسلماً لأنه مولود من أب مسلم وأم مسلمة مع عدم مراعاة المكان والزمان والاختيار . فمع أنه صغير إلا أنه سيتم تلقينه مع الأيام على منهجية معينة[23] حتى سن البلوغ المحدد والذي أبعده (خمسة عشر عاماً بالحساب الهجري بالنسبة للصبي وتسعة أعوام للفتاة)[24] .

وحيث أن هذه الأعمار صغيرة وعلى المكلف أن يكون مؤمناً فإنه لا إيمان لدى هؤلاء حال دخولهم السن التكليفي . وعلى المكلف أن يكون مقلداً لأحد رجال الدين البارزين على الساحة ، وفي جميع جوانب حياته وليس له حرية أو حق الاختيار. رغم أن الدين

---

[21] - المصدر السابق، ص337 .

[22] - المصدر نفسه ، ص337.

[23] - وهكذا في بقية الأديان فلكل منهجية معينة . الكاتب .

[24] - السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مسألة 13، المصدر السابق، ص139؛ السيد كمال الحيدري، الفتاوى الفقهية / العبادات، دار المرتضى، بيروت، ط 3 ، 2010 ، ص 21.

الإسلامي هو دين الحرية لا دين الاستعباد إلا أن محددات كثيرة اليوم تجعل من الفرد المسلم بلا حرية وفاقداً لها .

إن تطور العلوم والمعارف وتنامي المتطلبات المادية والمعنوية لحياة الإنسان أفرز تعقيداً إضافياً في العلاقات الاجتماعية وبالتالي نشأت أحكام ومسائل شرعية جديدة ، ما أفضى بالتدريج إلى خلق ظاهرة التخصص ، ومن هنا ظهر تلقائياً أفراد جدد أوقفوا حياتهم من أجل تعلّم الدين وتعليمه ذلك أن الإحاطة بالمسائل الشرعية الضرورية لم يعد ميسراً للجميع على غرار ما كان معمولاً به في صدر الإسلام ، لذا ظهر أشخاص أخصائيين في مجال العلوم الدينية يقال لهم (علماء الدين)[25] .

فلا ينبغي أن تلعب المؤسسة الدينية دوراً رئيسياً في تغييب حالة التعقل في الساحة الإسلامية ، وتكريس حالة السطحية ، والتخلف على المستوى الديني ، وذلك أما لمحدودية وعيها وفكرها ، أو لأنها تستفيد من الوضع المتخلف ، فتحافظ عليه ، وتنميه بدافع مصلحي ، وهنا يحتاج التدين إلى التعقل في مسألة إتباع الزعامات ، والقيادات الدينية والاجتماعية ، فالفرد ليس معذوراً في تسليم كيانه ، وأمور دينه ، لأي أحد ، ما لم يحرز عدالته واستقامته ، وحتى العالم العادل ، لا يصح إتباعه بعين مغمضة وثقة عمياء ما دام ليس معصوماً ، ومعرضاً للانحراف والخطأ .

وعالم الدين محكوم بمبادئ الدين ، وضوابط العقل ، فينبغي أن تقوم آراءه ومواقفه على ضوء ذلك ، ولا يصح إتباعه وطاعته فيما يخالف الدين ، ويتنافى مع العقل .

إن بعض المتدينين قد تبهرهم شخصية عالم ما ، ويبالغون في تقديسه ، فيرسلون قوله إرسال المسلمات ، دون وعي أو تفكير ، وهذا خلاف توجيهات الدين . . لذا على الفرد أن

---

[25] - د، علي شريعتي ، الآثار الكاملة / ج 4 ، النباهة و الاستحمار ، دار الأمير ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 54- 55 .

يتحلى بالبصيرة والوعي ليكون خبيراً مميزاً بين الصحيح والخطأ على ضوء مبادئ الدين والعقل .

ففي المعتقدات الأساسية للدين يكون العقل هو المرجع ، وعبر النظر والفكر يتوصل الفرد إلى الإيمان بأصول الدين ، ويرى أكثر العلماء المحققين وجوب التزام العقيدة عن طريق العقل لا النقل والتقليد ، بل ادّعى العلامة الحلي* الإجماع على ذلك فقال : (أجمع العلماء على وجوب معرفة الله ، وصفاته الثبوتية ، وما يصح عليه ، وما يمتنع عنه ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد ، بالدليل لا بالتقليد)[26] .

نشوء المرجعية و مركزيتها :

استناداً إلى السيد محمد باقر الصدر فإن المرجعية تعود إلى صدر الإسلام وقد مرّت بأربع مراحل متعاقبة هي :-

1- المرجعية الذاتية والتي تبدأ منذ صدر الإسلام إلى عام 1325 ميلادية وهو تأريخ وفاة العلامة الحلي.

2- المرجعية الإدارية وهي التي تبدأ مع الشهيد الأول ابن جمال الدين العاملي (توفي عام 1374 ميلادية) .

3- المرجعية المركزية التي أسسها الشيخ جعفر كاشف الغطاء (توفي عام 1813 م)

---

[26] - حسن الصفار ، الحوار والانفتاح على الآخر ، دار الهادي ، بيروت ، 2004 ، ط 1 ، ص 12.

* (العلامة الحلي) جمال الدين أبو منصور الحسن بن سعيد الدين يوسف بن علي بن المطهر (648 – 726 هـ) وقد وصفته المصادر : بأنه انتهت إليه رئاسة الإمامية في المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، صنف في علوم الشريعة كتباً عديدة ، ولد في الحلة ومات فيها ودفن في النجف .

4- المرجعية الشعبية والتي ظهرت لمناهضة الاستعمار الغربي في العالم المسلم[27] .

إن فكرة المرجعية المركزة منذ زمن الكليني أو حتى قبله يبدو تصوراً مثالياً ، حيث يتفق دارسو الإسلام على أن مؤسسة المرجعية ظهرت بشكل جلي في عهد مرتضى الأنصاري (توفي عام 1865)[28].

وكان أول مرجع مطلق بالمعنى المتداول اليوم[29] . إن ولادة هذه المؤسسة الدينية الجديدة كانت مؤشراً على السلطة المستقلة والثروة والشبكات الاجتماعية المتنامية للعلماء قائماً على أساس من مشروعية فقهية معترف بها من قبل رعاية الدولة وولاء الناس .

---

[27] - كاظم الحائري ، مباحث الأصول ، قم ، مركز الإعلام الإسلامي ، ربيع الأول ، 1407 هـ 1977 م ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ص 90 - 94 ؛ السيد محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، دار المعارف ، بيروت ، 2003 ، ص 150 .

[28] - مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف الأنصاري (1214 -1281) ه. هو رجل دين وفقيه ومرجع شيعي اثني عشري ينتمي نسبه الى جابر بن عبد الله الأنصاري . يعرف الأنصاري في الأوساط الشيعية بلقب الشيخ الأعظم ، وتعد عدد من كتبه ومؤلفاته موادا دراسية في الحوزة العلمية . ولد في مدينة دزفول التي تقع حاليا في محافظة خوزستان بجنوب غرب إيران في فترة الدولة القاجارية ، وذلك في 18 ذو الحجة 1214 ه ، وابتدأ الدراسة في مسقط رأسه ، وسافر سنة 1232 ه الى العراق لزيارة كربلاء والنجف ، فاستقر بالنجف لإكمال دراسته فتتلمذ هناك على يد عدد من الأساتذة ؛ كان منهم : محمد حسن النجفي ، وموسى وعلي ابني جعفر كاشف الغطاء ، ومحمد بن حسن المازندراني واحمد النراقي . وقد مارس التدريس في النجف وتتلمذ على يده عدد كبير من رجال الدين كان منهم : محمد حسن الشيرازي ، ومحمد كاظم الخراساني ، ومحمد طه نجف ، وحسين النوري الطبرسي ، ومحمد حسن المامقاني ، وحبيب الله الرشتي ، واحمد آل طعان . استلم الأنصاري زعامة المرجعية الشيعية عام 1266 ه بعد وفاة أستاذه محمد حسن النجفي الذي أوصى قبل وفاته ــوقال عن الأنصاري : " هذا المرجع من بعدي " . ودامت زعامته حتى توفي في 18 جمادي الآخرة 1281 ه بالنجف الاشرف..

صلاحيات المرجعية الدينية :

إن السلطة المرجعية للعلماء تتمحور في السياق الفقهي والكلامي ، حول طبيعة المعرفة وعليه فإن مفاهيم المعرفة تسبق مفاهيم السلطة المرجعية .

إن المعرفة ذات طبيعة مزدوجة : فهناك المعرفة المقدسة والمعصومة مقابل المعرفة الدنيوية غير المعصومة . الأولى مطلقة ومسددة باللطف الإلهي والثانية قابلة للزلل ، ولقد بقي هذين الميدانين من المعرفة موضع جدل طويل امتد قروناً من الاضطراب والتحوّل .

الاجتهاد والتقليد :

إن تفوق معرفة رجال الدين على معرفة عامة الناس إنما تأسست على قاعدة (التقليد) ويبدو أن فكرة التقليد ظهرت بمعزل عن الاجتهاد على أساس وجود حاجة عملية لذلك ، ولقد استمد الفقهاء تمايز المعرفة بين العلماء والعامة من خلال تقسيم العمل ، ذلك أن افتقار عامة الناس إلى الخبرة الفقهية مرده افتقارهم إلى الوقت الذي يتيح لهم كسب المعرفة وذلك بسبب اضطرارهم إلى العمل لكسب عيشهم[30] .

وحسب ما ينقل فالح عبد الجبار عن جون كوبر Cooper ، كان المقدس الأردبيلي (توفي 1585) في كتابه (زبدة البيان) هو الذي دحض الحجج المضادة لـ (

---

[29] - عبد الوهاب عزام ، رحلات عبد الوهاب عزام 6 /179 ضمن الكتاب ، موسوعة العتبات المقدسة ، د، مصطفى جواد (قسم النجف) ، طبعة مؤسسة الأعلمي ، ج 6 ، ص 26- 63 ،القسم الأول ،بيروت ،1987.

[30] - فالح عبد الجبار ، العمامة والأفندي ، ترجمة أمجد حسين ، بيروت ، ط 1 ، 2010 ، ص 272 ؛ السيد كمال الحيدري ، المصدر السابق ، ص 19 .

التقليد) وهو الذي وحّد بصورة موثقة فكرتي الاجتهاد والتقليد ، فكان أن أدى هذا التوحيد إلى تعزيز سلطة رجال الدين في صفوف الشيعة تعزيزاً كبيراً"[31] .

أما الاجتهاد فقد شكّل خطوة حاسمة في تعزيز السلطة الفقهية للعلماء ، ومن زاوية التفريق المعرفي فإن هذا أدى إلى تقسيم المعرفة إلى ميدانين :-

- المعرفة المطلقة (النص المقدس وعصمة الأئمة) .
- والمعرفة الضنية القائمة على الممارسات البشرية (أي المحدودة وغير المعصومة) لقوة العقل ، التي يقوم بها العلماء ، ثم مضت قرون قبل أن يتوسع الاجتهاد ليقف على قدم المساواة مع المعرفة المطلقة"[32] .

لقد كان تأسيس منصب (مرجع التقليد المطلق) " تحولاً في وظيفة المجتهدين من مجرد مدرّسين في (المدرسة الدينية) إلى شخصيات متنفذة في حياة المراكز الحضرية "[33] غير أن هذا التحول لم يرافقه استحداث أي نظام دائم للترقية والاختبار والتعيين ولعل هذا هو السبب الذي جعل عباس أمانات يطلق على مؤسسة المرجعية اسم (نظام الفوضى) أو جعله يقول إن نظام مؤسسة رجال الدين . . . هو انعدام نظامه"[34] .

أهداف المؤسسة الدينية :

يقدّم السيد محمد باقر الصدر أربعة أهداف للمرجعية والحوزة في المجتمع وهي :-

1- نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين ، والعمل لتربية كل فرد منهم تربية دينية تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي .

---

[31] - المصدر السابق ، ص20.

[32] - فالح عبد الجبار، المصدر السابق، ص 288 .

[33] - نفس المصدر ، ص 288 .

[34] - نفس المصدر ، ص 288 .

2- إيجاد تيار فكري واسع في الأمة يشتمل على المفاهيم الواعية من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكد بأن الإسلام نظام كامل لجوانب الحياة شتى ، واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز ذلك .

3- إشباع الحاجات الفكرية للعمل الإسلامي .

4- القيمومة على العمل الإسلامي والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم" .

الجهاز التنظيمي والإداري للمؤسسة الدينية :

يعتمد مراجع الدين جميعهم على تنظيم واحد وإدارة متشابهة في إدارة حوزاتهم المتعددة ويتألف جهاز المرجعية من :-

1- شخص المرجع .

2- مكتب المرجع (البرّاني)

ويتكون المكتب من جهاز متكامل يحتوي على :-

أ- مكتب الاستفتاءات الشرعية .

ب- مكتب استلام الأخماس .

ج- مكتب رواتب الطلبة .

د- مكتب متولي المدارس الدينية .

هـ- المؤسسات الخيرية .

و- المؤسسات الاستشارية .

---

[35] - السيد محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، المصدر السابق ، ص 132. ؛ الشيخ حسين معتوق ، المرجعية والولاية ، ص 10 ، كتاب إلكتروني في http:/www.hawza-kw.org/2/2.html

ز- مكاتب وكلاء المرجع" .

يواجه الجهاز المرجعي مشكلة متكررة تظهر بالذات في مناسبات محددة لعل أهمها:

1- حال وفاة المرجع الديني الأعلى ، إذ يظهر الصراع والبحث حول من سيخلف ، إذ يكون لأعلمية المرشح والقوة الإعلامية لمكتبه وحركة طلابه وحركة مقلدي المرجع المتوفى الدور الأساس في حل الإشكال ، ولا ننسى أن للمراجع أنفسهم دور كبير في اختيار أحدهم من خلال الإشارة إليه على اعتبار أنه الأعلم فيما بينهم .

2- تدخل السلطة السياسية في أمور الحوزة ، فعندما لا تكون السلطة السياسية على وفاق مع دور الحوزة فإنها تضغط وترهب الحوزة ثم تقوم بحملات اعتقالات وتهجير وإعدامات لرجال الدين بمختلف مستوياتهم ولأسباب مختلفة ، وقد تكيفت الحوزة مع مثل هذه الضغوطات السياسية على مر التأريخ وتعاملت معها بطرق عديدة لعل أبرزها الابتعاد عن السياسة واتخاذها مبدأ التقية الدينية لتجنب الضغوط السياسية"[37].

3- شحة الواردات المالية : يمثل الخمس العصب الرئيسي لحياة وديمومة الحوزة إذ هو عامل قوتها واستقلاليتها وإن شحة هذا المورد يمثل مصدر تهديد رئيسي للمؤسسة واستقرارها ، إذا ما عرفنا أن الجانب الاستثماري للأموال ضعيف ولا يستحق الذكر.

4- الاضطراب الاجتماعي الداخلي للمؤسسة .

5- التنافس والاحتكاك داخل المؤسسة فيما بين أقطابها" .

---

[36] - خالد حنتوش ساجت ، المؤسسة الدينية ودورها في المجتمع / حوزة النجف أنموذجاً ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2010 ، ص 83 .

[37] - د. مصطفى جواد ، المصدر السابق ، ص 26 - 63. ؛ محمد صادق محمد باقر بحر العلوم ، النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 ، ص 351 .

[38] - خالد حنتوش ، المصدر السابق ، ص 92 .

حوزة النجف بوصفها مؤسسة دينية :

أكثر المواضيع التي شغلت فكر الباحث هو المدى الذي يمكننا أن نطلق على الحوزة العلمية في النجف تسمية مؤسسة دينية . وهل هي فعلاً مؤسسة بالمعنى الحديث للكلمة ؟ وأي من أنظمة الحوزة يمكن أن ينطبق عليه تسمية مؤسسة ؟

هذه الأسئلة وغيرها تم البحث عن إجابتها في العديد من الكتب والدراسات الأكاديمية أو غير الأكاديمية ، ولعل الدراسة الأكثر تخصصاً في هذا الموضوع هي دراسة حسين بركة الشامي[39] ودراسات أخرى بحثت في إصلاح الحوزة لذا فإن مأسسة الحوزة الحالية التي يدعو لها أكثر من شخص داخل الحوزة لاسيما من قبل كبار علماؤها ، ولأن هناك قضية مهمة جداً يتطرق إليها بحثنا الحالي وهي الأدوار التي تلعبها هذه المؤسسة في المجتمع العراقي والذي لن يكتمل بصورته الدقيقة ما لم تتبناها مؤسسة (سواء كانت الحوزة أو مؤسسة داخلها) لغرض أن يكون هناك تنظيماً أو تخطيطاً لهذه الأدوار ، وإلا فإن الأدوار نفسها تذهب مع ذهاب صاحبها ولا نعرف كيف سيفعل من يحل محله ، فالحوزة في الوقت الحاضر في أمس الحاجة إلى أن تنظم عملها وجهودها داخل المجتمع العراقي .

لأن هنالك سؤال كبير يدور حول جانب من البحث حاولنا مناقشته في موضوع نشأت وتكوين الحوزة ، لذا فقد حاولنا أن نسلط الضوء على كون الحوزة نشأت كمدرسة (مؤسسة تعليمية وفق الطراز السائد في زمانها) وهذا ما يؤكده لنا رجالات الحوزة من كونها نشأت أولاً لتكون مؤسسة تعليمية / دينية تهدف للتعليم والتبليغ وبالتأكيد أن الظروف الصعبة للنشأة والتكوين جعلتها تنأى بنفسها عن السياسة التي هربت منها إلى

---

[39] - حسين بركة الشامي ، المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة ، دار السلام ، بغداد ، العراق ، ط 3 ، 2006 .

النجف مما دفعها لأن تبحث لها عمن يساعدها ويسند استقلالها السياسي باستقلال اقتصادي وهو الأهم في تأريخ حياتها كونها مؤسسة دينية فقد أوجدت لنفسها نظام الخمس من خلال استنادها إلى النصوص الدينية (القرآن الكريم والسنة) التي أهلتها للاستمرار والتمأسس إذ يصفها أحد أبنائها بالخصائص الآتية[40]:-

1- **عالمية الحوزة** : فالحوزة ورجالاتها تحمل فكر الإسلام الذي جاء لهداية البشرية كافة لذا يجب أن تتصف بهذه العالمية ، علماً أن الدارس في الحوزة من الداخل يكتشف بوضوح هذه الخاصية .

2- **الحالة التطوعية في الحوزة** : فهي منذ بداية نشوئها حتى الآن هي حوزة تطوعية في كل مراحلها .

3- الاجتهاد المنضبط : إن العلم هو عنوان الحوزة العلمية ولا تسمى الآ به في الحركة الحوزوية للطالب والأستاذ المجتهد فالجميع في الحوزة العلمية يسمي نفسه طالب علم ولا أحد يدعي غير ذلك .

4- **استقلالية الحوزة** : الاستقلالية هي أهم عنصر لديمومة الحوزة وبقائها على ما هي عليه الآن ، وقاعدة الاستقلال فيها تبدأ بالاستقلال الاقتصادي فالخمس الذي يرى علماء الحوزة انه بدأ مع أهل البيت (عليهم السلام) واستمر مع مؤسسي الحوزة مما يعطيها الجانب الأهم في هذا الاستقلال الاقتصادي فضلاً عن الزكاة وبقية الحقوق الشرعية التي تدفع للحوزة من قبل أتباعها .

5- **اهتمام الحوزة بالقضية السياسية** : فالقضية السياسية حسب رأي صاحب الكتاب هي جزء رئيسي من قضايا الحوزة ، فالحركة السياسية حركة ربانية يراد منها إبلاغ الرسالات .

---

[40] - محمد باقر الحكيم ، الحوزة العلمية المشروع الفكري والحضاري ، الجزء الأول ، دار الحكمة ، قم ، إيران ، 2006 ، ص 5 - 11 .

6- اهتمام الحوزة بالقضية الاجتماعية : الحوزة لها دورها الخاص في حركة المجتمع والأمة ، كما أنها يجب أن تنفتح على مشاكل المجتمع الذي هي جزء منه وأن يكون لها الدور الفاعل في حل هذه المشاكل .

ولكن يبقى السؤال الأهم الذي لا يزال يشغل بال الباحثين وهو مأسسة الحوزة أو مدى مأبسستها حالياً و قبل أن نجيب على هذا التساؤل نود عرض نموذج (ماكس فيبر) جول المؤسسة (البيروقراطية) لنرى بعد ذلك مدى انطباقه على الحوزة .

نموذج ماكس فيبر في المؤسسة (المنظمة) البيروقراطية :

يعد ماكس فيبر (1864 – 1920) من أول العلماء الذين حاولوا التنظير للفكر المؤسسي وذلك في نظريته المشهورة عن البيروقراطية (والتي تعني تحديداً حكم من خلال المكتب) إذ حاول ماكس فيبر أن يضع نموذجاً لهذه الإدارة / الحكم للمؤسسات من خلال مجموعة افتراضات وخصائص لشكل أي مؤسسة وهي :-

1- تحديد الاختصاصات الوظيفية بصورة رسمية في إطار القواعد واللوائح المعتمدة ، واعتماد الصيغ القانونية في إيضاح جوانب التخصص وتقسيم العمل .

2- توزيع الأعمال والأنشطة الإدارية على الأفراد (أو أعضاء) المؤسسة بصورة رسمية وبأسلوب ثابت ، ومستقر ومحدد لكل وظيفة .

3- تخويل السلطات (أو الصلاحيات) لأفرادها لضمان سير أنشطتها وأعمالها على وفق قواعد واضحة ومحددة ، يتم من خلالها تحديد نطاق الإشراف لكل مسؤول إداري .

4- الفصل بين الأعمال البيروقراطية للموظف والأعمال الشخصية الخاصة به ، التي يقوم بها في إطار علاقته غير الرسمية وثم الحد من أثر العلاقات الشخصية بين أعضاء المنظمة ، وسيادة العلاقات الرسمية بعيداً عن العاطفة والتحيز وعدم الموضوعية ، وإعطائها الدور الأساسي في بناء الهيكل البيروقراطي لها .

5- تعيين الأفراد فيها على وفق المقدرة ، والكفاءة والخبرة الفنية في النشاطات التي يؤديها ، بما يتلاءم وطبيعة الأعمال المحددة في قواعد وأنظمة العمل البيروقراطي .

6- إسناد تركيبها إلى أساس التدرج الهرمي (هرمية التنظيم) واعتماد التقسيم الإداري على مستويات تنظيمية محددة بشكل دقيق وحاسم ، إذ تشرف المستويات الإدارية الأعلى على المستويات الأدنى منها ، وعلى وفق التسلسل الهرمي وبصورة ثابتة ومحددة .

7- تعتمد الإدارة البيروقراطية ، في انتهاجها الأسلوب الرسمي في التعامل مع الأفراد العاملين فيها ، الوثائق ، والسجلات والمستندات ، ويجري حفظ هذه الوثائق بصورة يسهل معها تمشية أعمالها .

8- تتصف القواعد والتعليمات التي تطبقها بالشمول والعمومية ، والثبات النسبي ، إذ يستطيع كل فرد فيها استيعاب وفهم القواعد الإدارية السائدة بدقة ووضوح ، كما يؤدي الثبات النسبي في الأعمال الموكلة للأفراد إلى زيادة الكفاءة والخبرة الفنية والإدارية للعاملين فيها .

9- تؤدي المؤسسة / المنظمة البيروقراطية إلى تحقيق الأمن الوظيفي لأفرادها من خلال التقاعد ، وزيادة الرواتب والعمل على إيجاد إجراءات ثابتة للترقية والتقدم المهني ويأتي ذلك من خلال زيادة حماس الأفراد وإخلاصهم ، ورفع كفاءتهم الفنية ، وإيجاد سبل الرقابة على الأداء واستخدام العقلانية في زيادة الإنتاج"[41]

ويبرز السؤال هنا .. هل يمكن تطبيق هذا النموذج كلاً أو جزءاً على الحوزة (المؤسسة الدينية الشيعية) ؟.

---

[41] - د. خليل الشمّاع و د. خضير كاظم حمود ، نظرية المنظمة ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن، ط 4 ، 2009 ، ص 34 - 36 .

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل لنحاول أخذ آراء أهل الحوزة بخصوص مأسسة الحوزة (تطبيق الأنموذج الفيبري عليها) .

وسينقسم الحديث في هذا الجانب إلى مجموعتين من الآراء بخصوص تحويل الحوزة إلى مؤسسة حديثة لتواكب العصر ، إذ ستتناول أولاً رأي الرافضين لهذه المأسسة ثم نتطرق إلى رأي من يرون ضرورة مأسستها وكما يأتي :-

أ – آراء المدافعين عن لا مأسسة الحوزة :-

يميل أكثرية علماء الحوزة وخاصة المجتهدين منهم إلى رفض فكرة مأسسة الحوزة بشكل قاطع وذلك لأسباب عديدة أشهرها الأسباب الفقهية ثم تأتي الأسباب السياسية وغيرها ولكي تتضح الرؤية بخصوصها لنأخذ بعض الآراء بخصوص ذلك (حصل الباحث على آراء بعض الفقهاء من خلال تلامذتهم أو وكلائهم وبعضهم من خلال نتاجهم الفكري الذي تحويه كتبهم التي ألفوها أو ألفها الآخرون عنهم) وهنا نود الإشارة قبل البدء إن معظم الآراء عندما تتكلم عن مأسسة الحوزة فإنها تميل إلى مأسسة نظام المرجعية الذي ستتناوله لاحقاً جيث تنصب معظم الأحاديث اليوم حول مأسسة هذا النظام كما يعبر عنه أحد أبناء الحوزة انتقال المرجعية من الذات إلى المؤسسة[42] .

1- يرى بعض العلماء والمهتمين بالشأن الحوزوي إن مأسسة الحوزة وإدخال اللوائح والقوانين إليها ورسم حدود واضحة لنظام التدرج الهرمي الذي تكلم عنه ماكس فيبر في نموذجه السابق الذكر قد يتيح فرصة كبيرة للكثير من الطامحين إلى تبوء منصب المرجع الأعلى من الفاسقين والمنحرفين للترقي إلى هذا المنصب مما يسهل اختراق وتدمير الحوزة من الداخل لذا فإن رفض مأسستها قد أمكن لها الاستمرار في ظل ظروف القهر

---

[42] - حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 238.

والاضطهاد السياسي الذي عانته على مدى قرون من الزمن وهو ما حفظها من هجمات (من الداخل) للحكومات الظالمة لها لذا حافظت على بنائها الداخلي بهذه الطريقة وهذا هو أحد أسرارها الخفية الذي يعجز الآخرون من اختراقها من خلاله"[43] .

ولذا يرى الرافضون لمأسسة الحوزة أو مأسسة نظام المرجعية على الأقل بعدم تطابق النظم الإدارية مع نظام المرجعية ، إذ يرى السيد محمد سعيد الحكيم :

(إن حصر القرار بمؤسسة خاصة يحمل المنحرفين للتسلل إلى تلك المؤسسة لأنهم وحدهم القادرون على سلوك الطرق الملتوية من الغش والرشوة والكذب والتهريج والتشنيع والتخويف وغير ذلك مما يترفع عنه ذو المبادئ وأهل الاستقامة ، فإذا تسللوا وسهل عليهم السيطرة على المؤسسة واستحالت قراراتها لصالحهم بطرائقهم الملتوية التي أشرنا إليها ...

وحين إذ يستطيعون حرف مسيرتها والتخلي عن مبادئها، ولم يخشوا إنكار المنكرين بعد أن كان القرار لهم وحدهم ، ولا شرعية لحديث غيرهم .

ومن هنا يسهل على الأعداء التسلل للمؤسسة بأنفسهم أو بمن يتعاون معهم من المنحرفين ومرضى القلوب وضعاف النفوس ذوي الأطماع ، ثم السيطرة عليها وتسييرها لصالحهم ، وبذلك يفقد التشيع المرجعية المخلصة التي سارت به أكثر من ألف عام في طريق الله تعالى وقادته إلى موقعه الآن إذ صارت عبئاً على الظالمين ومثيرة لقلقهم)"[44] .

---

[43] - إن الأفضل أن لا يكون للحوزة صورة تنظيم ظاهر ، يمكن الأخذ برقبتها إلى تلك الأهداف ، في : http://www.alshirazi.com

* أن ما يحصل منذ وفاة المرجع الخوئي 1992 إلى اليوم هو تقليد مراجع متعددة وحظوظهم تكاد تكون متقاربة على الساحة وسنبحث هذا الموضوع في مكانه (الكاتب) .

[44] - محمد سعيد الحكيم ، المرجعية الدينية ، (الحلقة الأولى) ، في http://alhakeem.net/arabic/mrg2/index.htm

2- إن اختيار المرجع الأعلى يتم من خلال شروط عديدة أهمها الشياع الذي يؤدي إلى توجه الناس نحو التقليد لمرجع دون آخر فالمرجع في الحوزة لا دور له خارج الحوزة ما لم تتوجه الناس نحوه بالتقليد والإتباع والذي يحرك الناس في كثير من الأحيان العواطف أو المواقف تجاه مرجع دون آخر ، فقد يتساوى مرجعان أو ثلاثة في الأعلمية والعدالة ولكن الناس تتجه إلى واحد منهم فقط وتترك الآخرين (ويعبر أهل الحوزة عن ذلك بمشيئة الله متناسين الإعلام (الشياع) فضلاً عن العواطف) * لذا يتبادر السؤال هنا كيف يمكننا تحكيم النظام البيروقراطي المؤسسي في الحوزة إذا كان الاختيار لقِمّة النظام يتم من خلال الناس من مختلف الأرجاء والأجناس والألوان لا من خلال لوائح وضوابط قانونية ؟ .

لذا يرفض أصحاب هذا الرأي مأسسة الحوزة على ضوء هذه الحقيقة كما أن الشكل اللا مؤسساتي الحالي للمرجعية يتيح للناس فرصاً أكبر لعزل مرجع ما إذا ثبت فساده (لا عدالته) من خلال التحول باتجاه تقليد غيره في حين أن المرجعية المؤسساتية لا تتيح لهم مثل هكذا عزل لأن المتحكم هنا هو اللوائح القانونية التي يسهل تجاهلها أو التلاعب بها أو تغييرها لتناسب الشخوص القياديين (المراجع) لا الناس»[45] .

3- بُنيت الحوزة بإرادة من الله لتمثل الخط الذي ينشر الإسلام ويدافع عنه ، لذا فإن تدخل الإرادة الإنسانية في تحويلها أو تغييرها بأي شكل من الأشكال هو بخلاف الإرادة الإلهية لذا يتم رفض أي رأي يخالف الإرادة الإلهية أو النص الإلهي ، وبالتالي فهم يرون أن الله أراد للحوزة أن تبقى بشكلها الحالي من دون أن تتدخل الإرادة الإنسانية وتغير (تمأسسها)»[46] .

---

[45] - محمد سعيد الحكيم ، المصدر السابق ، ص56.

[46] - المصدر نفسه ، ص56.

4- إن الحوزة بشكلها الحالي قد قامت من خلال وجود النص عليها من الإمام الغائب (عجل الله فرجه الشريف) من خلال ما ورد بخصوص ذلك في كتب الشيعة ، أما مأسسة الحوزة أو تغيير شكلها فهو بحاجة إلى نص من نفس الإمام ليغير شكلها الحالي من (المرجعية الفردية إلى المؤسساتية) وما لم يتوفر هكذا نص لا يمكن لها أن تتغير (تتمأسس) هذه الحوزة"[47] .

5- يورد السيد محمد سعيد الحكيم حكماً على مأسسة الحوزة من خلال الموازنة بين المسيحية والإسلام ، فهو يرى أن المسافة الفاصلة بين رفع النبي عيسى عليه السلام وظهور النبي محمد ﷺ بعده بحوالي (600) سنة في حين إن الإمام الغائب منذ أكثر من (1174) سنة هجرية فهو خير دليل على ذلك ، إذ يرى أن انحراف المؤسسة الدينية المسيحية هو الذي عجل بإرسال النبي محمد ﷺ في حين أن عودة الإمام الغائب لم تحصل حتى الآن مما يدل على المحافظة على الرسالة الإسلامية من خلال الحوزة أو ما شابهها من المدارس الدينية في العالم الإسلامي الواسع"[48] .

6- يتخوف بعض المهتمين بالشؤون المرجعية من تحول المؤسسة الدينية المقترحة إلى مؤسسة تشبه الكنيسة في الإسلام ، وتحتكر الاجتهاد وتفسير النصوص الدينية ، وهي عملية حرة ومفتوحة أساساً في الإسلام وعند الشيعة بالخصوص ، ولم يعهد بها إلى أية جهة خاصة ، وإنما هي من حق أي مسلم يجد في نفسه القدرة على البحث والتمحيص والاجتهاد ويخشون من تحول المؤسسة ، إذا أُقيمت، إلى مؤسسة للمحافظة على تقاليد سلبية موروثة وتكرس أعراف وأفكار طارئة ، ويقولون أن المرجعية نفسها لم تكن موجودة سابقاً بهذا الشكل وإنما ولدت في غياب الدولة في ظل ظروف استثنائية ، ويمكن

---

[47] - المصدر السابق ، ص57.

[48] - المصدر نفسه ، ص59.

أن تختفي مع قيام الدولة الإسلامية * وتشكيل الأحزاب السياسية والمنظمات الأهلية وأن لا ضرورة لاستمرار المرجعية الدينية مع قيام الدولة الحديثة وبناء المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية وهو أفضل بكثير مما كان يطمع إليه المطالبون بترشيد المرجعية أو تحويلها إلى مؤسسة"[49] وقد لاحظنا ما يؤيد ذلك (لاسيما في المدة التي لحقت سقوط النظام البعثي واحتلال العراق من قبل القوات الأمريكية في 2003) إذ أن الحوزة متمثلة بمرجعيتها العليا تتناسب عكسياً مع قوة الدولة المركزية إذ كلما زادت قوة الدولة ضعفت سلطة المرجعية والعكس بالعكس إذ تزداد قوة المرجعية مع ضعف الدولة .

7- إن المأسسة تكسر الكثير من التقاليد الحوزوية المتعارف عليها والتي تعتبر من أسرارها التي لا يود أحد البوح بها ، فمثلاً النظام الاقتصادي في الحوزة (وخاصة نظام الخمس) بمعنى مقدار وارداتها وكيفية إدارة هذه الواردات ومن هو المسؤول عن إدارة الموارد المالية وحتى كيفية صرف هذه الواردات ، وإلى غيرها من القضايا التي تعد من أسرار الحوزة والتيّ لا تود أن يتم الاطلاع عليها ومن ثم يفقدها أهم عنصر من عناصر استقلالها والذي أمن لها الاستمرار كل هذه القرون الطويلة (حوالي ألف عام) .

8- هناك تخوّف لدى بعض الأوساط الحوزوية من أن تتحول الحوزة من مؤسسة تعليمية وإرشادية تدير شؤون المقلدين (المتعبدين) الشيعة في كل أنحاء العراق والعالم إلى مؤسسة ذات طابع إيديولوجي أصولي صارم (مثل كثير من هذه النماذج التي شهدها ولا يزال يشهدها التأريخ الإنساني) مما يضعف المجتمع المدني ويضفي على السياسة هذا الطابع الإيديولوجي فالدين كعقيدة هو أول ضحايا التديّن كإيديولوجيا، فالأفكار

---

[49] - http://www.alkatib.com.uk/dawlah.htm

* لم تختفي المرجعية كنظام في إيران رغم قيام الجمهورية الإسلامية فيها عام 1979 وإلى الآن (الكاتب) .

الثورية التي تؤدلج الدين وتقود إلى نوع معين من الفكر/ الحكم الثيوقراطي وهو ما لا يرغب به الكثير من رجالات الحوزة من دعاة ولاية الفقيه الخاصة ، لأنه سيؤدي في المدى القريب إلى تقوية الراديكالية الدينية وازدياد التطرف"[50].

10- ويرى الباحث إن ما يسوّغ عدم مأسسة الحوزة هو البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها ، إذ يعد المجتمع العراقي ، ومن يتبع حوزة النجف من مجتمعات المحيط الإسلامي المجاور للعراق على أنها مجتمعات لا زالت مجتمعات جماعوية لا فردانية أي أنها مجتمعات لا زالت تعتمد على الشكل التقليدي (اللامؤسساتي) في حياتها واقتصادها وسياستها وحتى المؤسسات القائمة فيها فهي مؤسسات لا بيروقراطية إذ يحلو للبعض تسميتها بالـ(شيخوقراطية) أو (البدوقراطية) لذا فإن الأولى المطالبة بمأسسة المجتمع أولاً قبل المطالبة بمأسسة الدين وحوزته ، فالقضية هنا هي بيئة المجتمع اللامؤسساتية ستؤدي بالنتيجة إلى لا مؤسسية حوزوية ، فالحوزة على وفق هذا الرأي تنمو باتجاه المؤسسة مع النمو الحاصل في بيئتها المحيطة .

ب- آراء المدافعين عن مأسسة الحوزة :

يقف على هذا الرأي مدافعاً بعض المراجع الكبار والمتصدين للشأن الحوزوي والكثير من المثقفين والباحثين وأصحاب الولاية العامة في الفقه الشيعي ، الذين يرون ضرورة مأسسة الحوزة لتخرج من الشكل الفرداني إلى الشكل المؤسساتي ، وسنورد هنا آراء المدافعين عن مأسسة الحوزة ، أهل الحوزة نفسها ولاسيما مراجعها على النحو الآتي :-

---

[50] - أ: محمد دكير ، الدين والسياسة ، الغدير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص 21 .

سلبيات الحوزة الفردية :-

يورد المدافعون عن مأسسة الحوزة جملة من السلبيات بشأن فردانية المرجعية أو ما يمكن أن نصطلح عليه الحوزة التقليدية نورد منها :-

1- النمطية والرتابة والقدم ، لهذا النمط من الحوزات الذي ما عاد يواكب العصر والتقدم الحاصل في العالم . فالحوزة بطرائقها القديمة ولاسيما ما يخص الحقوق الشرعية وإدارة . الأموال والمدارس الدينية ما عادت بالكفاءة نفسها مع التوسع الحاصل في هذه الحقوق وفي المدارس والطلبة . ومن دون تحويلها إلى مؤسسة لن تقدر على تلبية متطلبات الطلبة والمدارس ، كما أن طريقة استلام الحقوق الشرعية وخزنها والتصرف بها بحاجة إلى مأسسة وإدارة عالية في الجباية (استلام الحقوق الشرعية) والاستثمار لها وتوزيعها[51] .

2- عدم وجود اللوائح والقوانين التي تتحكم بالعمل داخل الحوزة جعل الذاتية والشخصانية والعلاقات القرابية هي المسيطرة على الحوزة ولاسيما المرجعية إذ نلاحظ أن أبناء المرجع وأقاربه هم المتحكمون بالجهاز المرجعي ولا مجال للأكفاء من غير الأقارب في الدخول إلى داخل جهاز المرجعية وهي من العلامات الفارقة في حوزة النجف ، إذ أن الزائر لأي مكتب من مكاتب المراجع الكبار يلاحظ ذلك ، وقد يشذ عن ذلك قلة قليلة من المراجع ، ولكن الخط العام يبقى يسير بهذا الاتجاه القرابي -الذاتي . إذ يتحكم أقارب المرجع بكل ما يصدر من مكتب المرجع من قرارات وما يدخل إليه .

3- أزمة العلاقة مع المؤسسات : كما يواجه الشكل التقليدي أزمة عند تعامله مع المؤسسات الأخرى (السياسية والاقتصادية وغيرها) إذ نلاحظ أن الأموال والأملاك وما شاكلها تحتاج إلى توثيق في مؤسسات الدولة وهنا يأتي السؤال باسم من ستسجل؟

---

[51] - حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 113 .

ومن سيرثها بعد موت المرجع ؟ وكيف يتم تداولها داخل وخارج الحوزة ؟ فإذا كانت القوانين تورث أملاك الشخص لورثته ، فما الذي يحصل إذا كان ابن المرجع ليس مرجعاً ؟ وكيف سيتم التصرف بها ؟ ولمن سيسلمها ؟ وهذا ما أدى إلى إشكال آخر وهو إذا ما طالب بها مرجع آخر يخالف رأي وتقليد المرجع المتوفى فما الذي سيحصل ؟ . . وقد حدثت إشكالات كثيرة في هذا الخصوص سمع بها الباحث من أهل الحوزة ولم يتم حل الكثير منها حتى الوقت الحاضر .

4- فاعلية عمل المؤسسة : إن عمل المؤسسة أجدى وأكثر تأثيراً وفاعلية من عمل الأفراد منفصلين ، فالعالم اليوم يتقدم بخطى حثيثة من خلال المؤسسات وفرق البحث التي تعالج مشكلة ما بتركيز أكثر عندما يتم تكليف فريق بها لا فرد واحد أو أفراد منفصلين ، هذه الحقيقة تدعمها التجربة الإنسانية التي تعيشها وهي لا تتم ما لم تتجه الحوزة إلى الشكل المؤسساتي الذي سيمكنها من تحقيق التقدم ومواكبة العصر .

5- حاجة المجتمع للمؤسسة : إن المجتمع العراقي الذي يقلد هذه الحوزة (ناهيك عمن يقلدها من خارج العراق) قد أصبح يتطلع إلى الحوزة ودورها بصورة مختلفة عما كانت عليه في السابق وأصبح الناس يتطلعون لدور أكبر منها في مختلف المواضيع وهذه التوقعات العالية من قبل الجمهور يتطلب جهازاً مؤسساتياً لكي يحقق للناس ما يتطلعون إليه ، وإذا ما بقيت الحوزة على شكلها التقليدي فإن اتجاهات الناس ستكون سلبية بخصوص الكثير من أدوارها لاسيما ما نلاحظه اليوم من التطلع إلى دور سياسي كبير في مقابل حوزة لا زالت تدار بالطرق التقليدية فهل ستنجح في الاستجابة إلى هذه التطلعات السياسية ؟

6- الحاجة لتعديل عمل المناهج وأسلوب الدراسة: إن تقليدية الحوزة يرتبط بالضرورة بالمناهج القديمة والكتب والمواد الدراسية التي لم تتغير منذ وقت طويل ، وعصرنا الحالي

بحاجة إلى دور سياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي و إداري كبير لهذه الحوزة ، فهل ستنجح الحوزة في تحديث وتعديل مناهجها لتواكب العصر في ظل تقليديتها ، يرى أصحاب مأسسة الحوزة إن الشكل المؤسساتي هو الذي سيحقق ذلك، أما البقاء على الشكل الحالي فسيبقي المناهج الدراسية على حالها .

المبحث الثاني

شخصيات المؤسسة الدينية

سنحاول في هذا المبحث أن نبدأ من حيث انتهينا في المبحث الأول فقد دعا رجال شيعة معاصرون من العامة إلى إجراء عملية مأسسة المرجعية أي إقامة نظام للاختيار والمسؤوليات ونظام إجرائي للمحاسبة والتخطيط وشؤون الميزانية المالية ، وذلك لوضع حد للفوضى القائمة وللاستخدام الشخصي للأصول و الموجودات ... وحينما أحست شخصيات دينية قيادية بوجود هذا الضغط عملت على تقديم مبادرات ، كما شعر عدد آخر من رجال الدين بهذه الحاجة لغرض تجنب هدر الموارد[52] .

وقد برزت محاولتان : الأولى تجلت بتأسيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان أقره البرلمان وكان بجهود كبيرة من السيد موسى الصدر ، والمحاولة الثانية موضوع بحثنا كانت في العراق والتي أقدم عليها السيد محمد باقر الصدر .

لقد كانت محاولة السيد محمد باقر الصدر محاولة نظرية صرفة .. فقد هدف منها إلى خلق بنية منظمة للإشراف على شتى الوظائف التي يؤديها عادة المرجع التقليدي من خلال مجموعة من الحاشية أو الأتباع أو الأقرباء[53] .

ويقوم الصدر بتمييز المرجعية بطريقتين : الأولى من حيث الهدف والثانية من حيث الشكل[54] .

---

[52] - ابن النجف ، (اسم حركي) ، دور العلماء في قيادة الأمة ، (لا ذكر لجهة النشر) ، جماعة العلماء المجاهدين في العراق ، العدد/2 ، نيسان / أبريل 1981 ، ص 32- 33 .

[53] - المصدر نفسه ، ص33.

ففي سياق الهدف تكون المرجعية أما صالحة أو لا تكون ، وذلك اعتماداً على النهج الذي تتخذه . فهي صالحة إذا ما راحت :-

1- تنشر الإسلام وتعمل على تربية أبنائه .

2- نشر تيار فكري واسع على مستوى العالمية .

3- نشر وتوسيع ميادين الفقه والبحوث الأخرى وبشتى الميادين .

4- الإشراف على الأعمال الفكرية لإقرار الصالح وإصلاح المخطئ .

5- تعزيز الدور القيادي للمجتهد من الأعلى إلى الأدنى .

أما من الناحية الشكلية ، فيمكن للمرجعية أن تكون ذاتية معتمدة على شخص المرجع وحاشيته[55] أو موضوعية معتمدة على المؤسسة . وعلى المرجعية الشكلية أن تسعى إلى خلق جهاز تنفيذي للتسيير والتخطيط يكون قائماً على الكفاءة والتخصص وتقسيم العمل ، شاملاً جميع ميادين العمل الفكري للمرجع على ضوء الأهداف المعتمدة[56] ويجب تشكيل هذا الجهاز من شتى اللجان التعليمية والتربوية والبحثية والإدارية ولجان العلاقات العامة وشؤون الأمة الإسلامية والشؤون المالية[57] ويجب (تطوير شكل الممارسة للعمل المرجعي ، فالمرجع تاريخياً يمارس عمله المرجعي كله ممارسة فردية ، ولهذا تشعر كل القوى المنتسبة إليه بالمشاركة الحقيقية معه في المسؤولية .. أما إذا مارس المرجع عمله من خلال مجلس

---

[54] - لمحمد باقر الصدر مؤلفات وآراء فلسفية وسياسية وفكرية عديدة لذا سنركز على ما يهتم به البحث وحسب لذا لزم التنويه (الكاتب).

[55] - كاظم الحائري ، مباحث الأصول ، قم ، مركز الإعلام الإسلامي ، ربيع الأول 1407 هـ ، مجلد2 ، الجزء الأول ، ص 92 - 94 .

[56] - المصدر نفسه ، ص 94 .

[57] - المصدر نفسه ، ص 62 - 95 .

يضم علماء الشيعة والقوى الممثلة له دينياً ، وربط المرجع نفسه بهذا المجلس فسوف يكون العمل المرجعي موضوعياً)[58] .

وبوجود مجلس عام (مجلس جمعي) تتحد الذات (شخص المرجع) مع الموضوع (المؤسسة اللاشخصية) ليحافظا على الاستمرارية:

(شخص المرجع هو العنصر الذي يموت ، أما الموضوع (المجلس) فهو ثابت ، ويكون ضماناً نسبياً إلى درجة معقولة بترشيح المرجع الصالح في حالة خلو المركز)[59] .

وعليه فإن المرجع الجديد :

(لن يبدأ من الصفر ويتحمل مشاق هذه البداية .....)[60] .

وليس واضحاً ما إذا كانت المؤسسة التي اقترحها السيد محمد باقر الصدر ستعمل بصلاحية منفردة في قمة الهرم ، أو ما إذا كان الاختيار سيقوم على قاعدة الاقتراع ، أو ما إذا كانت هذه المؤسسة ستكون وطنية أم فوق وطنية .

أضفت الأوضاع الداخلية والإقليمية والفكرية العالمية على أفكار السيد محمد باقر الصدر ، صفة التأملات الفكرية النظرية حيث لم يكن من الممكن السماح لهذه الأفكار والنظريات أن تجد لها متسعاً في الساحة السياسية .

مضافاً إلى ذلك فإن الروح الوطنية كانت تفوح دون التدوين والمواقف لم تكن قد حسمت لصالح إصلاح الهرم الإسلامي ، لأن المستفيد لا يمكن أن يتنازل عن مصالحه خاصة إذا ما دققنا في التصرف الإيراني على مستوى الإعلام آنذاك فقد دفع الإعلام الإيراني وموقف حوزة النجف ، السلطة البعثية في العراق إلى وأد المفكر والفكرة .

---

[58] - المصدر السابق ، ص 96 .

[59] - المصدر نفسه ، ص 97 .

[60] -المصدر نفسه ، ص 97 .

الجهاد عند السيد الخوئي :-

الجهاد : من الجهد ،بالفتح ، لغة، التعب والمشقة ،أو بالضم كذلك أيضا، الواسع الطاقة ، وشرعا، بذل النفس وما يتوقف عليه من مال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص أو بذل النفس والمال الواسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإسلام .

وقال السيد الخوئي ، (الجهاد مأخوذ من الجهد / بالفتح / بمعنى التعب والمشقة أو من الجهد / بالضم / بمعنى الطاقة ، والمراد به هنا القتال لإعلاء كلمة الإسلام)[61]

يرى السيد الخوئي بوجوب الجهاد في عصر الغيبة عند توفر شروطه .. ، مقابل دعوة يتبناها بعض الفقهاء تقول أن الجهاد الابتدائي مختص بزمن الحضور وزمن الأئمة (عليهم السلام) ، أما في زمن الغيبة فلا جهاد[62].

يعد السيد الخوئي الجهاد ركناً أساسياً من أركان الدين ولا يمكن أن يكون مقيداً بزمان دون زمان أو مختصاً بوقت دون آخر . فالجهاد واجب في عصر الغيبة وفي كافة العصور لدى توفر شروطه ، وهو في زمن الغيبة منوط بتشخيص المسلمين من ذوي الخبرة ، فإذا تحققت شرائط الجهاد وتوفرت أسبابه فإنه يتعين على الفقيه الجامع للشرائط التصدي له سواء تحت عنوان الولاية العامة عند من يقول بها ، أو تحت عنوان الحسبة عند من يقول بالولاية الخاصة كالسيد الخوئي ، مما يعني أنه في مطلق الأحوال لابد أن يقوم الفقيه الجامع

---

[61] - وللجهاد أهمية تأتي بعد معرفة الأهداف التي يحققها، والأهداف هي : 1- الدفاع عن معاقل التوحيد 2- الدفاع عن المستضعفين 3- ازالة حالة الافتتان والعقبات عن طريق الدعوة 4- الدفاع عن المجتمع البشري (الانسان) .

[62] - السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، منهاج الصالحين ، العبادات ، م1،باب الجهاد، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي،قم،ط31، 2004،ص362.

للشرائط بالتصدي لعملية الجهاد في زمن الغيبة عند توفر الشروط اللازمة ، لتحقيق العزة والكرامة للإسلام والمسلمين"[63] .

ربما يعزى هذا الموقف المتفرد للسيد الخوئي في عهده إلى أسباب حياتية وتجارب عاشها ، فعلى امتداد عمره الذي قارب قرناً من الزمن شهد أهم أحداث القرن العشرين فقد عاصر الدولة العثمانية و القاجارية وشهد الحرب العالمية الأولى والثانية وسقوط الدولة العثمانية أمام الغزو الأوربي وثورة النجف وثورة العشرين والحرب العراقية الإيرانية لثمان سنوات والحكم الطاغي ودخول الكويت وانتفاضة **1991** وتداعياتها .

تطور المؤسسة الدينية في عهد الخوئي :-

امتاز السيد الخوئي بانشغاله بالتدريس إلى آخر أيام حياته على الرغم من ذلك فقد كان محققاً ومؤلفاً بارزاً ، كثير التأليف وتنوعت مؤلفاته ، فقد كتب في الأصول والرجال والكلام والتفسير وكتب في علم الأصول .

اهتم السيد الخوئي بدعم ورعاية جميع الحوزات العلمية في جميع بقاع الأرض، كما شهدت الحوزات ازدهاراً معيشياً ملحوظاً ، أما من جانب التوسع والتأسيس فقد بنا عشرات المدارس العلمية لتخريج العلماء والمبلغين في كثير من بلدان العالم مثل بريطانيا وأمريكا وتركيا والهند وباكستان وتايلاند وبنغلادش وأفريقيا ... وغيرها ، وبعث النهضة الإسلامية من جديد في تلك البلدان الواسعة والبعيدة ، وقد عاشت النجف تألقاً لم تألفه من قبل"[64] .

---

[63] - المصدر السابق ، ص 362 .

[64] - رضا حدرج ، ظروف وأحوال المرجعية ، مجلة الهدى ، السنة 13 عدد / 9 لسنة 1430 هـ ، ص 71 -72

وبذلك عاشت الحوزات العلمية في عصره نهضة كبيرة شكلت محطة هامة وغنية من محطات تطور المؤسسة الدينية وتقدم الفكر الحوزوي في التأريخ الشيعي وهذا ما يحسب للسيد الخوئي في تطوير المدرسة الشيعية .

لقد كانت فكرة إنشاء مؤسسات ومشاريع كبيرة خارج العراق وإيران فكرة جديدة في عالم المؤسسة الدينية .. ولعله أول مرجع اهتم بالعمل المؤسساتي وبهذه الطريقة الحضارية والواسعة الانتشار بحيث تجاوز العالم الإسلامي .. خاصة وأن السيد الخوئي اختار لندن عاصمة بريطانيا مقراً عاماً لمؤسسته الخيرية ووضع لها نظاماً مقرراً من قبله ، وقام بتأمين وضعها الشرعي والقانوني لإرساء قواعد قوية قادرة على حماية هذه المشاريع وتكفل لها الاستمرار والتطور[65] .

فمن خلال عمل هذه المؤسسات الدينية المنتشرة في العالم استطاع السيد الخوئي أن ينقل الحوزة من أجوائها التقليدية إلى الحياة العصرية التي يعيش فيها المسلمون في الغربة .. وكان كثيراً ما يؤكد على نظم الأمور ويشجع على تنظيم حقوق الأمة وتنظيم إدارة المشاريع والخدمات وكان يتابع أخبار المسلمين في العالم ويرسل المعونات والمساعدات إلى الفقراء والمحتاجين والعوائل المنكوبة من جرّاء الكوارث الطبيعية[66] .

ومن الواضح أن السيد الخوئي كان بارزاً في المجال الفقهي والعلمي وصاحب مدرسة عقلية خرّجت الكثير من المجتهدين ، ولم يؤثر عنه إنه خاض في العمل السياسي بالمعنى المتعارف ، إلا أن الاطلاع على مواقفه وسلوكه وآرائه مع ملاحظة الواقع الصعب

---

[65] - المصدر السابق ، ص 72 .

[66] - المصدر نفسه ، ص72 .

الذي عاشه العراق في زمن مرجعيته كل ذلك يعكس نظراً ثاقباً وبعداً سياسياً لا يمكن تجاهله[67] .

ففي عام 1990 أبان غزو الكويت احتضن المشردين من أبناء الشعب الكويتي وأمر وكلاءه بدفع مبالغ طائلة لرعاية شؤونهم في وقت لم تتحرك أي جهة إسلامية أخرى[68] .

وبعد توقف حرب الخليج الثانية وانكسار الجيش العراقي في الكويت حصلت انتفاضة شعبية عراقية ضد النظام عرفت بـ (الانتفاضة الشعبانية) ، وأصبح بيت الخوئي بمثابة غرفة عمليات لإدارة وترشيد الثورة بعد أن اتخذت طابع الانتقام من عناصر السلطة في بداية الأمر . وقد أصدر السيد الخوئي خلال الانتفاضة بيانين :

الأول : في 18 شعبان 1411 هـ الموافق 5 آذار 1991 م حث فيه الثوار على مراعاة الأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية تجاه عناصر السلطة وأموال الناس

والثاني : في 22 شعبان 1411 هـ الموافق 7 آذار 1991 م حيث عيّن بموجبه لجنة عليا من ثمانية علماء تتولى إدارة شؤون المجتمع وضبط الأمن[69] .

والملاحظ على أحداث عام 1991 هو غياب القيادة الدينية أو السياسية وإن كان الشعب يعتقد بهاتين القيادتين للمرجع إلا أن دوراً قيادياً لم يكن موجوداً فعلاً فإن دور السيد الخوئي كان منحصراً في محافظة النجف ، وسنبين بالتفصيل هذا الموضوع في الفصل القادم .

---

[67] - المصدر السابق ، ص 74 .

[68] - المصدر نفسه ، ص 79 .

[69] - المصدر نفسه ، ص 80 .

المصلح والمرجع والقائد الميداني السيد محمد محمد صادق الصدر :-

إن سلبية المرجعية في عهد السيد الخوئي ، وسكوتها عن الانتهاكات التي حصلت في المجتمع من قبل سلطة البعث ، أفضى إلى إشاعة اتجاهات تشاؤمية بين عامة الناس . هذه الاتجاهات ، تفيد ، أن المجتمع العراقي لن يستقر على حال ، وأن أحواله لن تصلح ، إلا بظهور الإمام المنتظر (عج) .

كذلك تصاعدت الاتهامات بين العامة ، مفادها ، أن المرجعية الحالية ، تعمل لمصلحة السلطة ، بل أشارت بعض الاتهامات إلى تواطؤ المرجعية مع السلطة ، بمعنى، أن السلطة والمرجعية تجمعهما منافع مشتركة ، وأن الناس ضحية لهما وربما تروج السلطة البعثية هذه الاتهامات لتشويه صورة المرجعية الدينية وفك ارتباط الناس بها .

وبذلك ، فإن مقولة فصل الدين عن الدولة ، ظلت سارية المفعول إلى وفاة السيد الخوئي ، بيد أن مؤيدي هذه المقولة من المراجع والعلماء ، أخذوا يواجهون حرجاً ما بعده حرج ، حينما انبرى آية الله محمد محمد صادق الصدر إلى قيادة الحوزة ، وبذلك تغير مسار المرجعية ، باتجاه التصدي لحل مشكلات المجتمع العراقي .. والمعروف عن السيد الصدر أنه من المراجع الدينية المجاهدة ، أي أنه جريء ولا يخشى السلطة ففي عام 1991 اعتقل على أثر بيان أصدره مؤيداً للانتفاضة[70] .

إن الصدر الثاني تصدى إلى قيادة الحوزة العلمية ، مستهدفاً إحداث إصلاحات فيها أدت بالمحصلة النهائية إلى إخراجها من طور الدرس الفقهي إلى طور التصدي لمشكلات المجتمع العراقي .

---

[70] - عادل رؤوف ، محمد محمد صادق الصدر : مرجعية الميدان ، مشروعه التغييري ووقائع الاغتيال ، ط2 ، قم ، مكتبة الصادق ، 2001 ، ص 92 .

ونشير إلى أهم هذه الإصلاحات: أنه أحيى شعيرة ، ظلت غائبة مدة طويلة ، ألا وهي ، صلاة الجمعة ، فقد أجاز الصلاة خلف المرجع الديني ، بعد أن كان الرأي السائد بين صفوف الشيعة بعدم جوازها إلا خلف الإمام المهدي[71] .

كذلك عمد إلى إحداث تواصل بين المرجع والمجتمع[72] هذا التواصل يفتح الحوزة على المجتمع عبر الفتاوى والخطب واللقاءات الحادثة مع العامة والتشاور معهم في شؤون الدين والدنيا .

كما وجه دعوة إلى المراجع لحضور الصلاة واستعداده للصلاة خلفهم ، أو أن يتولوا الخطبة مكانه . وكانت النتيجة أن الكثير منهم أحجم عن الاستجابة لهذه الدعوة .

كانت الدعوة إلى المراجع من أجل فتح قنوات بين المرجعية الدينية والمجتمع ، ومن ثم تكوين رأي عام ، يدعو إلى إحداث تغييرات سياسية حقيقية بعد ذلك .

والنتيجة المترتبة على ذلك إن صلاة الجمعة بدأت على نطاق ضيّق ، ثم أخذت بالاتساع في أرجاء مختلفة من المدن العراقية ، وكان عدد المصلين قليلاً في بادئ الأمر، ثم أخذ العدد يتزايد بعد أسابيع قليلة ، وأصبحت هذه الصلاة منبراً لتغيير اتجاهات الناس نحو موضوعات مختلفة ومنها : طريقة تعامل الناس بعضهم مع بعض ، والدعوة إلى التكافل الاجتماعي والإحسان وإدامة صلة القربى وإلى التعاون والتآزر في أوقات الشدائد ونصرة المظلوم ، وعدم كتمان الحق ، وكذلك الدعوة إلى تجنب تزيين السلع بما ليس فيها ، ودعوة مدمني الكحول إلى الكف عن التعاطي ، ولكن بصورة تدريجية ، كما وصلت دعوته المنبرية إلى الغجر ، إذ دعاهم إلى التوبة إلى الله ، وضرورة أن يبحثوا عن أعمال

---

[71] - المصدر السابق ، ص 205 ، ولا زالت هذه الصلاة قائمة يقيمها وكلاء السيد السيستاني رغم أنهم يعتقدون بعدم جوازها فقهياً إلا أنها تقام لأجل مصلحة سياسية حصرياً (الكاتب) .

[72] - المصدر نفسه ، ص 77 .

أخرى يكسبون منها رزقاً حلالاً ... وغيرها من الموضوعات المتصلة بالمسألة الاجتماعية والاقتصادية"[73] .

وبعد اتساع القاعدة الجماهيرية لمنبر الجمعة ، بدأ يطرح موضوعات سياسية ، غاية في الأهمية ، عمد إلى تحويل منبر الجمعة من الإرشاد الديني إلى الإرشاد الديني – السياسي وكأنه يريد من ذلك التحول الذي طرأ على موضوعات المنبر ، أن يحدث لدي قاعدته الجماهيرية ، تعبئة سياسية لمواجهة السلطة ، وذلك لحملها على تخفيف القهر والاستبداد ، وهو الأمر الذي أثار سخط السلطة واستياءها من منبره ، وأنها أخذت تضمر له ولقاعدته الجماهيرية ، العداء ، وقد تحول هذا العداء إلى سلوك عدواني صريح ، حينما أوعزت السلطة إلى أجهزتها الأمنية بملاحقة وكلائه واغتيال قسم منهم ، على أيدي مسلحين مجهولين"[74] وقد أثبت الصدر الثاني أنه شخصية غير اعتيادية ، وأنه امتداد للصدر الأول ، وهو يتبع نهجه في التصدي للسلطة .. ولعل ذلك أثار مخاوف السلطة ، ومما زاد في هذه المخاوف ، أن قاعدته الجماهيرية أخذت بالازدياد حتى أصبحت تعد بالملايين ، وهو الأمر الذي دفعها إلى اغتياله ، والزعم فيما بعد أن جماعة من داخل الحوزة دبرت له الاغتيال"[75] .

المؤشرات على التغيير الاجتماعي :-

1- إن منبر الجمعة أحدث انقساماً نفسياً داخل الحوزة العلمية ، بصدد العلاقة بين الدين والسياسة ، ففريق يقول بضرورة الفصل وآخر يقول بالدمج إلا أن الصدر الثاني وضع الجميع أمام خيارين لا ثالث معهما ، أما السكوت مع القهر والظلم ، وهذا خرق للقاعدة

[73] - صادق جعفر ، النهضة الصدرية : شبهات وردود ، في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة السيد محمد الصدر ، رجل الفكر والميدان ، إيران ، مطبعة الأمين ، 2001 ، ص 167 .

[74] - المصدر نفسه ، ص 167 .

[75] - المصدر نفسه ، ص 167 .

القائلة (خير الجهاد عند الله كلمة حقٍ في وجه سلطانٍ جائر) . وأما مقاومة القهر والظلم بكل الوسائل المتاحة. ولعل ذلك يتطابق مع قاعدة الجهاد[76]

2- انتشار الحجاب لدى الفتيات لاسيما طالبات الثانوية والجامعة فقد أصبح المصلي يلعب دور الداعية في أسرته .

3- ازدياد التعاطف مع الصدر الثاني لدى فئة المراهقين والشباب رغم التزامهم الديني الضعيف إبتداءاً .

4- أشاع منبر الجمعة الثقافة الشرعية بين الناس فقد أخذت الناس تغلّب قواعد الحلال والحرام في معاملاتها الحياتية .

5- لقد أخذ الخوف من السلطة يسجل انخفاضاً ملحوظاً بعد التعرض لخطاب منبر الجمعة . ذلك أن خطاب المنبر كان يحرض الناس على مواجهة الظلم والقهر . كما نبه الناس إلى مخاطر السكوت على الظلم الذي يؤدي بالمحصلة النهائية إلى تمادي الظالم في ظلمه وقهره[77] .

هذا وسيكون الفصل الثالث ميداناً للبحث في الظاهرة الصدرية ودورها في تأجيج الروح الثورية والمواقف البطولية في تسعينات القرن الماضي .

---

[76] - أياد محبوبة ، منهج الصدر الثاني في الإصلاح ، في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة الصدر ، مصدر سابق ، ص 61 .

[77] - المصدر نفسه ، ص 61 .

مواقف السيد السيستاني :-

بذل السيد السيستاني جهوداً واسعة ومحترمة بعد سقوط صدام 2003 للحيلولة دون إشعال فتيل الحرب بين الشيعة والسنة في العراق ، كما دعى الشيعة إلى التعاطي مع السلفيين والسنة انطلاقاً من المنطق والعقل والصبر[78] .

إن حوزة النجف كان لها دور بارز في النهضة الفكرية الإسلامية لكل المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، ولكن تذبذبت مدارس النجف بسبب الظروف السياسية بين مبدأين:-

1- مبدأ استعمال القوة .

2- مبدأ انتهاج سبل الإقناع عقائدياً وفكرياً .

وقد برعت النجف في استعمال هذين المبدأين حسب الظرف المناسب والزمان المناسب ، وعلى هذا الأساس لعبت النجف دوراً بارزاً في النهضة الفكرية للعراق وقيام الحركات السياسية[79] .

ومن الخصال التي يتمتع بها رجال الفقه (علماء الشيعة) في العراق أنهم يلامسون الناس آلامهم ومشاكلهم ويندمجون مع القواعد الشعبية ولهم النصيب الأوفر في المساهمة في حل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعانيها المجتمعات الإسلامية فضلاً عن بيان وتبليغ الشريعة المحمدية ... أبرز ما يميز المرجعية الشيعية منذ وجودها الأول ، انفصالها عن الأنظمة السياسية الحاكمة بكل شيء واعتمادها على إمكاناتها الخاصة

---

[78] - د. علي أبو الخير ، مجلة الهدى ، مصدر سابق ، ص 87 .

[79] - المصدر نفسه ، ص 122 . ؛ السيد محمد عبد الحكيم الصافي ، التسامح واللاعنف في فكر السيد السيستاني ، بحث في كتاب الإمام السيستاني أمة في رجل، تأليف حسين محمد علي الفاضلي ، دار سلوني / مؤسسة البلاغ ، لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 198 .

وأبناء الطائفة الشيعية في كل ما يلزم لبقائها واستمرارها كقيادة شرعية وزعامة روحية يلجأ إليها الناس في الأزمات .

ومع تفاقم الظروف السيئة التي فرضها النظام السابق في العراق على المناطق الشيعية والمدن المقدسة كالنجف وكربلاء تصدى المرجع الديني السيد السيستاني لحل واحدة من أكبر المشاكل التي يصطنعها النظام لإذلال وتركيع أبناء الطائفة الشيعية التي عرفت بجهادها لحكمه الجائر ، تلك مشكلة الكهرباء ، فقد أمر السيد السيستاني بنصب مولدات للطاقة الكهربائية على حسابه الخاص لتغذي أغلب المناطق في مدينة النجف[80] .كما أنه خصص رواتب شهرية من أموال الخمس للعوائل المحتاجة والمتضررة سياسياً ، أما أهم المساعدات فهي تقدم بالشكل الآتي :-

1- مساعدات الفقراء والمحتاجين ، بشكل ثابت ومؤقت .

2- مساعدة الهيئات والمواكب الحسينية .

3- المساعدات الطبية.

4- مساعدات في شهر رمضان .

5- مساعدات الزواج "[81] .

ويقدّم مكتب السيد السيستاني خدمات اجتماعية على مستوى إسلامي يتخطى العراق نذكرها حسب ما ورد عن موقع مكتبه الرسمي على الانترنت :-

1- مجمع آية الله العظمى السيد السيستاني السكني – إيران – قم .

---

[80] - المصدر السابق ، ص112 .

[81] - الموقع الرسمي للسيد السيستاني .... http://www.sistansdi.org

تم تشييد هذا المجمع على مساحة (40000) م^2 ويحتوي على (320) وحدة سكنية بعضها بمساحة (115) م^2 والآخر بمساحة (100) م^2 ، الوحدات مؤثثة مع وسائل التدفئة والتبريد . أنشئ عام 2001 م .

- يضم المجمع ملحقات أهمها :-

1- سوق عصري شامل .

2- قاعات مختلفة للبحث والتدريس .

3- صالات لإقامة المجالس والاحتفالات .

4- نادي رياضي .

العنوان : إيران – قم – ميدان خميني – خيابان كاركر .

2- مجمع الإمام الهادي السكني – إيران ، قم .

مساحة المجمع (14800) م^2 ويحتوي (180) وحدة سكنية مساحة الوحدة (85) م^2 وبشرط التمليك على شكل أقساط لمدة عشر سنوات . أنشئ عام 2002 م .

العنوان : إيران – قم – آسايشكاه – أول خيابان سراجه .

3- مجمع المهدية السكني – إيران ، قم .

ويحتوي على (200) وحدة سكنية وهو مشروع مشترك هذه الوحدات تخص السيد السيستاني ، حيث المشروع كبير جداً .

العنوان : إيران – قم – جادة أصفهان – شهرك، مهدية .

4- مجمع الزهراء (ع) السكني – إيران ، قم . مساحته (4000) م^2 ويشمل (50) وحدة سكنية مع سائر مرفقات المجمع .

العنوان : إيران – قم – آخر خيابان يزدان شهر – أول خيابان 15 خرداد .

5- مجمع ثامن الحجج (ع) السكني – إيران ، مشهد .

مساحة المجمع (72000) م2 ، يحتوي (200) وحدة سكنية ويضم المجمع مسجداً كبيراً وسوقاً عصرياً مجهزاً ، وصالات للتدريس والاجتماعات ومكتبة عامة وشبكة انترنت .

العنوان : إيران – مشهد – أول خيابان قوجان .

6- مؤسسة الأمام علي عليه السلام – إيران ، قم .

7- مؤسسة الأمام علي عليه السلام – بريطانيا ، لندن .

8- مؤسسة الأمام علي عليه السلام – لبنان ، بيروت .

9- مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد – العراق ، النجف[82] .

- أما المكتبات المتخصصة فهي :-

1- مكتبة تفسير وعلوم القرآن المختصة – إيران ، قم .

2- مكتبة علوم الحديث المختصة – إيران ، قم .

3- مكتبة الفقه والأصول المختصة – إيران ، قم .

4- مكتبة الفلسفة والكلام المختصة – إيران ، قم .

5- المكتبة الأدبية المختصة – إيران ، قم .

6- مكتبة التأريخ المختصة – إيران ، قم .

7- مكتبة المحقق الطباطبائي – إيران ، قم .

8- مركز الرسالة – إيران ، قم .

9- مركز الأبحاث العقائدية – إيران ، قم .

10- مركز المصطفى صلى الله عليه وآله للدراسات الإسلامية – إيران ، قم .

---

[82] - حسين محمد علي الفاضلي، الإمام السيستاني – أمة في رجل، المصدر السابق، ص 562 - 573 .

11- مركز إحياء التراث الإسلامي – إيران ، قم .

12- دار الزهراء (ع) الثقافية – إيران ، قم .

13- مركز البحوث والدراسات الفلكية – إيران ، قم .

14- مركز الإمام الصادق ﷺ لبحوث الطب الإسلامي – إيران ، قم .

15- مركز تأليف ونشر الكتب الدراسية الحوزوية – إيران ، قم .

16- المركز الثقافي – إيران ، قم .

17- بنك المعلومات الإسلامية – إيران ، قم .

18- مستشفى جواد الأئمة (ع) للعيون – إيران ، قم .

19- مستوصف الإمام الحسن المجتبى ﷺ الخيري – إيران ، إيلام .

20- مستوصف الإمام الصادق ﷺ الخيري – إيران ، قم .

21- مستوصف السيدة رقية (ع) الخيري للولادة – إيران ، إيلام .

22- مستوصف ولي العصر ﷺ الخيري – إيران ، قم .

23- مركز إغاثة اللاجئين العراقيين – إيران ، دزفول .

24- مساعدة الفقراء والمحتاجين ومتضرري السيول والزلازل – إيران .

25- مساعدة المهاجرين الأفغان – إيران ، مدينة زابل .

26- مركز الإمام الرضا ﷺ المعلوماتي – إيران ، مشهد .

27- مؤسسة الإمام الرضا ﷺ للبرامج الكومبيوترية – إيران .

28- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، قم .

29- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، شيراز .

30- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، إيلام .

31- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، مشهد .

32- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، طهران .

33- مركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات – إيران ، أصفهان .

34- مكتب آية الله العظمى السيد علي السيستاني – إيران ، قم" .

---

[83] - المصدر السابق ، ص 478- 561 .

المبحث الثالث

تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

ليس هناك اختلاف كبير بين التيارات والمدارس الإسلامية الفقهية والكلامية والسياسية ، على ضرورة قيام سلطة تحكم الاجتماع البشري الإسلامي وتنظمه ، وذلك لأن الحكومة من ضرورات العمران لحفظ مصالح الفرد والجماعة ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بما يكفل الاستقرار والأمن ، ويحقق العدالة بين أفراد المجتمع ، ويمنع تطاول بعضهم على بعض بالظلم والانتهاك للحقوق والحريات ، كما أن الدولة أو السلطة ضرورية لحفظ الدين وكيان الأمة ومقوماتها من الزوال"[84] .

إلا أن الاختلاف دائماً ما يظهر في كيفية الوصول إلى السلطة والحكومة ، أو مصدر مشروعية السلطة ... وطبيعة الحكم الإسلامي ، وآليات ممارسة السلطة ، وحدود مشاركة الشعب ، وغيرها من القضايا المتعلقة بالحكم والسلطة .

وبشكل عام فإن تطوراً مهماً حصل في بنية الفكر السياسي الإسلامي المعاصر في القرن العشرين ، توّج هذا التطور بالتجارب الإسلامية القائمة الآن في الحكم ، سواء على مستوى مشاركة الإسلاميين في الحكم أو مع استلام إسلاميين السلطة وانخراطهم في العمل السياسي على نطاق واسع"[85] .

---

[84] - محمد دكير ، تطور الفكر السياسي المعاصر من الاستبداد إلى ولاية الفقيه ، في كتاب المنهاج ، العدد /10 ، مركز الغدير للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 2011 ، ص 7 .

[85] - المصدر نفسه ، ص 11 .

الدين والسياسة :

من ينظر إلى السياسة والحكومة بهاجس ديني لابد وأن تحظى العلاقة لديه بين الدين والسياسة بأهمية خاصة ، إن جوهر الدين هو الإيمان ، ويقال عادة في تحليل الإيمان ، أنه ظاهرة ثلاثية الأبعاد والوجوه ، لها وجه معرفي ، وآخر عاطفي ، وثالث إرادي ، والعنصر الرئيسي في الإيمان إرادة الإنسان ، ورغبته بأن يعيش حياة إيمانية[86] .

هذه الإرادة تتجلى في العمل والممارسة السياسية للمؤمن أو في جوانب مختلفة من حياته ، وليست السياسة هي الميدان الذي تتجلى فيه الإرادة للحياة الإيمانية، إذن ما هو نوع العلاقة بين الإيمان وإرادة الحياة الإيمانية وبين السياسة والحكومة ؟ .

تاريخياً ، يظهر أن صدامات وقعت بين السلطة الدينية والسلطة السياسية على الرغم من أن الثانية كانت تستمد سلطتها من الأولى ومن دعمها لها على اعتبار أن السلطة الدينية هي هبة من الله حباها للحكام شريطة عدم التعدي على نطاق واجبهم وعدم تدخلهم في شؤون الدين ودائرة الصلاحيات الدينية الممنوحة لهم من الله[87] .

وثمة تساؤلاً يُطرح في العالم الإسلامي ، مفاده : هل يسوّغ لنا تشريع قوانين ومقررات جديدة ، في باب الأسرة والمجتمع ، ونظام الحكم ، تقوم على أسس نظرية فلسفية وعلمية جديدة ، تختلف عمّا هو موجود في الكتاب والسنة ؟ ألا يؤدي تبني هذا الاتجاه إلى مخالفة الأوامر والنواهي الإلهية ، والإعراض عن المبادئ والقيم والمعايير الموجودة في الكتاب والسنة ؟ .

---

[86] ـ الشيخ محمد مجتهد ، الإسلام المعاصر والديمقراطية ، ثقافة التسامح ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، 2004 ، ص 53 .

[87] ـ المصدر نفسه ، ص 55 .؛ جعفر السبحاني ، مفاهيم القرآن ، دراسة موسعة عن صيغة الحكومة الإسلامية وأركانها وخصائصها ، ج 2 ، مؤسسة الصادق ، قم ، ط 4 ، 1413 هـ .

إن رجال الفقه والأصول ، على الرغم من تعاملهم مع الكلام الإلهي بمقاييس ومعايير إنسانية ، وتطبيقهم لتلك المعايير في فهمه ، عادوا ووضعوا له ملامح وخصوصيات ، تجعله مغايراً كلياً للكلام الإنساني ، فقالوا مثلاً : (إن جميع الأوامر والنواهي الواردة في الكتاب متعالية على التأريخ) ، ولا تختص بمكان أو زمان"[88] .

وبذلك كونوا لأنفسهم تصوراً وتصديقاً عن الأحكام الشرعية يفترض هذا التصور ، إن تلك الأحكام الجارية في الحقلين السياسي والاجتماعي ، شاملاً لجميع الناس إلى اليوم الآخر من أيام الدنيا . . إلا أن هذه الأوامر والنواهي الوضعية الجادة في مقام التقنين البشري يجري تشريعها استجابة لظروف تاريخية واجتماعية معينة ، ولمخاطبين معينين ، وتتطلع إلى تحقيق أهداف وأغراض معينة"[89] .

الواقع أن هذه المشاكل ناجمة بالأساس من عدم وجود نظرية واضحة ومقبولة بشأن معنى الكلام الإلهي ، لا في علم الكلام ، ولا في علم الأصول الذي يمدنا بالمبادئ النظرية للفقه .

وبالتالي فإن حجم التنظير السياسي وكثافة الأدبيات السياسية الصادرة خلال العقود الأخيرة ، إضافة إلى التجارب التي يخوضها الإسلاميون الآن وهم يخوضون ويمارسون السلطة ذلك كله يجعل الحديث عن ملامح تطور في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر مسوغاً من الناحية المنهجية .. وتبقى أهم النظريات في هذا الصدد هي ثلاث نظريات :-

1- نظرية الشورى .

2- نظرية الديمقراطية .

3- نظرية ولاية الفقيه .

---

[88] - محمد مجتهد ، المصدر السابق ، ص 64 .

[89] - المصدر نفسه ، ص 67 .

1- نظرية الشورى :

والشورى كما عرّفها بعض المعاصرين هي (استطلاع رأي الأمة المسلمة ، أو من ينوب عنها في الأمور المتعلقة بها لمعرفة الرأي والصواب أو الحق فيها ، لأن العقول إذا ما اجتمعت وتشاورت ، وضح السبيل أمامها ، أو توضحت السبل أمامها كالمصابيح التي باجتماعها يزداد النور)[90]..

إن التأريخ الإسلامي متخم بمظاهر الاستبداد وكبت حرية الرأي ، .. والشورى لابد لها من حرية الرأي والقدرة على إبدائه ، كما أن التأريخ لم يحدثنا عن مؤسسة أو هيئة أنشئت باسم الشورى أو أهل الشورى .

الحقيقة أن الأدبيات السياسية الإسلامية التي تحدثت عن الشورى وعن البيعة وأهل الحل والعقد ظلت تعاني من النقص الفادح ، لأن نصوص القرآن والأحاديث النبوية ووقائع التأريخ الإسلامي لم تسعفها في تأصيل هذه المفاهيم . وهذا ما يفسر الاختلافات بين الكتّاب الإسلاميين في تحديد مفاهيم هذه المصطلحات[91] .

إن المشكل الحقيقي في العالم العربي والإسلامي كان ولا يزال يكمن بالنظر إلى السلطة باعتبارها ملكاً شخصياً فالحاكم أياً كانت صفته ، يمارس السلطة كأنه يتصرف في ملكه الشخصي لذلك لا يتعامل مع المعارضة بطريقة سوية بل بشراسة وعنف .

---

[90] - مهدي فضل الله ، الشورى – طبيعة الحاكمية في الإسلام ، بيروت ، دار الأندلس ، ط 1 ، 1984 ، ص 53 .

[91] - مهدي فضل الله ، المصدر السابق ، ص 53 . ؛ جعفر السبحاني ، المصدر السابق ، ص 316 .

2- نظرية الديمقراطية :-

تعرضت الأدبيات السياسية الإسلامية ، في أثناء الحديث عن الشورى ، للديمقراطية الغربية ، فعقد بعض الباحثين مقارنات بين الشورى والديمقراطية ، ونتيجة هذه المقارنات ظهرت مجموعة من المواقف تجاه الديمقراطية باعتبارها آلية ونظاماً سياسياً قائماً بذاته .

أ – الرافضون للديمقراطية :-

حمل أصحاب هذا الموقف على الديمقراطية بشدة وعدّوها محرمة بل هي من قبيل الكفر ، لأنها جزء من مشروع غربي يهدف إلى أمرين :-

1- علمنة الدولة الإسلامية ونشر التحلل والفساد الأخلاقي والقيمي .

2- تمكين التيارات العلمانية من الوصول إلى الحكم ومن ثم محاربة الإسلام .[92]

ودليل هؤلاء هو إصرار الغرب الدعوة إلى تطبيق الديمقراطية السياسية في العالم الإسلامي ، إلا أن أنظمة عربية وإسلامية شمولية مستبدة حرضت الشارع على اتخاذ موقف سلبي من الديمقراطية ، وذلك خوفاً من تآكل سلطتها وهيمنتها لذلك لابد من التمييز بين موقفين من الديمقراطية :-

فموقف يمثل بؤرة مسكونة بالالتباس إذ هو مثقل بعبء التأريخ إلى حد بعيد وتؤدي الذاكرة دوراً حاسماً في إثارة الشكوك والهواجس وربما الرفض والاتهام[93].

وموقف بعض الأنظمة الشمولية المستبدة التي تستغل هذه الهواجس وتستثمرها لصالح إبقاء الوضع على ما هو عليه .

---

[92] - أ. محمد دكير ، الدين والسياسة ، المصدر السابق ، ص 20 .

[93] - المصدر نفسه ، ص 20 .

إلا أن الإعلام الغربي قد يلعب دوراً كبيراً في رفض قطاع كبير من الشعوب الإسلامية للديمقراطية بسبب العداء الظاهر في الإعلام الغربي للإسلام .

ويتساءل الرافضون للديمقراطية عن جدوى استيرادها ما دام للإسلام نظامه السياسي الخاص به كنظام يرتكز على الشورى وهي أعم وأوسع من الديمقراطية أو على حد تعبير الباحث توفيق الشاوي (الشورى أعلى مراتب الديمقراطية)[94] .

ب- المناصرون للديمقراطية :-

لقد انبرى عدد من كبار المفكرين الإسلاميين للدفاع عن الديمقراطية والرد على ضجيج الرافضين لها ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي في معرض رده على تساؤل يرى أن الديمقراطية قبيل الكفر :

(الغريب أن البعض يحكم على الديمقراطية بأنها منكر صراح أو كفر مباح ، وهو لم يعرفها معرفة جيدة ، تنفذ إلى جوهرها وتخلص إلى لبابها بغض النظر عن الصورة والعنوان .. إن جوهر الديمقراطية .. أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم ، وأن لا يفرض عليهم حاكم يكرهونه ، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ ، وحق عزله إذا انحرف ...)[95].

هذا هو جوهر الديمقراطية الحقيقية في نظر القرضاوي التي وجدت البشرية لها صيغاً و أساليب عملية مثل الانتخاب، والاستفتاء العام، و ترجيح حكم الأكثرية، و تعدد الأحزاب السياسية وحق الأقليات وحرية الصحافة و استقلال القضاء ......الخ

---

[94] - توفيق الشاوي، الشورى، القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي ، ط 1 ، 1994 ، ص 51 .

[95] - فهمي هويدي، فتاوي معاصرة، المستقبل العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 2003، ص 28.

ويتساءل القرضاوي هل الديمقراطية في جوهرها تتنافى مع الإسلام ؟ ومن أين تأتي هذه المنافاة ؟ ويجيب القرضاوي : الواقع أن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام" .

3- نظرية ولاية الفقيه :-

ظلّ الفكر السياسي الشيعي متمسكاً بالانتظار منذ الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، المهدي (عج) في القرن الثالث الهجري .. فقد امتنع المجتمع ألإمامي وعلى رأسه علماؤه عن الانخراط في أي نشاط سياسي أو تنظير في هذا المجال بل تفرغ علماؤه إلى تدوين الفكر الشيعي وتهذيبه وبناء صرح المذهب فقهياً وكلامياً" .

أما على المستوى السياسي فإن الجهد الفكري قد انصب على تأصيل مفهوم الولاية الذاتية للأئمة نقلاً وعقلاً والدفاع عنها وشرح أدلتها .

ومع ذلك فقد وقع الاختلاف على سعة الولاية وظلت مباحث الولاية حبيسة الكتب ولم يتم تبنيها باعتبارها نظرية سياسية إلا مع الخميني ، في إيران إذ قاد ثورة أدت إلى قيام دولة إيران الإسلامية أما تنظير السيد محمد باقر الصدر فلم يُكتب له الظهور بسبب القمع الذي مارسه معه النظام السياسي في حينه الذي انتهى بمقتله رضوان الله عليه .

أما على مستوى التنظير فإن محمد حسين النائيني قد سبقهم في ذلك في بداية القرن العشرين إلا أن العراق لم يكن فيه منظّر سياسي على مستوى النظرية سوى محمد باقر الصدر في العراق المعاصر وإلى الآن رغم أن العلماء الموجودين اليوم يعتبرون أنفسهم أعلم الأحياء والأموات إلا انه لم يظهر لنا أحد منهم بنظرية أو رأي سياسي ناجع!!! .

---

[96] - المصدر السابق ، ص 20 .

[97] - المصدر نفسه ، ص 31 .

الفصل الثاني
الدور السياسي للمؤسسة الدينية
خلال انتفاضة 1991

- المبحث الاول/ المؤسسة الدينية والانتفاضة
- المبحث الثاني/ الدور الإعلامي للمؤسسة الدينية في الانتفاضة
- المبحث الثالث/ الدور السياسي للمؤسسة الدينية في الانتفاضة

مدخل

انتفاضة : كلمة مشتقة من الفعل نفض ، يقال في اللغة العربية نفض الثوب ، أي ضرب الثوب بالهواء لإخراج الغبار منه" . بمعنى نظفه من الغبار العالق به ، وتأتي بمعاني أخرى . أما المدلول السياسي ، فإن الانتفاضة ، هي نموذج لعلاقات القوة بين عدد من أفراد المجتمع يتمكنوا من خلالها التأثير في الجماهير وتحريكها نحو هدف أو أهداف محددة ، دون أن تكون لهم سلطة حقيقية على الجماهير ، وإنما يحاولون أن يجندوهم من خلال خطبهم وبراجهم السياسية وأطروحاتهم التي تلبي حاجة هذه الجماهير في التطلع إلى أوضاع أفضل من تلك التي يعيشونها ، والعمل على توسيع مساحة المشاركة الجماهيرية لتضم مختلف الأعمار والمهن" .

والمنتفضون يعتمدون على تسليحهم الذاتي أو ربما يُساعَدون من قبل الأطراف التي تساعدهم وتشجعهم وليس لهم مستوى تنظيمي منظور ، مما يعني قلة الترابط بين صفوفهم .

كما أنهم لا يطمعون إلى إقامة نظام سياسي مستقل أو رغبة في الوصول إلى سدة الحكم ، فأهدافهم دون ذلك بكثير ، وتتبنى الانتفاضة أسلوب السلطة الشعبية بدلاً من السلطة الموحدة أو المركزية ، ومن المعروف أن للمناخ السياسي السائد أهمية في إخماد الانتفاضة أو توهجها من جديد ، وتتصف الانتفاضة بمحدودية تلاحم المنتفضين لاختلاف الأنسجة العمرية والثقافية والاجتماعية والسياسية ويعتمد نجاح الانتفاضة على عدة عوامل منها :

1- التعبئة المستمرة لغرض التواصل والاستمرار وإدامة الزخم الثوري ومحاولة إثبات إنها ليست حالة وقتية ، وخلق حقائق جديدة على الأرض .

---

[98] - فؤاد افرام البستاني ،منجد الطالب ، دار المشرق ،بيروت ،لبنان،ط22، 1986، ص 14

[99] - د. أحمد عطية الله السعيد ، المصدر السابق ، ص 396 .

2- العمل على تسريع خطواتها وتوسيع الرقعة الجغرافية إلى أوسع المديات الممكنة ، والعمل على تجاوز النكسات والرجوع إلى المسار الصحيح .

3- بناء الهرم التنظيمي من خلال إنشاء اللجان الشعبية التي تقوم بواجباتها التنظيمية و التعبوية وتأمين تواصلها مع قيادات يتوسم فيها صفات القائد الحقيقي .

4- رفض سياسة الخضوع إلى أجندات خارجية .

5- العمل على تطوير وتصعيد وتائر الوعي الوطني ، وتأمين بوادر الصحوة الشعبية ، واستنهاض روح الانتماء الوطني والقيم الروحية والحضارية المتأصلة في الجماهير .

6- تكوين القاعدة الشعبية وإدامة الزخم من خلال توسيع المشاركة الجماهيرية ، والتغلب على الخوف وكسر الحواجز النفسية تجاه الخوف من الآخر أو مواجهته.

7- استنفار القوى الشعبية وكل الطاقات والإمكانات والكفاءات على مختلف الأصعدة من أجل إدامتها .

8- وضوح الأهداف، والهوية، والابتعاد عن العفوية والتلقائية في التعامل مع الحدث.

9- تلافي أسباب الانشقاق والتشتت والتمزق .. كالمذهبية والطائفية والعنصرية والمصالح الحزبية الضيقة والنفعية .

10- محاولة خلق تعاطف دولي ورأي عام ضاغط لتأييدها ونصرتها ودعمها ، مادياً ومعنوياً ولوجستياً وعلى مختلف الأصعدة .

الاختلاف بين الثورة والانتفاضة :

يختلف مفهوم الانتفاضة عن الثورة في الكثير من الأسس والمقومات ، أهمها ، إن الثورة ذات نطاق أكبر وأوسع من الانتفاضة ، فهي تمثل تغيير كلي جوهري في الأوضاع

السياسية والاقتصادية والثقافية ، من خلال تغيير نظام الحكم القائم سواء تم من خلال العنف كالانقلابات العسكرية أو تسليم السلطة بدون عنف"[100] .

كما أن للثورة مفهوم أكثر اتساعاً من الانتفاضة فهي تتبنى مفاهيم كثيرة ، أهمها التغيير الجذري والشمولية والهدف المنشود والوسيلة لتحقيق الهدف ، وفي الوقت الذي تخلو الانتفاضة من هرم تنظيمي كفء فإن الثورة تستلزم مثل هذا التنظيم باعتباره القاعدة الأساسية لبناء المؤسسات الجديدة القادمة .

فضلا عن وجود القائد أو الزعيم الملهم الذي يمتلك صفات قيادية تؤهله لتسيير الجماهير من خلفه ومنها المركزية والثقافة والخطاب السياسي المؤثر والمعرفة التامة بمشاكل المجتمع وكيفية معالجتها إضافة إلى وحدة القيادة وعدم الازدواجية ، في حين أن الانتفاضة تتميز بتنوع وتعدد المراكز القيادية رغم أن هذا لا يعني الافتقاد إلى عناصر قيادية مؤثرة ، وغالباً ما يصاحب الثورة منظرين استراتيجيين وكتّاب ومحللين ومثقفين وإعلاميين في حين تفتقد الانتفاضة لهم"[101].

[100] - أحمد عطية الله السعيد ، المصدر السابق ، ص 397 .

[101] - هادي نسيرة ، نظريات السلطة ، صراع المفاهيم والرؤى ، ص 6 ، في مدونة الرشيد http://www.intifaza.com

المبحث الأول

المؤسسة الدينية والانتفاضة

علاقة الانتفاضة بالواقع الإسلامي ، يكاد يلخص عنوانها السياسي ، دون أن يلغي شموليتها أو اشتراك فئات سياسية علمانية بها ، ودون أن يؤثر على الجدل الحاصل حول كونها جاءت عبر تخطيط القيمين عليها ، أو أنها جاءت محصلة عفوية من الانفجار الشعبي.

ففي النتيجة أن قادتها كانت كوادر إسلامية ، ووزعت فيها شعارات ومناشير وقصائد إسلامية أيضاً . كما كان للمرجعية دور فيها .. حتى مواجهة السلطة لها كانت باتجاه إنها انتفاضة إسلامية وبرز ذلك من خلال شعار (لا شيعة بعد اليوم) الذي كتب على الدبابات المستخدمة في قمع الانتفاضة . وتعتبر الانتفاضة ثاني أكبر حدث تاريخي في القرن العشرين على مستوى العراق ، فإن ثورة العشرين كانت ثورة شيعية برز فيها دور رجال الدين بشكل واضح جداً ، وانتفاضة 1991 كانت الحدث الثاني فيما لم يشهد العراق ما بين هذين التاريخين أي احتجاج شعبي شمولي ولا دوراً اجتماعياً ثورياً بحجم ثورة العشرين أو بحجم الانتفاضة الشعبانية 1991[102] .

ففي ظل أحوال الثمانينيات من القرن العشرين تنامت قوة منطقة الأهوار جنوب العراق ممثلةً المعارضة السياسة الحقّة للنظام السياسي ولكن ضمن صيرورة تراكمية بطيئة في البداية ، ولكن في ظل تراكمات مستقبلية ، أهمها الإحساس بالخسارة الكبيرة التي منيت بها الحركة الإسلامية بإعدام الشهيد محمد باقر الصدر والآلاف من رموز وكوادر هذه

---

[102] - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي في العراق .. بين المرجعية والحزبية ، المركز العراقي للدراسات ، بيروت ، ط 3 ، 2005 . ص 436 .

الحركة ، واتساع حالة الوعي الإسلامي الذي ولّد هذا الإحساس .. تحولت الأهوار إلى ملجأ للعناصر الثورية غير المؤمنة بالنظام السياسي وسياساته الأمنية القمعية ، كما أنها تحولت إلى قاعدة لبعض الحركات الإسلامية .. وبمرور الزمن تكونت نواة إسلامية ثورية، ستأخذ على عاتقها لاحقاً العمل الجهادي ضد السلطة وسيتطور عملها إلى التفكير بالإعداد للثورة عليها"[103] .

قيادة الانتفاضة الشعبانية :-

إن المعارضة الإسلامية في الخارج كانت لديها خطوط جهادية تعمل داخل العراق، وبمستويات مختلفة ، إلا إنها تفاجأت بقيام الانتفاضة ، وهذا لعدم تخطيطها لهكذا عمل ثوري ضخم .

في حين أن حزب الدعوة الإسلامية اعتبر نفسه مسؤولاً عن تفجير الانتفاضة، حيث معظم القادة الميدانيين لمجاميع الأهوار كانوا أما دعاة أو إنهم على اتصال بقيادة الدعوة خارج العراق ، لذلك فإن من أهداف الحزب وتخطيطه هو قرار الانتفاضة ففي بيانٍ للحزب يقول : (إن قوات الشهيد الصدر كانت قد بُلِغت تبليغاً مركزياً بمراقبة تطورات الأحداث والعمل على استثمار الموقف إذا سمحت الظروف ، لذلك بدأت تحركها مع الجماهير في اليوم الرابع عشر من شعبان 1411 هـ باتجاه ناحية الطّار وامتدت إلى ناحية الفهود وقضاء سوق الشيوخ فتحررت من قبضة السلطة . ثم انطلقت خطوط حزب الدعوة الإسلامية الجهادية في الساعة الثالثة من فجر يوم الخامس عشر من شعبان في مدينة البصرة من حي الحسين ومنطقة الجمهورية بنفس القرار ثم امتدت على شكل ثورة شعبية عارمة عمت كل أرجاء المدينة وهجمت الجماهير على منظمات حزب البعث .. وهي ترفع

---

[103] - عادل رؤوف ، العمل الاسلامي ، المصدر السابق ، ص 437 .

الشعار الإسلامي ، .. فتحررت المدينة في حدود الساعة الثانية بعد الظهر ذلك اليوم .. ثم امتدت الثورة واتسعت لتشمل مدن العراق كافة)[104] .

(ولم يكن الذي حصل في العراق أمراً مفاجئاً من الناحية النظرية والتخطيطية لحزب الدعوة الإسلامية ، بل كان نتيجة طبيعية للدور الحركي الكبير الذي تحمله الدعاة والمجاهدون في هذا البلد)[105] .

والحقيقة أن بعض القادة الميدانيين كانوا على علاقة بحزب الدعوة الإسلامية وليسوا دعاة فيه أو قادة له ، ولأن غياب القيادة كان واضحاً لدى مجاهدي الهور ، ولأن حزب الدعوة في الداخل والخارج لم يستطيع أن يوفر ذلك القائد الرمز ليقود الانتفاضة ، الأمر الذي شكّل أزمة حقيقية للمنتفضين[106] .

فيما أن هناك هاجساً ترك آثاراً سلبية حال دون بلورة القيادة في الداخل بالشكل المطلوب وهو هاجس قيادة الخارج فجميع المنتفضين كانوا يتطلعون إلى قيادة قادمة من الخارج عبر ميكروفونات ومكبرات الصوت التي شهدها الداخل أثناء الانتفاضة وقد ساهم الخارج بتشجيع هذه الإشاعات عن طريق سرد القصص ولو بشكل غير مباشر، وعبر بيانات أذيعت (والتي أهملت حث الداخل على قيادته الميدانية الخاصة وتوجيه الأوامر إليه فقط بما يوحي إلى الداخل بأن هناك قيادة خارجية قادمة إليه ستمسك بدفة الأمور وتوجه الأحداث)[107] .

---

104 - صوت الدعوة ، نشرة خاصة بالدعاة ، العدد 44 ، محرم 1414 هـ ، ص 91 - 92 .

105 - المصدر نفسه ، ص 92 .

106 - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي في العراق ، المصدر السابق ، ص 433 .

107 - المصدر نفسه ، ص 433 .

ولعل النظام انتهز الضياع القيادي فبادر بدوره في ترويج الإشاعات والأكاذيب ليتمكن من السيطرة على الموقف .

أما موقف المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق فقد كان موقفه من الانتفاضة متذبذباً ، فكما هو معروف إن نظرية القائد الرمز قد تبناها المجلس في تأسيسه وإن الانتفاضة كانت بحاجة إلى هذا الرمز وهي متطلعة إليه بصدق ، ولذلك فإن البطء الذي أصاب تحرك المجلس الأعلى في تحركه كانت له أسبابه بالتأكيد فالمجلس مرتبط مباشرة بالمرشد الإسلامي الأعلى لإيران وأن جميع المعارضين العراقيين في إيران مرتبطين بالمجلس الأعلى ولذلك لم يستطيع المجاهدين العراقيين في إيران أن يخطوا خطوة واحدة دون السماح لهم من المرشد الإسلامي الأعلى في إيران .

ونبرز هنا وثيقة تدل على ذلك نقلاً عن عادل رؤوف :[108]

(من / قيادة 9 / بدر

إلى كافة الوحدات والتشكيلات .. توجيهات وأوامر ممثل الولي الفقيه للقوات المسلحة العراقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرفق لكم توجيهات الممثل .. ونأمل العمل بموجبها وإطلاع المعنيين والفئات العاملة معكم عليها لتحقيق التطبيق الكامل لها وفّقكم الله للدفاع عن الإسلام والمسلمين .

محور باختران لتعميمها على قاطع الغرب

ابو علي البصري

بسمه تعالى

(دفتر نمايندة فقهي وإمام جمعة دزفول)

---

[108] -عادل رؤوف، العمل الاسلامي في العراق، المصدر السابق، ص 444 .

يجب على القوات المسلحة في سبيل الله الالتفات إلى النقاط الآتية والعمل بموجبها :-

1- يجب شرعاً على جميع القوات المسلحة العراقية إطاعة قيادة هذه القوات المتمثلة في سماحة سيدنا آية الله الحكيم والتخلف عن أوامره حرام .

2- العمل المسلح الذي ينطلق من الحدود الإيرانية الإسلامية يجب أن يتم ضمن إطار القوات المسلحة العراقية الخاضعة لسماحة آية الله الحكيم وكل عمل يتجاوز ذلك لا يعتبر شرعياً .. ويعتبر مخالفة لقوانين الجمهورية الإسلامية وقرارات القيادة الإسلامية .

3- يجب على المنتمين للفئات والأحزاب التي تتخذ من أراضي الجمهورية الإسلامية وحدودها منطلقاً للعمل المسلح الانضمام للقوات المسلحة العراقية والخضوع والطاعة العامة لقيادة هذه القوات المتمثلة في سيدنا آية الله الحكيم حفظه الله تعالى ويتعامل مع المنتمين إلى الفئات والأحزاب كما يتعامل مع سائر أفراد القوات المسلحة العراقية ولا يجوز لهم إيجاد تشكيلة مستقلة داخل القوات المسلحة أو خارجها وإنما يعملون كمقاتلين عاديين يخضعون لكل أوامر القيادة ويجري عليهم كل القرارات التي تجري على سائر المقاتلين ويحاسب على المخالفة كما يحاسب غيرهم .

4- تطويع العراقيين داخل حدود الجمهورية الإسلامية إنما يتم من خلال تعبئة المجلس الأعلى وضمن تدابير وقرارات قيادة القوات المسلحة ولا يجوز لأي فئة أو حزب القيام بعمل التطويع في الجمهورية الإسلامية .

5- الروحانيون والمبلغون سواء المتواجدون منهم بين القوات أو في المخيمات ومناطق استقرار المهجرين لا يجوز لهم التبليغ لأية جهة وإنما يجب عليهم تبليغ الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية الثورية والدعوة إلى وحدة الصفوف والثورة ضد الحكم الطاغوتي الجاثم على صدر شبعنا الإسلامي في العراق .

(ممثل الولي الفقيه في القوات المسلحة محسن العراقي)[109]

ورغم كل هذه التحضيرات الرسمية إلا أن المجلس الأعلى لم يكن له أي دور في الانتفاضة، بل كان دوره سلبياً وهذا ما دعا العلامة محمد باقر الناصري أن يقول: (إن الجميع يعلم إن المجلس وقيادته قد تخلفوا عن تلبية نداء العراقيين في ثورتهم العظيمة في شعبان عام 1991 ، وكان الخطأ الفادح الذي ارتكبه ثوار الداخل هو اعتمادهم على قيادة الخارج وشعاراته والإعلام المظلل ، الذي خدع الداخل وأمّلهم بالآمال العريضة ، مما حرمهم الاعتماد على النفس علماً بأن للمجلس دوراً كبيراً في تعويق وصول العراقيين من الخارج وإمدادهم بالرجال والمساعدات المطلوبة . والجميع يعرف إن المجلس وقواته قد أغلقوا كل الحدود العراقية ، وحالوا دون دخول العلماء والمجاهدين الذين تكدّسوا بالآلاف في الحدود الجنوبية ، وعشنا أحرج اللحظات ونحن نحاول إقناع جماعة المجلس أن يسعوا لفسح المجال والدخول أو السماح لنا بالدخول ، وجرت الأمور كما يعرف الجميع على القاعدة (لا أغنيك ولا أخليك تكدّي) مما فوت أعظم فرصة ذهبية على الشعب العراقي في إزاحة كابوس هذا النظام المجرم العميل)[110] .

لقد مر المتفضون بحالة من القلق النفسي والشرعي مضافاً إلى ذلك مشكلة انهيار مؤسسات الدولة الأمنية والخدمية والصحية .... الخ إذ تبلورت قيادات محلية من الأهالي في كل مدينة ومحافظة إلا إن ذلك لم يحل الإشكال لعدم وجود القيادة المركزية للانتفاضة.

---

109 - هذا نص الوثيقة كاملاً حسب ما ورد عن عادل رؤوف ، العمل الإسلامي في العراق ، المصدر السابق ، ص 444 - 446 .كما ان لفظة (الحكيم) في البيان يقصد بها السيد محمد باقر الحكيم الذي اغتيل عام 2005 اثر عمل ارهابي في مدينة النجف الاشرف.

110 - الشيخ محمد باقر الناصري ، ملاحظات حول دراسة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ، دراسات عراقية – العدد 11 ، تشرين الأول – أكتوبر 1999 ، جمادي الآخرة 1420 هـ ، ص 7 .

التطورات السياسية الإقليمية :-

بدأت المؤسسة الدينية مع قدوم المرجع الجديد السيد أبو القاسم الخوئي تتراجع ، وبدا واضحاً إن المرجع الجديد يختلف اختلافاً عميقاً عن سابقه السيد محسن الحكيم وبدا إنه رجل دين لا يحب أن يتدخل في العمل السياسي ولا يحب العمل مع السلطة كسابقه وقد مثّل ذلك تراجعاً في النسق القيادي الشيعي بعدّه ارتداد إلى القيادة التقليدية[111] .

لقد عُرِفَ عن المرجع الجديد كأحد رجال الدين المعروفين إلا إن الانتقاد الذي وجه إليه هو قلة الوعي السياسي ورؤيته الفكرية التي تميل إلى الابتعاد عن السياسة وشؤونها وهذا الأمر ولّد رد فعل قوي لدى مقلدي المرجع السابق الذين اعتقدوا بأن البقاء على هذا المسار سيعطل جهود الشيعة ويحجّمهم ويعيدهم من جديد إلى نقطة البداية سيما وإن أتباع المرجع السابق قد شعروا بأن الفترة الماضية قد نجحت في تثبيت بعض حقوق الشيعة السياسية واستطاعت أن تحقق نوع من التقارب بين الشيعة والسلطة ولاسيما عهد عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف[112] .

فبروز المرجعية الجديدة بتصورها هذا شخّص أزمة كبيرة داخل الساحة الشيعية مفادها ، عدم قدرة المرجعية على احتواء الساحة الشيعية التي بدأت تميل إلى المطالبة بالحقوق السياسية والمشاركة في السلطة وهذا ما خلق فجوة بين المرجعية والجماهير الشيعية أدت فيما بعد إلى ظهور مرجعيات شابة قادرة على التعاطي مع رغبات الجماهير وإيصال صوتها إلى السلطة والتأسيس لتفكير جدي بإصلاح المرجعة وهو ما تمثل بدعوة

---

[111] - د.علي غالب ، المرجعية ودوار أخرى ، كتاب إلكتروني ، ص 12 في مدونة الرشيد http://www.intifaza.com

[112] - نفس المصدر، ص 13؛ عادل رؤوف ، العمل الإسلامي في العراق ، مصدر سابق ، ص 441.

السيد محمد باقر الصدر ومن خلال أطروحته المرجعية الموضوعية التي بموجبها تتحول المرجعية من إطار فرداني مرتبط بشخصية الفقيه إلى مؤسسة متكاملة[113] .

بلغت المعارضة الشيعية أوجها عندما أصبحت بقيادة السيد محمد باقر الصدر الذي رغم خروجه عن قيادة حزب الدعوة إلا إنه بقى بشكل أو بآخر يُشرف على الحزب ورغم إصداره فتوى تحرم الانتهاء إلى حزب سياسي .

إلى أن واقع هذه الفتوى ودافعها، سياسي، صدر في إطار المواجهة مع السلطة، واتبع منهجية تقوم على إعداد القواعد والكوادر الحزبية بقصد احتواء الساحة الشيعية وتنظيمها ، وقد بدا ذلك واضحاً في توظيف الشعائر الدينية والطقوس، إضافة إلى بروز الأثر الذي تمارسه القيادات الدينية غير العراقية .

لقد وجهت الثورة الإيرانية دفعة قوية للقوى الإسلامية الشيعية .. فالأثر النفسي الذي ولّدته التجربة والشعور لبناء أول نموذج شيعي جاء للعراق ، أدى بهذه القوى إلى تصعيد لمطالبها ، وفي نفس الوقت ولدت لديها الرغبة في تغيير نظام الحكم في العراق بصورة مقاربة للثورة الإيرانية واعتماداً على الجارة إيران .

ويمكن القول إن السيد محمد باقر الصدر حمل في وعيه هذا التصور ولذا ذهب إلى تأييد إيران بصورة مطلقة كما عمل على الاعتراف بالخميني كمرجع ديني على العراقيين الشيعة بتبنيه ولاية الفقيه .. هذا التحرك كان مرصوداً من قبل السلطة التي اعتبرته العدو الأول لها .

التزمت المؤسسة الدينية بعد مقتل السيد محمد باقر الصدر ، الرؤية التي تقول بأن التغيير في العراق لن يمر بدون مساندة خارجية ودعم وإسناد دولي وعلى هذا فإن

---

[113] - عادل رؤوف، عراق بلا قيادة قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا، دمشق، ط 2005،9، ص 454 .

المعارضة الشيعية أدركت بأن الصراع مع السلطة لن يكون في صالحها ، لاسيما وأن الجبهة الداخلية ضعيفة وواهنة ، وعلى هذا فقد مثّلت حرب الكويت فرصة مهمة للمرجعية حاولت توظيفها واستثمارها إلى أبعد حد ومبعث ذلك سببان :-

1- فشل المعارضة الشيعية العراقية في إقامة جبهة فاعلة تضم كافة الأطياف العراقية .

2- الاعتراف بتعددية أركان المعارضة الشيعية وتجاوز الطرح الإيراني القائم على تسيّد المجلس الأعلى الذي يمثل وفق رواية المعارضة الجهة التي تمثل طهران سياسياً وفكرياً وفشل المجلس في تنشيط دوائر المعارضة داخل العراق وفي الاتجاه الذي تريده طهران"[114]

إضافة إلى ضعف التنسيق مع القوى العراقية الأخرى ، الأمر الذي انعكس على أداء القوى الشيعية الساعية للتغيير .

وعلى هذا فقد مثلت أحداث 1991 فرصة مؤاتية لإضعاف النظام السياسي وتغييره ، ولذا فقد تدخلت المرجعية بكل قواها في هذه المواجهة سواء من خلال الفتوى أو على صعيد الدعم المالي الذي كان يأتي عن طريق إيران ، وبقيادة المجلس الأعلى الذي أدخل ميليشيات عن طريق الجنوب ، سرعان ما انتشرت في المناطق الشيعية"[115] .

إلاّ أن العمل لم يسفر عن شيء فمن جهة لم تكن هناك قيادة مركزية موحدة للأوامر كما إن النظام السياسي لم يكن ضعيفاً جداً فقد بقيت الكثير من وحدات الجيش بكامل قدراتها وإمكاناتها العسكرية وعلى هذا لم تكن الانتفاضة قادرة على تغيير النظام السياسي .

---

[114] - د. علي غالب ، المصدر السابق ، ص 21 .

[115] -نفس المصدر ، ص23 ؛عادل رؤوف ، العمل الإسلامي ، مصدر سابق ، ص 443 .

الأسباب الموجبة لانتفاضة 1991 :-

- إن سياسات القمع المنظمة واضطهاد أبناء الشيعة عمداً من خلال أساليب شتى، وإجبار أبناء الشعب على السّوق للجيش العراقي (المكلّفية أو التجنيد الإلزامي)، تحت طائلة السجن أو الإعدام للمتخلف"[116] .

- وسياسة الجوع والحرمان من أبسط مقوّمات الحياة المدنية الكريمة التي كانت تعيشها شعوب الجوار ، ومصائب الحصار الناجم عن غزو الكويت .

- وحملات الإعدام والاعتقالات المستمرة والتضييق على إقامة المراسيم والشعائر الدينية وزيارة العتبات المقدسة"[117] .

- والانتماء ألقسري لحزب البعث والإعدام والاعتقال على الشك أو الوشاية لمن كان متديناً لا غير بحجة الانتماء لحزب آخر .

- عسكرة المجتمع نساءً ورجالاً وفتية وشباب وطلائع .

- الحروب المتكررة والضرر الذي لحق بأبناء الشيعة جرّاء ذلك .

- الهزيمة في الكويت شكلت انكساراً نفسياً للشعب فبعد عقود من ضخ الفكر القومي العربي والوطني القطري والإسلامي الكوني ، أضحى صدام يحارب الإسلام والقومية ، وقضى على الروح الوطنية لدى المواطن"[118] .

- وهذا ما لاحظناه عند قيام الانتفاضة 1991 عندما هب الناس المنتفضين نحو سرقة ونهب الدوائر والمؤسسات الحكومية ثم حرقها . إن ما ذكرناه آنفاً وغيره من الأسباب هي التي دفعت المنتفضين إلى ما قاموا به من أعمال مشينة فهذه المؤسسات تمثل

---

[116] - د.علي غالب ، المصدر السابق ، ص 23 .

[117] - هادي نسيرة ، المصدر السابق ، ص 7 .

[118] - المصدر نفسه ، ص 7 .

رمز السلطة وهي دوائر قمعية ضد المواطن ، فقد كان هدفها تعضيد دور السلطة لا خدمة المواطن .

حتى عمليات القتل التي طالت ضباط أمن أو رفاق حزبيين ، فإن الناس دفعوا إلى هذه الأفعال ، من خلال الإرهاب الموجه من خلال الإعلام الحكومي والترهيب الذي مارسته مقرّات الحزب وأجهزة الأمن ، أو المواقف الفردية لهؤلاء المقتولين .

فلو إن عزماً كان أقوى أو قيادة غير تلك أو تخطيطاً حُضّر قبل ذلك أو مؤازرة حصلت أو شعباً أكثر وعياً ... لما كان حال انتفاضة سنة 1991 كما كان ، وهذا الرأي ليس رأياً خاصاً ، بل رأي جيل تم تدميره بسبب الانتفاضة ، لقد حصل صدام على عذر بقيام الانتفاضة ، ليبرز عضلاته في داخل العراق بعد أن ، أمن ، من تدخل خارجي ضده ، فاعتبر الانتفاضة صفحة من صفحات الحرب وأسماها صفحة الغدر والخيانة ليصب جام غضبه ولينتصر بعد الهزيمة .

المبحث الثاني

الدور الإعلامي للمؤسسة الدينية في الانتفاضة

ما إن اندلعت الانتفاضة في محافظة النجف حتى بدا التنسيق واضحاً بين المتفضين وأقطاب المؤسسة الدينية ، علماً إن النجف تحوي المئات من رجال الدين النافذين في المجتمع ، فقد بادر أبناء النجف إلى نصب إذاعة موجهة لبث أخبار الانتفاضة عبر موجة معينة[119] ، ساهم في نصبها وتركيبها فنياً مجموعة من المهندسين في النجف ، في ما تشكلت سيطرات من مجاميع شعبية ومقرات خاصة كان من ضمن مهماتها توزيع البيانات والتعليمات على الناس المارّين بها ، ولبعث طمأنة للشارع ألنجفي ، ولخلق نوع من التنظيم.

ألقى الشاعر فلاح عسكر قصيدة مطلعها :

هذي ثورة الأحـــرار	أحرسها يبو السّجاد
ضوة من جامع الخوئي	شـــع بشوارع بغـداد

لكن لم يشفع له ذلك حيث تمت محاكمته أمام الجماهير لأنه كان شاعراً للنظام ألبعثي سابقاً ، ثم أعدم عياناً في الشارع[120] .

لقد كان للسيد الخوئي والسيد السبزواري دوراً بارزاً وفعّالاً في تعبئة الجماهير واحتضانهم وتوجيههم ، فقد كان بيت السيد الخوئي مركزاً من مراكز عمليات المجاهدين حيث شهد اجتماعات الكادر القيادي للانتفاضة ، كما عيّن السيد الخوئي لجان مركزية

---

[119] - حمزة الموسوي ، سطور ساخنة من وقائع الانتفاضة الشعبانية في النجف الأشرف ، كتاب إلكتروني ، موقع الانتفاضة الشعبانية الرسمي ، ص 3 .

http://www.intifaza.com

[120] - المصدر نفسه ، ص6.

لإدارة شؤون المدن بعد سقوطها بيد المجاهدين ، كذلك تم تعيين لجان محلية في المدن و الأقضية والنواحي ، وفي ما يلي أمر التعيين[121] :

تعيين لجنة عليا لإدارة البلاد من قبل الإمام الخوئي – آذار 1991

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على محمد واله الطاهرين وبعد، فإن البلاد تمر هذه الأيام بمرحلة عصيبة تحتاج فيها إلى حفظ النظام واستتباب الأمن والاستقرار والإشراف على الأمور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشياً من خروج المصالح العامة عن الإدارة الصحيحة إلى التسيّب والضياع . من أجل ذلك نجد أن المصلحة العامة للمجتمع تقتضي منّا تعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على إدارة شؤونه كلها بحيث يمثل رأيها رأينا وما يصدر منها يصدر منا .

وقد اخترنا لذلك نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسماءهم أدناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم فعلى أبنائنا المؤمنين إتباعهم وإطاعتهم والانصياع إلى أوامرهم وإرشادهم ومساعدتهم في إنجاز هذه المهمة . نسأل الله عز وجل أن يوفقهم لأداء الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآل وسلم) إنه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

1- السيد محي الدين الغريفي .

2- السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي .

---

[121] - د. وليد شهيب الحلي ، النجف : نظرة إلى وقائع انتفاضة شعبان / آذار 1991 – 1411 هـ ، كتاب إلكتروني ، الموقع الرسمي للانتفاضة الشعبانية ، ص 13 - 14 http://www.intifaza.com

3- السيد جعفر بحر العلوم .

4- السيد عز الدين بحر العلوم .

5- السيد محمد رضا الخرسان .

6- السيد محمد السبزواري .

7- الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي .

8- السيد محمد تقي الخوئي .

النجف الأشرف في العشرين من شعبان المعظّم سنة 1411 هـ .

ملحوظة : تقرر إضافة السيد محمد صالح السيد عبد الرسول الخرسان إلى اللجنة المذكورة أعلاه في 21 شعبان 1411 هـ .

توقيع أبو القاسم الخوئي

النجف الاشرف 21 شعبان 1411

كما أن هناك وثيقة أخرى أصدر فيها السيد الخوئي قراره بتعيين 9 أشخاص من وجهاء وشخصيات الكوفة لإدارة شؤون المدينة باسم (لجنة الانتفاضة) الإسلامية العليا في قضاء الكوفة وكان أحد أعضاء اللجنة الشهيد الدكتور الداعية ناصر الموسوي[122] .

كما تأكد موقف السيد السبزواري ودوره الريادي في التعبئة والإعلام والتوجيه الجماهيري في الانتفاضة ، من خلال بيانه الذي أصدره ، وتصدرته الآية المباركة :- ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله لعلى نصرهم لقدير ﴾*

وقد تلا بيان السيد الخوئي والسيد السبزواري أبناؤهما السيد محمد تقي الخوئي والسيد محمد السبزواري في الروضة الحيدرية .

---

[122] - حمزة الموسوي ، المصدر السابق ، ص 4 .

* الحج 39.

لعب وكلاء المرجعية دوراً فاعلاً ومؤثراً في دفع حركة الانتفاضة الجهادية في الكثير من المدن عبر تصعيدهم لهمم الجماهير الثائرة وتواجدهم الميداني في ساحات المواجهة.

قام شباب من الكوفة بدور إعلامي مشرّف قياساً بالأوضاع المتدهورة آنذاك إذ أصدروا (مجلة الشهيد) ، حيث تضمن العدد الأول محطات من حياة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر ومحطات من جهاده وعذاباته ، وتضحيات الشعب العراقي ، وآثار الانتفاضة وأخبارها كما أصدر المجاهدون كرّاسات عمل ميدانية للمجاهدين"[123].

السيد محمد صادق الصدر – بداية النهاية :-

لقد أفرزت الانتفاضة الشعبانية نتائج واقعية على الأرض العراقية ، فبعد أن كان الجهاد والنضال يحسب لصالح جهة معينة بذاتها أخذت مساحة الصراع تتسع لتشمل النسيج الوطني العراقي برمته . فقد كان حدث الانتفاضة ، عفوياً ، حمل معه روحاً ثورية عراقية مكبوتة اختزنت بشاعة الماضي وإرهاب الدولة المنظّم الذي طال نسيجاً عراقياً بكل مكوناته وأطيافه لاسيّما هؤلاء المسحوقين المظلومين المستضعفين ، القاطنين في مدن الشقاء والبؤس وقد أقام صدام في كل دار من دورهم نائحة .

وقد حوى هذا الواقع عموداً من أعمدة الفكر والفقه والسياسة ، إنه السيد محمد صادق الصدر ، الذي وجد في الانتفاضة ذلك الانفراج المعبّر عن الإرادة المكبوتة والثورية المصادرة . فقد بادر لإصدار فتوى أو بيان مختصر بالاشتراك مع السيد السبزواري .. وقد شوهد أيام الانتفاضة خارجاً من جامع الهندي وحوله مجموعة من الشباب واتجه إلى الروضة الحيدرية وارتقى الكيشوانية* وتجمع الناس حوله فألقى خطبة حماسية في الجهاد ألهبت الناس .. حتى اشتهرت فتواه وألصقت على الجدران في أرجاء النجف . وحسب

---

[123] - حمزة الموسوي ، المصدر السابق ، ص 6 .

* و الكيشوانية: هي محل توضع فيه احذية الزائرين.

رواية اليعقوبي ، إنه صلى خلف محمد صادق الصدر . وإنه كان ضمن من رافقه وألقى خطبة مختصرة مقابل باب القبلة والناس تهتف حيث قال في كلمته إنه يحث الناس على نصرة الثورة الإسلامية ودعمها والمشاركة فيها لعل الله سبحانه يرحم هذا المجتمع وينشر لواء الإسلام في ربوع هذا البلد المقدس"[124] .

لقد كان الناس متفاعلين معه بشدة لانتمائه لآل الصدر ، إذ أن محور الانتفاضة اسم السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، والهتافات باسمه في كل مكان"[125] .

أخذ الصدر الثاني يمارس دوره في الإرشاد والتوجيه للثوار ولو لم يكن محتجزاً عشر سنوات قبل الانتفاضة لكان قائداً لها ومحوراً رئيسياً لها ، حيث ينقل عباس الزيدي في السفير الخامس أنه (دخل على السيد الخوئي طالباً منه التصدي لقيادة الانتفاضة)[126] .

استمرت أيام الانتفاضة في النجف والعراق ، في 14 محافظة وقد عاش المنتفضون نشوة الحرية المؤقتة للأجواء الإسلامية محاولين تطبيع نظرية الثورة الإسلامية بكل معانيها والتحضير لإقامة جمهورية إسلامية على غرار إيران ، إلى أن جاء سريعاً الغضب المدمر ، بعد اجتماع عوامل الفشل للانتفاضة وسيأتي ذكرها بالتفصيل بالمبحث الثالث من هذا الفصل .

---

[124] - المواطن : خلدون المطيري ، جريدة المواطن ، العدد - 1579 تأريخ الإصدار 7 شباط 2012 ، شهادات في الانتفاضة الشعبانية / القسم الأول . ؛ عباس الزيدي ، السفير الخامس ، ممثلية المرجع ، بيروت ، ط 1 ، 2001 ، ص 68 .

[125] - صلاح مهدي علي الفضلي ، السيد الشهيد محمد باقر الصدر وأثره في تأريخ العراق ، رسالة ماجستير، معهد المعلمين العالي ، ص 395 .

[126] - عباس الزيدي ، السفير الخامس ، المصدر السابق ، ص 68 .

المبحث الثالث

الدور السياسي للمؤسسة الدينية في الانتفاضة

لم يصدر قرار بالانتفاضة ضد الحكومة من قبل أي مرجع ديني في العراق بل كان الشعب ينتظر الفرصة المؤاتية لهكذا تصرف ، إلا أن المشكلة في المؤسسة الدينية ، أنها لم تكن صاحبة قرار ، في هياج الشعب ضد الطاغية هذا الوضع يفسر لنا أمور كثيرة يتعلق منها بمفهوم الوطنية كتصرف وإحساس و كمسؤولية على المستوى الوطني أو الواجب الديني في التصدي لأعداء الدين ولعدو المسلمين صدام .

إن الانتفاضة الشعبانية هي تتويج لمسيرة جهادية طويلة ولمجابهة بطولية دامية لم تنقطع منذ مجيء البعث عام 1963 للسلطة ولقد كان لأبناء الحركة الإسلامية بجميع فصائلها دور واضح وكبير ليس على مستوى التوعية والتحريض فحسب ، بل على مستوى الفعل الثوري منذ بدايته .

لقد كان الشهيد محمد باقر الصدر يبحث عن أمة لإنجاز التغيير والتخلّص من السلطة ... ، فيما أن الأمة في العام 1991 كانت تبحث عن قائد أو رمز ليقودها نحو هذا التغيير"[127] ... ويبقى قادة الأهوار ، هم المخططون لانطلاقة وتوجيه مسار الانتفاضة ، إلا أن العفوية التي ظهرت على الانتفاضة ، هي بسبب تصرف المتفضين العدائي و اللا مسؤول تجاه مؤسسات الدولة وأعمال القتل الكثيرة و .... الخ مما حدا بكثير من الباحثين أن يعزو صفة العفوية إلى الانتفاضة .

---

[127] - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي .. ، المصدر السابق ، ص 439 .

السيد الخوئي مرجعاً دينياً – لا قائداً سياسياً :

إن ضخامة الأحداث كانت بحاجة إلى قيادة رمزية شمولية تتحول إلى مصدر شرعي وثوري لتنفيذ الأوامر ، وليست قيادة محلية ، فالعراق كان يجتاز مرحلة حساسة، إذ لازال خارجاً من الحرب مكسوراً ، وعمليات السلب والنهب والقتل ، شكلت قلقاً لدى الناس حول ضرورة وضع حلول من قبل قيادة نافذة ، لاسيما وأن قيادة الأهوار لم تكن معروفة وهي غير قادرة على إدارة حدث بهذه الضخامة ، وربما يكون خارج حدود تصورها .

إن ظروف الثمانينيات التي عاشها العراق لم تبق قيادة حركية ثورية ولا قيادة مرجعية ثورية لاسيما بعد إعدام السيد محمد باقر الصدر الذي خاض المواجهة مع السلطة من خلال النخبة وجزء من الأمة التي بايعته .. فيما لم تكن الأمة بأكثرها آنذاك تملك الوعي السياسي الكامل بما يدور داخل العراق .. الأمر الذي حسم المواجهة لصالح السلطة .. وبعد دورة زمنية دامت عشر سنوات من القمع والرعب والدماء والحرب نضج وعي هذا الجزء الكبير من الأمة[128] .

إن ما صدم جماهير الانتفاضة عام 1991 هي إنها لم تكن تعي أن (قائدها المرجعي) الميداني قد فُقِدَ قبل عشر سنوات وإن عليها أن تميّز بين المرجع الثوري والمرجع الفقيه وبين المرجع المواطن والمرجع الذي وطنه ليس العراق ولم يقدم يوماً طلباً لكسب الجنسية العراقية .

إن الخوض في ملف مرجعية آية الله الخوئي يحتاج إلى دقة أكبر ، إذ أن الموقف السياسي ، والدور السياسي للمرجع ينبع أساساً من رؤاه الفقهية والفكرية ، والوضع العام أي الظروف الموضوعية وطبيعة الواقع فيما أذا كانت تسمح له أو لا تسمح بالدور السياسي .

[128] - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي ، مصدر سابق ، ص 448 ؛ عبد الله فهد النفيسي ، دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث ، دار النهر، بيروت ، 1983 ، ص 47 .

أما التركيز على تفسير واستنباط دور السيد الخوئي فهذا يرجع لأسباب منها:-

1- أهمية السيد الخوئي العلمية ونفوذه المرجعي وتأثيره في الواقع الفعلي .

2- حساسية المرحلة السياسية التي كان السيد الخوئي فيها زعيماً للحوزة .

إن هذه الحساسية تنبع من اتجاهين :-

- اتجاه الحركة الإسلامية في العراق والمرجعية التي خاضت المواجهة السياسية مع السلطة .

- اتجاه وحشية السلطة ، وما أقدمت عليه من إعدامات وإجراءات تجاوزت الحدود في التعدي على المؤسسة الدينية برمتها .

3- خيار عدم المواجهة مع السلطة أو التفكير بها .

لقد اصطدم السيد الخوئي بالحشود الغاضبة عند بدأ الانتفاضة عندما توجهت إلى داره وهي تبحث عن تكليفها الشرعي ، وهي بحاجة إلى قيادة إزاء تفجّر الأوضاع، ولم يكن أمام السيد الخوئي من خيار سوى الانخراط في الحدث وخطورته ، فالكل كان يسأل عن رأي المرجعية الدينية ورأيها في ما حصل"[129] .

إن ما كتب في هذا المجال من قبل المفكرين قدّم نظريات متغايرة وإن تلازمية دوري الأمة والقائد ، هو موضوع فكري وإن كلمة الأمة استخدمت للإشارة إلى كافة المسلمين .

يقول علي شريعتي : إن كلمة (أمة) مأخوذة من أَمَّ بمعنى قصد وعزم وهذا المعنى يتركب من ثلاث معاني (حركة) (هدف) (قرار واع) وحيث أن (أَمَّ) تنطوي في أصلها على مفهوم (التقدم) أيضاً يضحي هذا المعنى مركباً من أربعة معان:

1- اختيار ، 2- حركة ، 3- تقدم ، 4- هدف

---

129 - عادل رؤوف ، المصدر نفسه ، ص 452 . أنظر أيضاً :- عادل رؤوف ، عراق بلا قيادة ، المصدر السابق ، ص 494 .

ومن هذه المعاني يمكن القول إن الأمة بحركتها وتقدمها، بمسيرتها نحو الهدف، هي مجتمع مهاجر إلى مقصد وغاية، هجرة واعية مقصودة، أو كما يقول شريعتي هي: (جامعة إنسانية يشترك جميع أفرادها في هدف مشترك ، وقد التف بعضهم حول بعض لكي يتحركوا باتجاه هدفهم المرجو على أساس قيادة مشتركة)[130] .

إذ لا مسير بدون قيادة وهذه القيادة يُطلق عليها في الإسلام مصطلح (الإمام) ، ومن هنا لا يمكن تصور أمة بدون إمام .

إن قيادة السيد الخوئي للانتفاضة لم تستطع إنقاذ الموقف لأسباب عديدة منها:-

1- لم يكن لدى السيد الخوئي علم مسبق بالأحداث ورفض المحيطين به للتدخل في بداية الأمر ، إلاّ أن الاضطرار كان سيد الموقف .

2- الحذر والخوف من التدخل ، والبعد السياسي لم يكن حاضراً أيضاً ، ثم التدخل كان لسد الفراغ الإداري الحاصل عن انهيار المؤسسات الحكومية .

3- كان عمر السيد الخوئي يناهز التسعين عاماً ، وكان من الصعب عليه إدارة الانتفاضة.

4- اختراق السلطة للانتفاضة عبر الضباط المشتركين في الانتفاضة وهذا ما دلّل عليه وجود الصور والتسجيل الصوتي للمنتفضين لدى السلطات الأمنية .

5- عدم الاتصال بالقوات الدولية من قبل قائد الانتفاضة أدى إلى عزلها ومن ثم القضاء عليها بسهولة .

---

130 - د. علي شريعتي، الآثار الكاملة، ج5، دار الأمير بيروت، لبنان، 2004، ط1، ص 98.

الأسباب التي أدت إلى إخفاق الانتفاضة في تحقيق أهدافها بالإطاحة بالنظام :

1- بطش النظام : لم يكن الشعب يملك الإمكانات اللازمة لمواجهة بطش النظام ، فقد استخدم النظام الدبابات والصواريخ والمدفعية الثقيلة ، والإشاعة ، والأسلحة الكيماوية والفسفورية .

2- تدمير إمكانات العراق : فقد قامت الطائرات الأمريكية بتدمير مخازن الغذاء والدواء والمصانع والجسور فلم يبق للثوار سوى إمكانات ذاتية ضئيلة جداً .

3- عفوية الانتفاضة : لقد عكست الانتفاضة بعفويتها معاناة الشعب العراقي من إجرام نظام صدام ،كردة فعل، ولهذا لم تكن هناك قيادة تنظم حركات المتنفضين في محافظات العراق، وغياب التنظيم والتخطيط، كان السمة الوحيدة البارزة لكل ذي عينين.

إن الفراغ الأمني الكبير بين مجاميع المتفضين جعل أجهزة أمن النظام تخترق الصفوف وتضع الكمائن لهم مما حجّم تشكيلات الانتفاضة ، كما شنت حرب نفسية عبر الإشاعة المنظمة بترويج الأكاذيب عن ضخامة القوّات الصدّامية مما أحبط الثوار وشلّ عزيمتهم .

4- خذل الدول الإقليمية والدولية : كان الشعب العراقي يتوقع مساندة دول العالم أبان الانتفاضة بوجه نظام صدام الذي خسر حربين مع إيران والكويت وهدد السلام العالمي وسلام منطقة الخليج كما عرّض العالم إلى مخاطر بيئية بحرقه آبار النفط ، وكان الشعب العراقي يتوقع على الأقل ألا تقف الدول الإقليمية ضده .. كما أن الآمال قد خابت لعدم مساعدة الجمهورية الإسلامية للشعب العراقي حينها وتقديم الدعم اللازم .

5- مفاوضات الأكراد مع صدام : فوجئ الشعب العراقي والمعارضة العراقية بوصول وفد كردي برئاسة (جلال الطالباني) وعضوية سامي عبد الرحمن ورسول مامند وآخرين إلى بغداد في 20 / 4 / 1991 وقد استقبل صدام حسين الوفد وتعانق معهم. بعدها أعلن الطالباني من إنه تم التوصل إلى اتفاق مبدئي حول تطبيع الوضع في كردستان

العراق ، وأعلن مسعود البارزاني الذي التقى صدام حسين في بغداد في مؤتمر صحفي عقده في بغداد في 18 / 5 / 1991 ، إن الطرفين وافقا على مبادئ إحلال الديمقراطية السياسية في العراق تتضمن التعددية السياسية والفصل الواضح بين الهياكل الحكومية والحزبية وإجراء انتخابات حرة وحرية النشر والصحافة"[131] .

وأخيراً :

كان لحدث الانتفاضة الشعبانية تحولاً كبيراً في مسيرة المؤسسة الدينية في العراق ، هذه الانتفاضة كشفت النقاب عن حقيقة العلاقة بين عموم الشعب العراقي وحكومته المجرمة ، وبين الشعب العراقي والدول الكبرى ودول الجوار ، وكذلك حقيقة العلاقة بين الشعب العراقي المنتفض والقوى السياسية الإسلامية التي تزعم الدفاع عن الشعب المظلوم"[132].

مرت عشر سنين حال وقوع انتفاضة 1991 على اعتقال السيد الصدر الثاني مع الاضطهاد الفكري والنفسي وكذلك آل الصدر مع بقية علماء الدين الثوريين حسبت عليهم الأنفاس وعاشوا ضنك وخنق المراقبة والمتابعة وكتابة التقارير عليهم كذلك كان هناك مندسّين في الحوزات العلمية في النجف الأشرف ولم تنكشف هذه المآسي عن رجال الدين حتى دق ناقوس الانتفاضة حينها أصدر السيد الصدر الثاني بيانا شديد اللهجة بالاشتراك مع السيد عبد الأعلى السبزواري عززه بلقائه بالسيد الخوئي لغرض التشاور في قيادة الانتفاضة وتوجيهها"[133] .

---

[131] - وليد شهيب الحلي ، مصدر سابق ، ص 28 . إن جلال الطالباني هو رئيس جمهورية العراق حاليا ومسعود البارزاني هو رئيس إقليم كردستان العراق حاليا.

[132] - صلاح الفضلي، السيد الشهيد محمد باقر الصدر، المصدر السابق، ص 395 ؛ عباس الزيدي ، السفير الخامس ، مصدر سابق ، ص 74 .

[133] - المصدر نفسه ، ص 73 .

استمرت الانتفاضة أياماً عاش فيها المتفضون نشوة الانتصار والحلم بدولة إسلامية حيث رُفِعَ شعار (لا شرقية ولا غربية جمهورية إسلامية) في محاولة لتطبيق نظرية الثورة الإسلامية بكل معانيها .. حتى جاء سريعاً غضب المستبد وآلته الحربية بعد أن اجتمعت كل عوامل الفشل في انتفاضة 1991 حيث دعم الولايات المتحدة لصدام، إذ سمحت له باستخدام طائراته المروحية التي سحقت الانتفاضة فضلاً عن استخدامه أسلحة محرمة دولياً واعتقال الآلاف من الشباب الشيعة اعتقالاً عشوائياً ودفن المعتقلون أحياءً في مقابر جماعية غير معلّمة، كذلك اقتيدوا علماء الدين إلى بغداد وهناك بدأ الانتقام منهم بطرق شتى .

فقد قام طه الجزراوي بقتل أبناء السيد الخوئي زعيم الطائفة الشيعية في العالم وأعتقل بذاته وأجبر على إصدار تصريح خلال لقاء تلفزيوني جمعه مع الطاغية صدام حيث وصف المنتفضين بالغوغاء ونعتهم بالسرّاق ودعا لصدام بطول العمر .. الخ"[134]

ولم يكن الضرب بالهراوات والسب والشتم والقتل والاعتقال هما ما يميز هذه المدة فقد اقتيدت النساء والأطفال مع الاعتداء عليهن علانية . وكان صدام كامل صهر الرئيس صدام هو من حقق مع رجال الدين وكان السيد السيستاني والشيخ الخلخالي من ضمن المعتقلين"[135] .

لقد كانت الانتفاضة الشعبانية على الرغم من الخسائر المليونية البشرية التي منيّ بها العراق ، حداً فاصلاً بين مرحلتين من الجهاد وقد أفرزت جيلاً جهادياً جديداً ساهم بشكل ملحوظ في إضعاف الدكتاتورية والتسلط وأصبح الشيعة في الواجهة من جديد.

---

[134] - لقاء تلفزيوني مسجل و مشهور، بثته القناة الرسمية من بغداد29 /3 /1991 .

[135] - صلاح مهدي علي الفضلي ، المرجعية الدينية ، مصدر سابق ، ص 473 .

الفصل الثالث

الدور السياسي للمؤسسة الدينية

بين 1991 – 2003

- المبحث الاول/ النشاط السياسي للمؤسسة الدينية
- المبحث الثاني/ النشاط الاجتماعي للمؤسسة الدينية
- المبحث الثالث / مشروعية القيادة الدينية

مدخل

تخشى الحكومات علماء الدين و المراجع الدينية وتحسب لهم حساباً لمكانتهم الروحية وتأثيرهم ، ودعم وتأييد الناس لهم ، وفي الحقيقة إن الحكومات تخشى الشعوب ، ولهذا فهي تحتمل إذا ما أهانت وتجاسرت وتعرضت إلى أحد علماء الدين فإن ذلك سوف يثير سخط الأمة ويفجر غضبها ضدها .. ولكن إذا ما كان علماء الدين مختلفين في ما بينهم ويسيء بعضهم لبعض ، فإنهم سيفقدون اعتبارهم ويخسرون ثقة ودعم الأمة .

وبالطبع فإن للتغيرات السياسية دوراً كبيراً في تكوين هذه النتيجة المؤلمة ، لشعب قدّم الكثير من النضال والكفاح والجهاد لنيل الحرية والحصول على حقوقه الدينية وتحسين أوضاعه الاقتصادية .

فإذا بالأرض محتلة والنخب السياسية فاسدة ، والمؤسسات تنشر مفهوم المصلحة والمنفعة الآنية الفردية على حساب مفهوم الوفاء الوطني والتقوى الدينية الآمرة بالحفاظ على الممتلكات العامة وإذا بالمجتمع منقسم على نفسه قسمين :-

قسم منه راح يجهد بكل إمكانياته للحصول على مغانم مادية ومناصب إدارية ، وقسم وجد نفسه عاجزاً عن التملق والنفاق .

فانعزل وآمن بأن زمن المبادئ قد ولّى ، ولكن زمن العمل لم يأت بعد .

وأصبح الشباب اليوم لا يجدون لهم مثلاً أعلى يقتدون به فزعماء الأمة متكارهون ومتخاصمون ، والمفكرين قد فُقِدوا ، إما قتلاً من قبل الحكومات أو من قِبَل نظرائهم .

إن الدين هو شعور ينبثق من وعي الإنسان ومعرفته بنفسه .. يدعو الإنسان إلى الكمال عن طريق تقديس القيم السامية من قبيل : الجمال والخير والبصيرة والإبداع والإرادة والحرية والمعرفة والكمال والهداية والعزّة والعدالة والحق ، ومناهضة الظلم

والجهل والضعف والذل .. وتجتمع كل هذه القيم في إطار التوحيد الذي يعد أكثر الأطر الدينية شمولاً"[136] .

[136] - عبد اللطيف الحرز ، النقاء والارتقاء ، سلسلة غريب على الطريق ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2012 ، ص 227 - 228 .

المبحث الأول

النشاط السياسي للمؤسسة الدينية بين 1991 – 2003

تميّزت المدة 1991 – 1992 بحدوث انتفاضة شعبية على مستوى 14 محافظة من أصل 18 محافظة بضمنها العاصمة بغداد ، هذه المظاهرة صاحبت الانسحاب العسكري المنهزم من الكويت، مما حدا بالحكومة العراقية إلى التوقيع في خيمة بمنطقة سفّان الحدودية على (ورقة بيضاء) لصالح قوات التحالف .

ثم أتبع ذلك الهجوم العسكري بجميع أنواع الأسلحة مستخدماً صواريخ أرض – أرض والطائرات العمودية لضرب المعارضين في هذه المحافظات ، ثم حملة اعتقالات واسعة وإعدامات ، لم تنج منها المؤسسة الدينية ورجالاتها .

وما أن حل عام 1992 حتى توفي زعيم الحوزة الدينية في النجف السيد الخوئي ، ثم بدأت بعد ذلك صراعات ومساومات من أجل زعامة الحوزة ، قادتها مؤسسة الخوئي ، لأجل أهداف خاصة وقد قام عدد من زعماء الدين بفتح برانياتهم لاستقبال الناس المقلدين كخطوة استحقاق لزعامة الحوزة .

الحكومة العراقية من جانبها أرادت السيطرة على الحوزة وليس كما يدّعي بعض الكتّاب والباحثين إنها بسبب أعمال البطش التي نالت الشعب، هي أرادات المصالحة لأجل السيطرة على المؤسسة الدينية وتغيير بعض مساراتها ، لذلك وجدت في السيد محمد محمد صادق الصدر المرجع العراقي الذي من الممكن أن تستميل من خلاله الشعب (الشيعي) .

ولذلك فإن المدة الواقعة بين انتفاضة 1991 وحتى سقوط صدام 2003 لم يبرز على الساحة السياسية أو الدينية، أي نشاط يذكر، سوى السيد محمد صادق الصدر ، لذا ،

فسوف نركّز بالدراسة والبحث عن نشاطاته السياسية والدينية والاجتماعية على مستوى المجتمع والدولة ورسم سياسة المؤسسة الدينية ..

كان السيد محمد صادق الصدر قد بدأ نشاطه بأسلوب متدرّج ، مركزاً على تحشيد الأتباع وعلى الأعمال الخيرية والمواعظ الدينية ، فكان يبدو نائياً بنفسه عن السياسة ومنسجماً مع النشاط الديني للحكومة"[137] .

وجاء صعود السيد الصدر الثاني إلى الموقع البارز بعد وفاة السيد الخوئي ، فأقام جهازاً من رجال الدين الصغار وطلبة الحوزة لملء الفراغ الذي خلّفه تدمير شبكة الصدر الأول من رجال الدين الصغار المنضبطين ، فرجال الدين من المراتب الأدنى والطلبة هم الذين يشكّلون جهاز المرجعية ، وهم نواة تنظيمية تقود الجماعات المحليّة ، مستفيدة من بنية تحتية متوسعة تضم المساجد والحسينيات ومجالس العزاء المحلية.

إن الترابط القوي بين المرجعية الدينية وطبقات المجتمع المختلفة أنتجت في القرن الماضي تأريخاً ثورياً للعراق ، إلاّ إن المأزق السياسي الخطير وغياب حالة التوازن في الصراع الداخلي بما يغيّب إرادة الأمة نابع في أساسه من إشكالية تاريخية ، بين المجتمع والمرجعية ، والتي برزت ما بعد قيام دولة العراق الحديثة وابتعاد المرجعية عن الواقع السياسي ، ومن ثم الواقع الاجتماعي"[138] .

لذا فإن إصرار السيد محمد صادق الصدر على معالجة هذه الإشكالية بشكل لم يسبقه إليه أحد ربما قام في أحد جوانبه على أساس هذا المعنى السياسي الخطير في الواقع العراقي الداخلي .. حيث أدرك إن الفكر اللا إسلامي في العراق لم يفلح أن يقود المجتمع إلى حالة ثورية واحدة خلال قرن كامل ، بحيث تقود هذه الحالة إلى ممارسة سياسية داخلية سلمية

[137] - فالح عبد الجبار ، مصدر سابق ، ص 462 .

[138] - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 491 .

وإلى تنافس ايجابي ونظام سياسي عام نابع فعلاً من تنوع المجتمع (الطائفي والقومي) ومحقّقاً لإرادته"[139] .

فيما إن المرجعية الدينية استطاعت أن تقود هذا المجتمع إلى ثورات أو تحشيد مجتمعي كبير ، ولو أن هذا النجاح لم يستطع بالنهاية الحسم وإيجاد مثل هذا النظام السياسي ، إلاّ أنه على أقل تقدير عبّر عن إرادة المجتمع وطموحه نحو هذا الهدف السياسي ، وفي هذا السيّاق يقول السيد حسين بركة الشامي :

(لقد تعامل الشهيد الصدر الثاني مع السلطة وفق رؤية مدروسة وتحرّك في هذا المجال على منهج واضح ، يستدعي التأمل والدراسة ، وهي مسألة طالما بحثها علماؤنا السابقون كالشيخ المفيد والمرتضى والطوسي تحت عنوان العمل مع حكّام الجور)"[140].

إن العلاقة مع السلطة الحاكمة في العراق تحتاج إلى تخطيط دقيق وذلك لخصوصيات سياستها التي تقوم على أساس الإرهاب الدموي ولا تملك غير لغة العنف في التعامل مع خصومها السياسيين ، أو حتى مع من تشك إنهم خصومها .

وقد نظرت السلطة إلى شيعة العراق على إنهم الوجود المتحدي الذي هدف إلى إسقاطها ، وتعزّزت هذه النظرة بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة التي كانت واضحة في أهدافها وشعاراتها وموقفها من حكم البعث في العراق .

لقد نجح الصدر الثاني ، لأول مرة على امتداد جيل كامل ، في بناء شبكة واسعة من الأتباع في صفوف طبقة الفلاحين (المهاجرين) والطبقات الحضرية الدنيا ، وبوجه خاص

[139] - المصدر السابق ، ص 492 .

[140] - نخبة من الباحثين ، الصدر الثاني ، دراسات في فكره وجهاده ، لندن ، بحث السيد حسين الشامي ، الصدر وقفه مع الدور التاريخي ، 2002 ، ص 32 ؛ حسين بركة الشامي ، المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة ، المصدر السابق ، ص 190 .

في الأحياء الفقيرة في بغداد والناصرية والديوانية عاقداً بعض التحالفات مع مجموعات متنفذة من الطبقات الوسطى الحضرية ، وسرعان ما تشكلت دوائر واسعة من الأتباع في النجف وبغداد والناصرية والبصرة والديوانية والمدن الأخرى . وحينما أباح الصدر الثاني إقامة صلاة الجمعة صار بإمكانه أن يحشد مئات الآلاف من الناس لسماع خطبه التي غدت تحمل نقداً للحكومة"[141] .

أصبحت النجف في هذه الفترة مركزاً ثنائي إلقطب للقيادة الشيعية متموضعة بين آية الله العظمى السيد علي السيستاني النائي عن السياسة والصدر الثاني ، وكان الخلاف واضحاً ، إنما دبلوماسي ، ولم يكن الأتباع يخفون في واقع الحال ، مشاعر الزهو بوجود مرجعية دينية قائدة ، عراقية ، عربية .

لقد نجح الصدر الثاني في إعادة تشكيل الهوية الشيعية من خلال استحداث بنى تحتية ضخمة وجماعات منظمة من شأنها أن تلعب بحكم أعداد أفرادها وفقرها ووضعها المهان ، دوراً جذرياً هاماً في قادم السنين"[142] .

المشروع السياسي للصدر الثاني :

لقد استحضر السيد محمد محمد صادق الصدر مستلزمات مشروعه السياسي الواعي ، لما قام به ، فقد كان يبذل كل وقته وكيانه من أجل الإنسان المسلم بصورة عامة والإنسان العراقي بصورة خاصة ، لذلك أحبّه الناس بعقولهم وقلوبهم وكل جوارحهم"[143] .

---

[141] - فالح عبد الجبار ، المصدر السابق ، ص 464 .

[142] - المصدر نفسه ، ص 465 .

[143] - نخبة من الباحثين ، مصدر سابق ، ص 199 ، بحث علاء الجوادي ، نظرية العمل السياسي عند الصدر .

لقد مرّ مشروعه السياسي بحقبتين زمنيتين ، الحقبة الأولى ، وهي مرحلة التعايش السلمي مع النظام ، والمهادنة المدروسة ، وقد كان يستبطن فيها العمل بشكل سري رغم المعايشة الظاهرية . والحقبة الزمنية الثانية ، ابتدأت يوم إعلانه عن صلاة الجمعة ، وقد بدأ الصراع ألصّدامي العلني مع النظام بعد أن توفرت مستلزمات العمل القائم على البناء العقائدي أبان الحقبة الأولى . في بداية المشروع طرح المرجعية كقيادة عامة لعموم المسلمين فهو يؤمن بدور المرجعية في قيادة الأمة ويؤمن بنظرية ولاية الفقيه ، وطرح مفاهيمه علناً ليبدأ بقوة بقيادة مسيرة الحركة الإسلامية والثورة الإسلامية في العراق"[144] .

وفي ما يخص علاقة المؤسسة الدينية بالدولة ، فهو يؤكد دائماً على العمل بمبدأ الفصل بين القيادة الدينية والقيادة السياسية للدولة ، لا إيماناً بفصل الدين عن السياسة ، وإنما تجنباً لتدخل الدولة في شؤون المؤسسة الدينية وما يتعلق بها من أمور ، وهذا المبدأ حقق من ورآئه عدم إثارة السلطة في بداية تحركه السياسي . يقول بهذا الصدد :- (على السياسة أن تستلهم الدين وأن تعمل بوحي أحكامه عملاً بالقاعدة القائلة .. حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ولكن هل يقتضي ذلك دمج القيادتين الدينية والسياسية ؟ ليس في الضرورة ، إذ ثمة معطيات سياسية لا يملكها رجل الدين لأنها من أسرار الدولة ولأنها مما يجري وراء الكواليس ، فهل من الحكمة أن يتدخل رجل الدين في أمور لم يتح أن يطلع عليها إطلاعاً وافياً ؟ وهل من الحكمة أن يتورط في مواقف لم يحط بها إحاطة شاملة ؟ قطعاً لا ، وأنا مع مبدأ الفصل بين القيادتين شرط أن يجعل الحاكم السياسة في خدمة الدين لا أن يسخر الدين في خدمة السياسة)"[145] .

144 - صلاح مهدي ، المرجعية الدينية ، المصدر السابق ، ص 516 .

145 - مجلة الوسط ، عدد 116 ، في نيسان 1994 ، مقابلة مع السيد محمد الصدر ، نقلا عن صلاح مهدي ، المصدر السابق ، ص 518 .

لقد أدت مثل هذه الأحاديث المعلنة في الإعلام والصحافة الحكومية إلى قبول منقطع النظير في أوساط الجماهير العراقية خصوصاً الشباب الذي أخذ بالتكاثر في تقليد وإتباع السيد محمد الصدر وبلا هوادة لاسيما طلبة الجامعات مما حدا بالسلطة إلى اتخاذ تدابير احترازية للحد من هذا الزحف المطرد للقيادة الدينية على حساب القيادة السياسية .

إن البناء العقائدي الذي التزم به السيد الصدر في إصلاح الأمة والتغيير كان يستدعي منه شحذ الطاقات والهمم وتوحيد المسارات نحو الأهداف المعلنة في برنامجه السياسي الإصلاحي ، وقد درس جيداً حيثيات الشباب العراقي الذي وجده مستعداً لعملية البناء العقائدي والتوجه الحقيقي نحو الله (عزّ وجل) وإصلاح ذواتهم ثم تلقي المفاهيم الرسالية التضحوية المستمدة من مبادئ الثورة الحسينية الخالدة وتراث الحركة الإسلامية الأصيل .

إن الشباب الذي استجاب سريعاً لحركة السيد محمد الصدر هم أولئك المتحدّرون من عوائل عراقية عاشت مرارة العيش والاضطهاد طيلة ربع قرن من الزمان وقدّمت ضحايا وقرابين على مذبح العقيدة والوطن وعاش ذووها وراء القضبان سنين طوال يتلقون سياط الجلّاد بكل شجاعة وصمود . فلا غرو أن تنسجم مبادئ محمد الصدر ، وهي امتداد لمبادئ الصدر الأول ، مع مبادئهم وأفكارهم وتلبي طموحاتهم الرسالية في تخليص العراق من قبضة الطغاة تدريجياً .

لقد ركّز السيد الصدر في مشروعه السياسي على التضحية بالنفس والنفيس كطريق للخلاص والبناء العقائدي وأخذ يناقش القضية الحسينية ومدى تطبيقاتها العملية على الشباب الواعي ، يقول السيد محمد الصدر (قد يرد من البعض أن الحسين ﴿﴾ ، ألقى بنفسه إلى التهلكة ، وإلقاء النفس في التهلكة حرام بنص قرآني .. إن المراد من التهلكة ليس

هو التهلكة الدنيوية بل التهلكة الأخروية ، وهو التسبب إلى الوقوع في جهنم بالذنوب والباطل)[146] .

أما من الجانب السياسي الحركي فقد تمثّل بأفعال ميدانية من خلال الاتصال بالمجاميع الجهادية فقد كان السيد الصدر الثاني يعقد اجتماعات سرية جداً مع مجموعات صغيرة ، وكان الحديث حول العمل الإسلامي والتنسيق مع المعارضة العراقية في الدول المجاورة والمتواجدة في الجزيرة والأهوار .

إن السيد الصدر لم يكن يحبّذ العمل الحزبي وذلك لكثرة الأخطاء المرافقة لهذا العمل ، لذلك فقد دعم عمل المجاميع الصغيرة ، وكانت إحدى المجاميع نفّذت عملة اغتيال(عدي) النجل الأكبر للرئيس العراقي السابق صدام حسين ، كما حصل الاتصال مع قوات بدر، اليد الضاربة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ، بالسيد الصدر وقد استفتوه بعملهم الجهادي وعن الحكم الشرعي لمن يُقتل من المجاهدين أثناء المواجهة مع النظام فأجاب : (الذي يُقتل من المجاهدين هو شهيد بلا إشكال)[147] .

وقد تبيّن أن حزب الدعوة الإسلامية لم يعلن عن تعاونه مع السيد الصدر حفاظاً على حياته ولكونه كان منتمياً للحزب في بداية السبعينيات ولربما تسبب ذلك بإعدامه حسب قرار إعدام الدعاة بأثر رجعي"[148] .

---

146 - صلاح مهدي ، مصدر سابق ، ص 518 .

147 - جريدة الجهاد في 1 / آذار / 1999 ، مقابلة مع الشيخ أبي جعفر العراقي ، نقلاً عن صلاح مهدي ، المصدر السابق ، ص 523 .

148 - نفس المصدر ، ص523.

كما أفتى السيد الصدر بـ (عدم حرمة قتل ألبعثي المؤذي) في ما حملت هذا الفتوى لصالح قيادة قوات بدر (خطورة بالغة) ، وإن انعكاسات هذه الفتوى لو وصلت إلى الحكومة ستكون وخيمة .

ولاية الفقيه عند الصدر الثاني :

انفتح السيد الصدر الثاني على موضوع ولاية الفقيه إلى أبعد حد ممكن أن يمنحه هذا المفهوم من قوة للفقيه جامع الشرائط ، فهناك ولاية خاصة ، إلاّ أنه يؤمن بولاية الفقيه المطلقة و عند عدم وجود حكومة إسلامية فأنه يرى (ليس كل أمور الولاية العامة موقوفة)[149] ، لذلك فإنه أقدم على إقامة صلاة الجمعة في العراق وله رأي مهم جداً فيما يخص علاقة الولاية للفقيه بالأعلمية إذ يقول : بـ (جواز ولاية غير الأعلم في المنطقة التي يحكمها)[150] .

وقد أثارت آراؤه وفتاواه ردوداً وآثاراً من قبل الكثيرين في الساحة العراقية وخارجها خصوصاً أولئك الذين عاشوا في كنف ولاية الفقيه للسيد علي خامنئي بوصفه الولي الفقيه المطلق ، وإنه لا يجوز تعدد الولاية ، مع العلم إن خامنئي، نفسه، له رأي مغاير تماماً لهذا المفهوم ، فضلاً عن فقهاء آخرين يرون الرأي نفسه للسيد الصدر كالسيد محمد حسين فضل الله مثلاً .

لقد اعتقد السيد الصدر بولاية الفقيه المطلقة ، وحاول تطبيقها بشكل واضح على المستويات الجماهيرية ، إذ أصدر فتاوى تجسّد تطبيقها محاولاً إبراز شخصية الولي الفقيه

---

149 - عبد اللطيف الحرز، مصدر سابق، ص 290؛ صلاح مهدي، مصدر سابق، ص 525. ؛ عادل رؤوف ، مرجعية الميدان ، مصدر سابق ، ص 339 .

150 - السيد محمد الصدر ، ما وراء الفقه ، ج 3 ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، قم ، إيران ، 1427 هـ ، ص 80 .

كقيادة ربّانية على الساحة العراقية ، وقد كتب في كتابه (ما وراء الفقه) بحثاً مفصلاً عن ولاية الفقيه من ثمانين صفحة .

وكان يوصي بشكل مؤكد بطاعة العلماء والحوزة وعدم القيام بأي عمل من دون أمر من الحوزة والعلماء منها قوله (أنتم في عصر علماءكم والحوزة العلمية ، اسألوا الحوزة العلمية ، لا يمكن عمل أي شيء مهما قلّ أو كثر بدون سؤال الحوزة بطبيعة الحال) ويقول (عليكم بطاعة علماءكم ، لا تتحركوا ولا تقولوا أي شيء قبل أن تقول قيادتكم الدينية ، لا يجوز حبيبي أن تجني على نفسك وعلى دينيك وعلى دنياك وعلى آخرتك)[151] .

وفي موضوع تعدد الولاية الفقهية في البلد الواحد يقول (أمّا الرجوع إلى أكثر من ولي كالرجوع إلى أكثر من مجتهد ، فهذا كلام باطل ، فلا يجوز الرجوع لأكثر من مجتهد إلاّ عند تبدل الشروط كحصول الفسق .. أو حصول من هو أعلم منه وهكذا . كذلك لا يجوز الرجوع إلى أكثر من واحد في ولاية الفقهيه ، فإن كان هناك متعددون وجب الرجوع إلى من هو – أعني المكلف – تحت سلطانه وسيطرته وإن لم يكن هناك سيطرة لأحد من العلماء فالولي هو المرجع نفسه ... وحقل الولاية هو الأمور العامة وحقل الاجتهاد هو الاستنباط وكل ما يجري مع الآخرين بلا تعارض)[152] .

آثار المشروع الإصلاحي للصدر الثاني بعد استشهاده :

إن مجموع الجهود التي بذلها الشهيد محمد صادق الصدر أحدثت هزّة عنيفة في المجتمع العراقي . فبغض النظر عن ردود الفعل الآنية التي خلّفها خبر استشهاد السيد

---

151 - رسالتنا ، مجلة ، عدد 1 ، رجب ، 2003 م ، بحث كاظم الحائري ، في سيرة شهيد الجمعة المظلوم محمد الصدر، ص 123 .

152 - عبد العظيم الأسدي، قناديل العارفين، دار الزهراء، النجف، ط 1، 1426 هـ ص 185.

الصدر ، فإن أيام ما بعد هذا الخبر عكست بشكل واضح صورة أخرى لارتباط المجتمع العراقي بالصدر الثاني وتجربته التي لم يعش هذا المجتمع مثيلاً لها .

البعد الأول : الذي عرضته هذه الأحداث تمثّل بانتماء جماهير واسعة لتجربته بعد استشهاده من الوسط (المتردّد والمتحفّظ) والذي كان في حياته لا يستطيع أن يهضم النمط الجديد الذي جاء به في العمل الاجتماعي في طريقة وصوله إلى العمل السياسي المباشر ، والتي تأثرت بالإشاعات والاتهامات التي دارت حول علاقته بالسلطة ، هذا الموقف حرّكته صراعات ومنافسات غير مشروعة وحالة من التخلف المجتمعي والتمسك بما هو تقليدي ومقدس .

إن هذا البعد عبّرت عنه حالة إجماع لمئات العراقيين في داخل العراق الذين عاشوا لحظة ما بعد استشهاده .

البعد الثاني : ويعبّر هذا البعد عن الأثر العميق لما أسسه السيد الصدر في الوسط الاجتماعي فإنه تمثّل بظاهرة، قبره ، الذي تحول إلى مزار يومي لا تكاد تفارقه الناس وتقصده يومياً عشرات ويصل للآلاف في المناسبات من العراقيين القادمين من المحافظات"[153].

لقد ترك السيد محمد باقر الصدر بعد استشهاده فراغاً قيادياً خطيراً في بداية عام 1980 وما بعدها ، وما كان لأحد أن يتصور بأن دماءه ستتحول إلى حزن مكبوت ، وإلى وعي متصاعد ستتفجر عنه أمور لا محال غير محسوبة وتكشف عن انضواء أكبر للأمة تحت العنوان الإسلامي ، فكانت انتفاضة آذار / 1991 وكانت ظاهرة الصدر الثاني بعدها

---

153 - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 506 ؛ بحث مختار الأسدي ، المرجعية الصالحة ، مجلة الهدى ، العدد 9 ، المصدر السابق ، ص 223 .

إن انتصارات السلطة على الظاهرة الدينية مهما اتخذت من أشكال ، فإنها في النهاية انتصارات وقتية وهزائم مؤجلة وفق قوانين الصراع المادية والغيبية . والأهم فيما فعله السيد الصدر الثاني إزاء السلطة في حياته وبعد استشهاده هو إجماع الأمة من خلال صيرورة الوعي ، بذل جهوداً جبّارة بغية تأسيسها من خلال قراءاته التاريخية وقراءته للواقع الاجتماعي ، وعي الأمة بما ينبغي أن يكون عليه دور القائد والمرجع فهو دور يتجاوز كثيراً ما اعتاد عليه الناس في السابق وهو دور يعبّر عن آلامها وطموحاتها ومصالحها .

إن السيد الصدر الثاني أقدم على تغيير هذا الظرف بتأسيس سليم يغاير (تسجيل الموقف) أو ممارسة السياسة بشكل فوقي .

إن طريق السياسة الحقيقي تطلّب منه عملاً دؤوبا وبطيئاً في وسط المجتمع لتصحيح منظومة وعيه وتأسيس منظومة جديدة تعطي الصراع مع السلطة جذور الديمومة وتلامس عصب الصراع المحلي الداخلي وإشكالاته التاريخية في ما يتعلق بعلاقة المرجع بالأمة وإزاحة التراكمات السلبية الموروثة"[154] .

(وإذا كان الإصلاح والتجديد فعلاً حضارياً محرّكاً في الحياة الاجتماعية وله مجالاته المتنوعة ومظاهره المختلفة التي تتحدّد على أساس حاجة الواقع الاجتماعي ، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات أن يكون مجال الإصلاح في البناء الفكري ، وقد يَفرض الواقع في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري . وهنا يأتي دور الرّمز المصلح المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب)[155] .

---

[154] - مختار ألأسدي، المصدر السابق ؛ حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 299 .

[155] - المصدر نفسه ، ص 299 .

إذا كان الأمر كذلك فإن الصدر الثاني جمع كل هذه الأبعاد التجديدية حسب الحاجة والمرحلة ، وإن السياسة المباشرة كانت المرحلة الأخيرة في تجربة الصدر الثاني ، بعدما تم إنجاز إصلاح البنى الاجتماعية وتسييسها عبر عمل مضني وسريع ، فهذا العمل يبقى شرطاً – في مثل الحالة العراقية – للعمل السياسي المباشر ولم يدرك المراقبون السطحيون هذه المنهجية الجذريّة عندما اعتبروا تجربة الصدر الثاني بأنها تجربة إصلاح اجتماعي لا غير.

علاقة المؤسسة الدينية بالسلطة :

في ظل فشل انتفاضة آذار 1991 ، وتفريغ الساحة السياسية في داخل العراق من كوادرها ، بوسائل شتّى كما حصل التفريغ الأول في العام 1980 . بدأت صيرورة جديدة للعمل الإسلامي تلتقط محور الأزمة وكان ، قائد هذه الصيرورة ، السيد الصدر الثاني الذي عايش العمل الإسلامي منذ انطلاقته وكان واحداً من شخوصه البارزين .

ووضع أصبعه على الجرح ، على محور الأزمة ، أزمة العلاقة مع الأمة ، وضرورة اكتشاف آليات ووسائل وأساليب تعبئتها .. فأقام صلاة الجمعة ، ونزل بكل ثقله نحو الأمة ، خطاباً والتصاقاً ميدانياً معها ، فأوجد بذلك حلاً بارعاً لإشكالاتها ، فقدّم العمل الإسلامي في العراق لأول مرة صورة متوازنة تجمع بين القائد والأمة وفق منهج سياسي متطور وعقلية سياسية أبدعت سياسة، تحييد السلطة، فكان هذا التحييد الصحي لآليات التفكير السياسي الإسلامي ذريعة لدورة أخرى قاسية من دورات الصراع المرجعي – المرجعي الذي مثّل أزمة مزمنة رافقت مسار العمل الإسلامي ، كما كان هذا التوازن والاندفاع حقيقة قد أخافت السلطة التي وضعت حداً لذلك باغتياله مع اثنين من أولاده[156] .

---

[156] - حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 197 .

بهذه الخاتمة يتكرر مشهد من مشاهد العمل الإسلامي في العراق ، فالصدر الثاني كما الصدر الأول ، يصرّ هو الآخر على (الموت) – الاستشهاد – كخيار لإدارة العمل الإسلامي ودفعه نحو التغيير الحاسم ، فيما أن مرجعيات أخرى كانت تصرّ على الحياة حفاظاً على الحوزة والإطار الفكري – السياسي فهذه المتناقضات تعود إلى ثنائية المرجعية السياسية ، والمرجعية غير السياسية ، وثنائية المرجعية الثورية والمرجعية اللاثورية ، وثنائية المرجعية المعاصرة والمرجعية التقليدية .. ومن ثم عميقاً إلى ثنائية الفكر الشيعي التي تمتد إلى أعماق التاريخ .. فكر و فقه الثورة مقابل فكر التّقية ، حسب الظروف التي يقدّرها الاجتهاد البشري وأن كل ذلك سيقودنا ضمنياً إلى العلاقة مع السلطة"[157] .

إن علاقة الفقيه الشيعي مع السلطة ، التي فرضت نفسها بقوة ضاغطة وقاسية في مرحلة السيد الصدر الثاني ، تحولت إلى عنوان أو (مبرر) لإثارة الغبار حول مرجعيته ، وفي وجه آخر من أوجه هذه المعالجة تكشف تخلف الفهم الاستراتيجي في العقل الشيعي (المرجعي) والحركي ، إذ أن محور علاقة الفقيه بالسلطة كانت حاضرة (تهمة وواقع) في الوقت نفسه ، وهذا يعبّر عن أزمة لازمت العمل الإسلامي واقعاً ، وتعددت أشكالها دون ما يكفي من الثوابت فهي في بعض الحالات تكون مطلوبة مرجعياً"[158] بمعنى إنها فُقِدت قد يسقط شرط من شروط المرجعية يؤدي إلى إضعافها ، ففي بعض سياقات العرف العام في أجواء المؤسسة الدينية (إن زيارة مسئول من الدولة إلى المرجع) لها حساب تكريس مرجعيته والاعتراف بها ، وعندئذ تكون مبررة ومقبولة ، وعند مقاطعة الدولة أو السلطة لمرجعية ما – وفق تلك الأعراف – (دليلاً على عدم أهمية مرجعيته) في

---

157 - عادل رؤوف ، العمل الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 507 .

158 - المصدر نفسه ، ص 507 .

الجو العام وبالتالي فإن لها تأثيراً على نفوذ هذه المرجعية ، وعندئذ تكون هذه العلاقة مطلوبة أيضاً"[159].

وفي حالة ثالثة ومن الناحية الواقعية فإن المرجعية العليا لديها دائماً علاقة مع السلطة لإدارة أمور المؤسسة الدينية مع الدولة من قضايا التجنيد والإقامات ودور النشر وما إلى ذلك وعندئذ – لمرة ثالثة – ستكون العلاقة مطلوبة وطبيعية ، وخلال نصف قرن أو أكثر فإن معظم المرجعيات المركزية أو غير المركزية مارست هذه الأنماط من العلاقة مع السلطة ، واستقبلت وفوداً من مسئولي الأنظمة السياسية ، فضلاً عن سفراء ومسؤولين أجانب ، فمن سياسة آية الله السيد محسن الحكيم المطلبية التي انطوت على طبيعة اللقاء مع رؤساء ووفود السلطة إلى مثال آية الله السيد أبو القاسم الخوئي الذي كان يدير علاقات المؤسسة الدينية مع السلطة مروراً بمثال الشهيد آية الله الصدر الأول الذي حاولت السلطة مقاطعته كدليل على عدم الاكتراث بمرجعيته .

إلى هنا تسير الأمور وفق وتيرة واتجاه محدّدين يتمحوران حول مبدأ العلاقة مع السلطة وطبيعته ، إلاّ إن الشّق الثاني من ثنائية هذا الحضور للعلاقة سيتحول إلى تهمة ولقد تجسّد هذا الشّق من الخمسينيات وحتى التسعينيات ، من أيام السيد محمد الحسني البغدادي إلى آية الله محمد الصدر مروراً بأسماء أخرى بين المدتين"[160] .

---

[159] - المصدر السابق، ص 508 .

[160] - عادل رؤوف ، محمد محمد صادق الصدر ، مرجعية الميدان ، المركز العراقي للإعلام والدراسات ، دمشق ، سوريا ، ط 8 ، 2005 ، ص 66 .

؛ عباس الزيدي، السفير الخامس ، المصدر السابق ، ص 371 .

الفاصل بين أن تكون العلاقة مع السلطة تهمة أو تكون طبيعية هو مصلحة يقدّرها الفقيه ، إلاّ أن أجواء الصراع الفقهي هي التي تدفع بها في بعض الحالات نحو التهمة[161] .

إن إشكالية العلاقة بين الفقيه والسلطة لها أفق تاريخي لدى المؤسسة الدينية تحدّده (القطيعة أو الحاجة الواقعية) ولقد استوعب هذا الإطار أنماطاً تاريخية بعيدة ومعاصرة للعلاقة بما يكرّس هاتين العلاقتين مع استثناءاتها ، لبعض الحالات المرجعية ، التي يؤهلها وعيها السياسي لإقرار العلاقة مع السلطة كجزء من إستراتيجية مرجعية فردية ، إلاّ أنه وبالشكل العام ، فإن ذلك لم يخضع إلى إعادة قراءة جذرية لإشكالية العلاقة مع السلطة ، قراءة تعترف بما هو خطأ وما هو صحيح ، وأن الحصيلة الإجمالية للقطيعة مع السلطة كانت حصيلة سلبية ربما هي أخرت في مراحل مهمة وخطيرة ، والمطلوب هو أن يتطور نمط العلاقة مع السلطة إلى ما يحقق أغراض وغايات العمل الإسلامي خدمةً للصالح العام بدلاً من بقاءه في حيّز اللا تأثير أو في حيّز المطلبية المتواضعة أو في حيز المقاطعة اللا محسوبة .

يقول السيد الشهيد الصدر الثاني شارحاً علاقته بالسلطة (يمكننا أن نلخّص علاقتنا بالسلطة على الوجه الآتي : السلطة تؤيد المظاهر الدينية الشيعية وترعاها ، وهي تعطف علينا ما دام إننا لا نتدخل في السياسة ، وهي تكف شرّها عنّا ما دمنا نكف شرّنا عنها ، بمعنى أنها تلتزم إزاءنا سياسة المعاملة بالمثل)[162] .

---

161 - المصدر السابق ، ص 372 .

162 - عادل رؤوف ، مرجعية الميدان ، المصدر السابق ، ص 102 - 103 .

المبحث الثاني

النشاط الاجتماعي للمؤسسة الدينية بين 1991 – 2003

لا يستطيع أحد أن يقول إن رجال الدين في العراق في هذه المدة لم يقوموا بنشاطات اجتماعية ودينية ، لأن هذه المدة تميّزت بحصار اقتصادي جائر فرضته المؤسسات الدولية لإخضاع الشعب العراقي ، ولإطالة عمر الحكم ألبعثي في العراق ، لأسباب يبدو منها القليل وضوحاً ومنها محاولة الحد من تصدير الثورة الإسلامية الإيرانية إلى دول المنطقة ، والحد من النشاط الشيعي في الشرق الأوسط ، والحفاظ على دولة إسرائيل على الرغم من أن الإعلام الحكومي آنذاك لا يدل على ذلك .

ولأن الحصار الاقتصادي كان قاسياً على الشعب العراقي فإن المساعدات كانت توزع عن طريق وكلاء المراجع في محافظات العراق ، إلاّ إننا نحاول البحث في النشاط الحقيقي التوعوي ، على المستوى الجمعي .. لذلك سنركز في هذا المبحث على ظاهرة الصدر الثاني ، بما تميّز به من نشاط غاب عن المؤسسة الدينية منذ ثورة العشرين حتى 1991[163] .

فقد انبرى السيد الصدر الثاني إلى قيادة المرجعية الدينية ، وأحدث فيها عدداً من الإصلاحات التي أدت بالمحصلة النهائية إلى إخراجها من طور الدرس الفقهي إلى طور التصدي لمشكلات المجتمع العراقي .

وهنا نشير إلى أهم هذه الإصلاحات ، تأتي في المقدمة منها : إنه أحيا شعيرة ظلّت غائبة مدة طويلة ، ألا وهي ، صلاة الجمعة ، فقد أجاز الصلاة خلف المرجع الديني ، بعد

[163] - راجع الفصل الأول ، ص 37.

أن كان الرأي السائد بين صفوف رجال الدين الشيعة ، بعدم جوازها إلاّ خلف الإمام المهدي (عج)"[164] .

والحقيقة ، إن الشيعة على وجه التحديد انقطعت على أداء صلاة الجمعة بعد غياب الإمام المهدي(عج) وذلك يرجع إلى غياب الإمام العادل وهو الأمر الذي أفضى إلى إبطال الصلاة ، بيد أن الصدر الثاني أجاز الصلاة خلف المرجع الديني الذي ينوب عن الإمام المهدي المنتظر(عج) إنطلاقاً من قول رسول الله ﷺ في إشارته الواضحة للعلماء إذ عدّ (الفقهاء أمناء الرسل) و (العلماء ورثة الأنبياء) و (الفقهاء حصون الإسلام ، كحصن سور المدينة لها) وغير ذلك من الأقوال .

كذلك عمد إلى إحداث تواصل بين الحوزة والمجتمع ، هذا التواصل استند إلى انفتاح الحوزة على المجتمع وليس العكس ، عبر الفتاوى والخطب واللقاءات مع العامة والتشاور معهم في شؤون الدين والدنيا . كما وجّه دعوة إلى المراجع لحضور صلاة الجمعة واستعداده ، لأن يصلي خلفهم ، أو أن يتولوا الخطبة مكانه ، وكانت النتيجة ، أن الكثير منهم أحجم عن الاستجابة لهذه الدعوة ، كان الهدف من دعوة المراجع الآخرين هو محاولة الانفتاح على المجتمع ، ومن ثم تكوين رأي عام ، يدعو إلى إحداث تغيير حقيقي على المستوى العام ، والنتيجة المترتبة على هذه الإصلاحات أن صلاة الجمعة ، بدأت على نطاق ضيّق ، ثم أخذت بالاتساع في أرجاء مختلفة من المدن العراقية . وكان عدد المصلين قليلاً في بادئ الأمر ثم أخذ العدد يزداد أسابيع قليلة"[165].

---

[164] - عادل رؤوف ، مرجعية الميدان ، المصدر السابق ، ص 121 ؛ صادق جعفر النهضة الصدرية : شبهات وردود : في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة السيد محمد الصدر : رجل الفكر والميدان ، إيران ، مطبعة الأمين ، 2001 ، ص 167 .

[165] - د. محمود شمال حسن ، مرجعيات الجماعات ، المصدر السابق ، ص 80 .

الإصلاح الاجتماعي – بناء القاعدة الشعبية :

انطلاقاً من النجف الأشرف وإلى محافظات الوسط والجنوب ثم صعوداً إلى بغداد، حيث فرصة التغيير لاتجاهات الناس نحو موضوعات مختلفة ، غير مطروقة ، ولا يتكلم بها أيٌّ من رجال الدين علانية مع الناس .

فمثلاً طريقة تعامل الناس مع بعضهم البعض ، استناداً إلى الشريعة الإسلامية ، إنه لا دين من دون حسن التعامل مع الآخرين ، والدعوة إلى التكافل الاجتماعي ، والإحسان ، وإدامة صلة القربى ، وإلى التعامل والتآزر في أوقات الشدائد ونصرة المظلوم ، وعدم كتمان الحق ، وكذلك الدعوة إلى تجنب تزيين السلع بما ليس فيها ، ودعوة مدمني الكحول إلى الكف عن التعاطي ، ولكن بصورة تدريجية ، كما وصلت دعوته المنبرية إلى الغجر ، إذ دعاهم إلى التوبة إلى الله ، وضرورة أن يبحثوا عن أعمال أخرى يكسبون بها رزقاً حلالاً ، وغيرها من الموضوعات المتصلة بالمسألة الاجتماعية والاقتصادية"[166] .

قام السيد الصدر الثاني بجولات وزيارات إلى العشائر العراقية والإطلاع على أوضاعها ، وبناء علاقات معها ، ومن ثم وضع فقه خاص بها"[167] كما تطلّب بناء القاعدة الشعبية تجاوز خطاب الفقيه المكتوب إلى خطاب الفقيه المسموع ، وإلى تنشيط الاتصالات مع الناس وإلى مواكبة همومهم وشؤونهم والعمل بفقه الواقع أو فقه الحياة ، فضلا عن التواجد الميداني معهم ، وربط مصير الفقيه مع مصيرهم .

إن هذا الواقع كان غير مألوفاً لدى الشعب العراقي ، لذا فإنه شكّل وضوحاً لدور الفقيه ، ثم تعاطفاً معه ، وبدا إن قصوراً لدى المؤسسة الدينية ، قيادياً – دينياً ، في عملية تحريك عوامل التفاعل لديه ، كما إن عوامل الحصار الاقتصادي مثلت عناصر نجاح

---

[166] - المصدر السابق ص 80 .

[167] - عادل رؤوف ،مرجعية الميدان، المصدر السابق ، ص 300 .

للتحرك من طرف السيد الصدر الثاني إذ إن الظروف القاسية دائماً ما تدفع إلى التطلع نحو البديل ، نحو متنفس يعبر عن المشاعر والآلام ، لذلك كان التفاعل حاضراً مع تجربة الصدر الميدانية .

وإذا كان تأسيس القاعدة الشعبية قد بدا محوراً هاماً في تفكير السيد الصدر فإن المشروع التغييري الذي تبناه كان فيه محور هام مفصلي ، ألا هو إصلاح الحوزة من الداخل ، ولكل ما يتعلق بها ، بدءاً بمواصفات المرجع والتي حددها بها أسماه التفريق بين المرجعية الناطقة والمرجعية الصامتة ومروراً بأجهزتها الوكلائية والتبليغية والمالية ، انتهاءً بمناهجها ومستواها المعرفي ، ومواكبتها لحركة العصر وحاجاته ومتطلباته .

وبعد اتساع القاعدة الجماهيرية لمنبر الجمعة ، بدأ بطرح موضوعات سياسية غاية في الأهمية ، وهنا عمد إلى تحويل منبر الجمعة من الإرشاد الديني إلى الإرشاد الديني – السياسي ، وكأنه يريد من هذا التحويل ، أن يحدث لدى قاعدته الشعبية ، تعبئة سياسية لمواجهة السلطة[168] ، ذلك لحملها على تخفيف القهر والاستبداد ، وهو الأمر الذي أثار سخط السلطة واستياءها من منبره .

لقد أحدث منبر الجمعة تغييراً في توجهات المؤسسة الدينية ، إذ أصبح أمام حوزات العراق خيارين لا ثالث لهما : فأما السكوت عن القهر والظلم ، و في هذا خرق للقاعدة القائلة " خير الجهاد عند الله كلمة حقٍ في وجه سلطان جائر " . وأما مقاومة القهر والظلم بكل الوسائل المتاحة ، ولعل ذلك يتطابق مع قاعدة الجهاد ، وتشير الوقائع الميدانية ، وإن عدد المؤيدين والمناصرين للحوزة الناطقة من العلماء والفقهاء من داخل الحوزة العلمية ، ازدادوا بشكل ملحوظ ، وإن قلّة منهم من التزم الصمت إزاء المسألة السياسية[169] .

---

[168]- صادق جعفر ، المصدر السابق ، ص 167 .

[169] - د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 85 .

ومما له دلالة في هذا الصّدد ، إن تصنيف الحوزة العلمية إلى صنف صامت وآخر ناطق ، له ما يسنده ، إذ ورد عن الخميني ، إنه ندد بالحوزة الصامتة قائلاً : (هيهات أن يجلس الخميني ساكتاً وهو يرى تجاوزات أتباع الشيطان والمشركين على أتباع الإسلام المحمدي الأصيل ، والويل لنا ، الويل للعلماء الساكتين ، الويل للنجف الساكتة ، الويل لطهران الساكتة ، لمشهد الساكتة ، الويل لنا ، هل يكفي أن نتردّد على قبر أمير المؤمنين ؟ ونكتفي بالتضرّع والدعاء ؟!!)[170] .

ولعل هذا النص ، يشير بما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أن صمت المؤسسة الدينية إزاء مجريات الأحداث لم يكن وليد اللحظة ، التي استثارة غضب بعض المراجع ، ومنهم السيد الصدر الثاني ، وإنما الصمت يرجع تاريخه إلى مرحلة ما بعد ثورة العشرين .

نعود ، محاولين ، إبراز معالم النشاط الديني أبان حقبة تسعينيات القرن الماضي ، أبان حكم دكتاتوري ، هو من أعنف دكتاتوريات المنطقة ، لما كان يحظى به من تأييد إقليمي ودولي علناً وسراً لوأد أي تحرك شيعي في العراق .

لعل انتشار الحجاب لدى الفتيات ، ولاسيما الطالبات في مرحلتي الثانوية والجامعة ، يُعد من المؤشرات الدّالة على التغيير الذي أحدثه منبر الجمعة ، فلقد وجد أن أولياء الأمور أو من حل محلهم ، أخذوا يؤدون دور الداعية الديني داخل منازلهم ، بعد عودتهم من الصلاة (صلاة الجمعة) . وقد انعكست إرشاداتهم على بناتهم أو شقيقاتهم ، وكانت النتيجة ، إن العدد الكبير من هؤلاء الفتيات ، استجبن لدعوة الحشمة والوقار[171] .

---

170 - أياد محبوبة ، منهج الصدر الثاني في الإصلاح ، في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة السيد محمد الصدر : رجل الفكر والميدان ، إيران ، مطبعة الأمين ، 2001 ، ص 61 .

171 - د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 86 ؛ عادل رؤوف ،مرجعية الميدان، المصدر السابق ، ص 204 .

والللافت للانتباه إن الشباب والمراهقين بدئوا يتعاطفون مع الصدر الثاني ، رغم التزامهم الديني الضعيف ، ومرد ذلك ، إن هؤلاء الشباب استرعت انتباههم الأنماط السلوكية الصادرة من أقرانهم الذين يواظبون على الصلاة[172]، هذا مما سرّع عملية انتشار تقليد الشباب للسيد الصدر ، كل ذلك كان مردّه (صلاة الجمعة) ، وطقوسها الممزوجة برجل كهل ، يلبس كفناً ، يعطي انطباعاً لدى الشباب بالشجاعة في مواجهة الموت ، والاستعداد له ، هذا الموت الذي يفر منه الكثيرون ، فضلا عن ذلك طريقة الخطاب الجديد الذي لم يعتد عليه الناس .

كذلك عمد منبر الجمعة إلى إشاعة الثقافة الشرعية بين عامة الناس ، فقد أخذ الناس يغلّبون مسائل الحلال والحرام في معاملاتهم الحياتية ، حيث صار تغليب الأمور الشرعية لتفاصيل متعددة ، لم تنشغل بها العامة من الناس من قبل .. حتى أصبح الناس يسألون عن الكثير من الأمور من حيث شرعية وعدم شرعية التعامل ، وبذلك فإن إشاعة الثقافة الشرعية بين عامة الناس تعد من المؤشرات الدالة على مدى التغيير الذي أحدثه منبر الجمعة[173] .

لقد عمد منبر الجمعة إلى تقليل حساسية الناس تجاه السلطة وهذا معناه إن الخوف من السلطة ، أخذ يسجّل انخفاضاً ملحوظاً بعد التعرض لخطاب منبر الجمعة ، لأن منبر الجمعة أخذ يحرض الناس على مواجهة الظلم والقهر بالوسائل المتاحة . كما أخذ ينبه الناس إلى مخاطر السكوت على الظلم ، الذي يؤدي إلى تمادي الظالم في ظلمه وقهره[174] .

172 - المصدر السابق ، ص 206 .

173 - المصدر نفسه ، ص 205 .

174 - المصدر نفسه، ص 208 - 218 ؛ د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 87 .

ويركّز خطاب الجمعة على أن السكوت على الظلم ، سيترتب عليه بعض المشكلات منها : مصادرة الحريات وانتهاك حقوق الإنسان وإشاعة الخراب في المجتمع، فضلاً عن تقليل الالتزام بتعاليم شريعة الإسلام .

ثمة زيادة ملحوظة في أعداد الشباب لزيارة العتبات المقدسة بعد التعرّض لخطاب منبر الجمعة ، الأمر الذي أثار السلطة ، ومن المؤشرات التي ظهرت ، هو إطفاء بعض السلوكيات لدى الأفراد ، مثل تقبيل أيادي أولئك الذين ينتسبون إلى سلالة الرسول الأكرم إذ تبيّن إن تقبيل الأيدي يشير إلى الإذعان ويزيد من ذلّة الفرد ، لذا فإن التعامل مع الآخر الأكبر مقاماً ، يوجب الاحترام وليس التقبيل ، وعادة مراعاة الجلوس في المجلس ، إذ لا مراعاة للمكانة الاجتماعية للقادم فالجميع سواسية في المجلس ، إبتداءاً بالخطيب وانتهاءً بالجالسين[175] .

ملاحظة لا بد منها :

إن المرجعية الدينية بعد اغتيال الصدر الثاني أخذت تعاني من غياب القيادة الميدانية ، ولكن هذا الغياب ، لم يدم طويلاً فما إن سقط النظام البعثي حتى برزت مشاكل جمّة ، تأتي في مقدمتها المشكلة الأمنية المتمثلة بكثرة حالات السلب والنهب والثأر من رموز السلطة، والقتل على الهوية، والتهجير القسري، وإن هذه المشكلات أخذت تزداد حدّةً على مر الأيام ، بسبب غياب سلطة القانون ، ومن هنا برزت مرجعية السيد علي السيستاني .

رد فعل الحكومة على الصدر الثاني :

لقد حاولت السلطة الحد من نشاط الثورة السلمية التي قادها الصدر الثاني من خلال منبر الجمعة بالذات . فصلاة يوم الجمعة كانت عبارة عن تجمع ضخم علني يتم من خلاله

---

[175] - المصدر السابق ، ص 88 .

إبراز أهم المفاهيم العقائدية الدينية و التوجهات السياسية للمجتمع ، ولأجل الحد من هذا الواقع الجديد الذي يهدد وجود النظام ككل ، عمدت السلطة إلى إجراءات كثيرة كان أهمها :-

1 – الدعاية ، فقد راحت السلطة تشيع بان الصدر الثاني هو عميل للحكومة وإنه متعاون معها ، مما كان له صدى واسع بالحد من التحاق الكثيرين به .

2 – دس عناصر أمنية داخل حوزة النجف لغرض الدراسة ظاهرياً والحقيقة هي محاولة تقليل شأن طالب العلم والتأثير عليه ومحاولة ، تشويه صورته في المجتمع ، ونقل كل صغيرة وكبيرة مما يدور داخل الحوزة .

أما العناصر الأمنية في صلاة الجمعة فقد كان هدفهم هو التقليل من شأن السيد الصدر ومحاولة طرح أسئلة المقصود منها زعزعة صورة السيد أمام الناس .

3 – الطلب من السيد الصدر أن يدعو لصدام حسين في الدعاء من على منبر الجمعة"[176].

وعندما فشلت السلطة في انتزاع الدعاء ، بما يسيء إلى هذه الظاهرة ويحاول أن يصورها على أنها ظاهرة تابعة للسلطة ، بعد أن أشاعت أجهزة الأمن ذلك ، وحاولت بشتى الوسائل أن تكرسه في وعي الناس ، بدأ الأسلوب ألتهديدي المعروف من اجل إيقاف صلاة الجمعة"[177] .

4 – فرض أئمة جمعة تابعين لوزارة الأوقاف ، مما أدى إلى رفض المصلين ، هذا الإجراء مما أدى إلى مصادمات لهذا السبب وغيره بين مريدي الصدر وأجهزة الدولة قبل اغتيال الصدر ، فقد كان النظام ألصدّامي يعيش حالة رعب بسبب الظاهرة السائدة في

---

176 - د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 93 .

177 - المصدر نفسه ، ص 93 .

العراق وزيادة إقبال الناس على حضور الجمعة التي زحفت من المساجد إلى الشوارع لكثرت الناس وعدم استيعاب المساجد لهكذا أعداد .

فخشي النظام من تحول هذه الظاهرة المتزايدة طردياً إلى حالة الثورة الجماهيرية ، وان تقدم على الإطاحة بالنظام السياسي ،

5 - واصلت السلطة تحرشاتها عندما قامت بعملية إنزال على مسجد الكوفة الذي له أثر تاريخي - اجتماعي كبير في نفوس المسلمين عامة ، وبحجة المناورة فتحت أبواب المسجد بالقوة من قبل قوات الأمن ، هذا يُدرج في خانة الاستفزاز ، وانتهاك حرمة الأماكن المقدسة ، إلا أن هكذا أفعال لم تؤدِّ إلى النتائج المرجوّة نفسها ، فقد طالب السيد الصدر من خلال منبر الجمعة وترديد المصلين من خلفه (نريد نريد نريد ... فوراً فوراً فوراً إطلاق سراح المعتقلين)[178] من خلال القول (لأجل استنكار اعتقال خطباء الجمعة ارفعوا أصواتكم بالصلاة على محمد وآل محمد ، وهناك فكرة لإنشاء بناء في مسجد الكوفة ليعيق المصلين في يوم الجمعة ، ولأجل استنكار هذه الفكرة الخبيثة ، الصلاة على محمد وآل محمد)[179] .

لقد استخدم السيد الصدر ، الشّعار ، وتحويْل مطالبه إلى شعارات ، يرددها ويأمر الجمهور بترديدها في سياق خطابه الذي اتسم بالوضوح .

إن اغلب العراقيين قد نالهم مقدار من الضرر ، حيث يتفاوت هذا المقدار بحسب حالة التماس مع السلطة ، إذ أن الشباب الواعي وعوائلهم ممن ناضلوا ضد السلطة هم الأكثر تضررا من غيرهم الذين آثروا السكوت على فعل الظالم ، وبالنتيجة لم يسلموا أيضا.

---

178 - الشهيد محمد محمد صادق الصدر ، راجع الخطبة رقم (42) 12 شوال 1419 هـ ، دسك.

179 - المصدر نفسه .

كما أن جميع القوميات والمذاهب قد تعرضت للأذى أما معنويا أو ماديا أو كليهما ولو بنسب متفاوتة . ومن اللافت للنظر أن الضرر قد وقع على المجتمع بأسره إلا بعض المناطق الخاصة به وأعوانه المقربين والسائرين في ركابهم ، أما الضرر الأكبر فقد لحق المناطق الوسطى و الجنوبية ، لاسيما و ان الأكراد قد استقروا بعد أحداث عام 1991[180] .

لذا فان الحروب المتكررة و السوق إلى الجيش الشعبي قسراً ، و كل القيود والقوانين الجائرة كانت تصيب هذه المحافظات ، و يظهر أن الرجال الذين قضوا زهو شبابهم في الخدمة العسكرية الإلزامية على رأس القائمة من الضرر .

كما أن الفقر كظاهرة واضحة في المجتمع العراقي كان جليا ، على سبيل المثال ، خلو المنازل حتى من الأثاث التي تجلس عليها العائلة ، وباتت العوائل تتحسر على اقتناء ابسط الأشياء ، مضافا إلى القسريّة في الانتماء إلى المليشيات التي تحمل أسماءً شتى مثل (جيش القدس ، الجيش الشعبي ، الزحف الكبير ، النخوة ،.... الخ) الذي طال حتى كبار السن والنساء[181] .

فضلا عن الاعتقالات المستمرة والمطاردة فقد تم اعتقال الباحث لأنه كان يقرأ بباب داره لأجل الأمتحانات الوزارية فالاعتقالات كانت تقوم على الشبهة فمن يشتبه بأنه ليس مواليا للنظام يتم اعتقاله أو استقدامه إلى دائرة الأمن ، كذلك سجن وإعدام الهارب من الخدمة الإلزامية .. فضلا عن إعدام السياسيين والتجّار الشيعة الأثرياء ومصادرة أموالهم خشية استخدام هذه الأموال ضد النظام .

---

180 ـ د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 95 .

181 ـ دابت السلطة على هذه الممارسات منذ مجيئها للحكم 1968 .

لقد كان النظام وأجهزته القمعية مستعداً لتصفية أي شخصية تحاول الوقوف أمام سياسته الرعناء أو الاعتراض عليها ، بل انه مستعد لتدمير قرى أو مدن بأكملها ، وعليه فلم يكن من السهل التصدي المباشر لنظام صدام وسياساته القمعية .

بناءً على ذلك انتهج بعض العراقيين سياسة تجنب النظام ، و تجنب مواجهته أو معارضته لمعرفتهم بمصير من يحاول المواجهة والتصدي ، في حين انتهج البعض الآخر أساليب متعددة للتصدي في محاولة لتجنب الخسائر بين المواطنين وبما يساهم في إضعاف النظام وإشعاره بالرفض الشعبي له ولسياساته .

كان من ضمن مظاهر التصدي للنظام ، من خلال الشعائر الحسينية ... فالمظهر الديني هو الغالب في المناطق الشيعية ، والسنة حافلة بالكثير منها ، ولأن إقامتها كانت تتسم بالجمعية فان السلطة لا تستطيع أن تقمع مثل هكذا شعائر أو القضاء عليها ، إنما تحاول السلطة تحجيم المظاهر والحد منها ، إلا أنها رغم كثرة وتنوع إجراءاتها ، إلا أنها لم تستطع القضاء عليها[182] .

إن هكذا شعائر مهّدت عام 1991 لنشوب انتفاضة جماهيرية كانت السمة الإسلامية هي الغالبة عليها وتأثرها بإيران واضح جداً ، إذ علّق المنتفضون صوراً للخميني وكتبوا بعض شعارات الجمهورية الإسلامية ، أما الشعار الموحد لجميع المحافظات المنتفضة فهو (ماكو ولي إلا علي ونريد قائد جعفري) ، هذا الذي دفع السلطة إلى رفع شعار (لا شيعة بعد اليوم) للقضاء على الانتفاضة .

إن الانتفاضة عبّرت عن رفض الجماهير للنظام الحاكم وعدم قبوله لقيادة العراق، ولقد كان التحدي الحقيقي بعد الانتفاضة وفي عقد التسعينيات للقرن العشرين ، كانت صلاة الجمعة ورمزية الصدر الثاني ، وانهيال الناس عليه من كل حدب وصوب . وفي ليلة

---

[182] - د. محمود شمال ، المصدر السابق ، ص 98 .

وضحاها تحول مسجد الكوفة إلى مكان يرفض فيه سياسات السلطة ، ويتم من خلاله إرسال رسائل إلى الداخل (الحكومة) و إلى الخارج (الولايات المتحدة وإسرائيل) .

لقد كان هذا المكان هو رمز التصدي الحقيقي للنظام وطواغيت العالم وفي الوقت نفسه كانت المعارضة الحزبية تحاول شن هجمات على دور المخابرات في بغداد وضرب صواريخ على أهداف حكومية ، والى ذلك ، مما ساهم على إيجاد صدى لدى الشعب بوجود معارضة حقيقية للنظام .

إن الخلل الوحيد الذي كان في فترة ما قبل الاحتلال عام 2003 هو عدم التماسك والتكاتف بين جهات المعارضة ، ثم أن المؤسسة الدينية لم تكن متكاتفة لأجل التخلص من عدو الإسلام صدام حسين ، وربما يرجع ذلك إلى أن معظم المراجع هم من غير العراقيين ، مما جعل الشارع العراقي يندفع نحو الحديث عن الناحية الوطنية للمرجع ، وهذا الموضوع ليس خيالاً ، بل هو حقيقة فرضت على الشيعة ، لان نظام المرجعية ليس له دخل لا من بعيد ولا من قريب بالمواطنة ، إلا أن الأحداث التي جرت في العراق دفعت إلى هكذا إشكالات .

وأخيراً يستشهد محمد الصدر ولا ناصر له ، ولا معين ، إن المراجع العرب وقفوا بكل إخلاص وصدق مع المراجع الآخرين ، ولم يخلّوا بهم وكانوا لهم معين لا ينضب من التضحية .

و قد علمنا بموقف السيد محمد باقر الصدر من مرجعية السيد الخميني ومواقفه المشرفة منها[183] .

---

183 ـ عمّار البغدادي ، مبادئ الدولة والقيادة ، مركز الهدى ، العدد 7 ، ط 1 ، 2008 ، ص 64 ، يقول الصدر الأول (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام) وهذا يعتبر تكريساً للبيعة للإمام الخميني الذي نجح في إقامة دولة إسلامية ، حسب رأي المؤلف .

والسيد محمد صادق الصدر يفصح عن موقفه إزاء هذه الإشكاليات عندما يقول (لا توجد هناك حوزات مختلفة ومرجعيات ثباتية وإنما هي قيادة حوزوية متآخية ومتوافقة لأجل نصرة دين الله وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم أياً كان محل تلك الحوزة أو هذه، في النجف أو في قم أو في خراسان أو في لبنان ...)[184] .

لقد حاول المراجع العرب أن يفتتوا عملية الفصل و التفريق بين مفهومي المرجع العربي و المرجع الأعجمي ، إلا أن إفرازات الواقع تشير إلى وجود هذه النزعة .

---

[184] - عادل رؤوف ، المصدر السابق ، ص 218 .

المبحث الثالث

مشروعية القيادة الدينية

الشرعية ، هي سمة ممارسة السلطة ، عندما يعتقد أن تلك السلطة هي على وفق مبادئ وممارسات معينة ، ويطلق المصطلح معيارياً أو ايجابياً أو وصفياً :

يطلق معيارياً ، عندما يحكم على السلطة بأنها جديرة بالقبول على وفق مقاييس، مثل الحق أو العدل . و يطلق ايجابياً عندما يمارس السلطة وفق القيود و المقاييس المعروفة .

ويطلق وصفياً عندما تكون السلطة مقبولة عموماً من أولئك الذين تمارس معهم على وفق مبادئ يحملونها (العقائد ، والممارسات الموجودة فعلاً) ولذا تستعمل الشرعية بخاصة في المعنى الوصفي"[185] .

إن الطبيعة الدقيقة للمبادئ والممارسات التي تمنح الشرعية تتباين بين مجتمع وآخر وبمرور الزمن : الأمثلة الشائعة هي السلطة الإلهية ، والقانون الطبيعي ، وحكم القانون ، والقرارات الديمقراطية أو الانتخابات ،والوراثة .

قد يعتمد الحكم على الإيمان بحق ممارسة السلطة على الشرعية لكن قد لا يكون الاعتقاد جماعياً وقد يقتصر أحياناً على العناصر الرئيسة لجهاز المؤسسة الدينية ، محاولة في ذلك إثبات الشرعية .

أما القيادة ، فهو نمط من السلوك غرضه تنظيم جهود مجموعة نحو الأهداف المرغوبة وتوجيهها ، وتوجد القيادة حيث توجد تلك الأهداف المرغوب فيها ، إنها سلوك وضعي إذ تعتمد على أشكال معينة لقائد ما ، والأنصار والأهداف ، وطرق تحقيق الاهداف في بيئة

---

185 ـ د. أحمد عطية الله السعيد ، المصدر السابق ، ص 242 .

معينة ، إن قبول الأنصار للقيادة تعتمد على احترامهم شرعية القائد فضلاً عن الكفاءة المحتملة للقيادة ، على سبيل المثال[186] .

إن أزمة مشروعية القيادة هي من أخطر الأزمات التي واجهها الإسلام يعبر عن ذلك الشهرستاني بقوله (ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلَّ على الإمامة)[187] .

والإمامة تعني القيادة ، فضلا عن ذلك أن فقهاء الدين والمفكرين الشيعة لا يؤمنون بالدول القائمة ، ويعدونها ، دولاً غصبية غير شرعية في ظل غياب الإمام المهدي (عج) استناداً إلى رواية الإمام الصادق(عليه السلام) القائلة (كل راية تُرفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل)[188] إلا أن هذا الحديث لا يلغي ضرورة وجود قيادات دينية للأمة.

وفي ظل هكذا رؤى تلاشت ثقافتا القانون والمؤسسة اللذين من المفترض أن يكونا أساسا في فكر وإدارة المجتمع الإسلامي وسادت ثقافة القائد الفرد ، مقابل الدفاع عن فكرة الدولة الإسلامية لدى مفكري المسلمين .

إن مشروعية السلطة الدينية لا تتأتى من وجود القائد كشخص ، بل بوجود الآلية القانونية والمؤسساتية التي تحدد شخص القائد ، كما أسلفنا في مقدمة المبحث ، وحتى الدفاع عن الدولة الإسلامية ، في ظل إمام فاجر الذي يعده الشيعة كسبب ، كما في مثال

---

[186] - للمزيد راجع أحمد عطية الله السعيد ، المصدر السابق ، ص 240 .

[187] - طلال الخالدي ، الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، العدد 188 ، 1997 .

[188] - الكليني الرازي ، الأصول من الكافي ، مجلد 1 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط 3 ، 1388 هـ ، ص 339 .

الإمام السجاد وفي دعاء الثغور المشهور له[189] وحتى هذا الدفاع ، حسب الدعاء ، لا يعطي مشروعية للدولة ، بقدر ما يعبّر عن هوية الأمة الاسلامية والدفاع عنها .

لا يكفي الدولة في الإسلام أن يكون ظاهرها إسلامياً ، وحتى لو كان حاكمها فاجراً ، فالذي يعطي الدول معناها الإسلامي ، هو مشروعيتها ، أو عدم مشروعيتها ، ومصدر هذه المشروعية هي الأمة ، من وجهة نظر البعض[190] .

في نظر البعض هو الإمام (القائد) مصدر المشروعية للدولة ، والحقيقة إن الإمام (القائد) هو فرع في الدولة وإن الأمة هي الأصل .. إلا أن بعض الفقهاء ربط مشروعية الدولة بالفرع وليس بالأصل .

وهذا يجعل المؤسسات غير ذي جدوى ، بل الفرد ، وهذا هو الحاصل ، الذي أدى بالدول الإسلامية إلى الاستبدادية .

فلا يمكن أن ننظر إلى دولة يحكمها فرد بأنها دولة إسلامية ، حيث لا تستند إلى قانون ولا مؤسسات ، فهي دول قهرّية[191] فالحاكم شخصية متحركة متبدّلة داخل إطار القانون والمؤسسة ، كما لا يمكن أن نتصور القانون والمؤسسة في الإسلام دون دور للأمة كمصدر للشرعية ، وعلى الرغم من بناء الدولة في الفكر الشيعي على أساس الإمام المعصوم ، إلا أن موضوع البيعة ظل حاضراً ، إذ أن الأمة هي مصدر الشرعية[192] .

---

189 - السيد محمد الشيرازي ، شرح الصحيفة السجّادية ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط بلا ، 1967 م ، ص 216 - 231 (دعاء لأهل الثغور) .

190 - محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد ، دار المعارف ، بيروت ، 1983 ، ط 1، ص 342 . وكتابه ، الاجتهاد والتقليد ، كنز المعرفة ، بيروت ، 1988 ، ط بلا ، ص 117 .

191 - أنظر الدول الملكية التي تدّعي أنها إسلامية وراعية للإسلام في العالم .

192 - للمزيد راجع ، د.حسن عباس حسن ، الفكر السياسي الشيعي ، الأصول والمبادئ ، العالمية للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1988 ، ص 267 فما بعدها .

إذاً شرعية السلطة أهم بكثير جداً من إسلامية السلطة فعبر التاريخ كله كانت السلطة إسلامية لكنها لم تتمتع بالشرعية إذاً شرعية السلطة هي الأهم ، كما إن اختيار السلطة أو القائد الديني ، هو شأن بشري ليس له علاقة بالشأن الإلهي ، ولو قلنا بغير ذلك لكان قولنا مطابقاً للفكر السياسي القديم في وادي الرافدين ومصر ، قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة .

إن الوعي الديني العراقي لمسألة القيادة يرتكز على نمط القيادة الفردانية ، وذلك بسبب علاقة الفقيه بالأمة التي تقوم على التقليد كأساس ، وعلى الرغم من تأثير هذا الموضوع على وعي الأمة ، فلم يبحث المفكرون ، الشروط والآليات التي وضعت التقليد كأساس ، خاصة شرط الأعليمة كمنبع لوعي الأمة في مسالة القيادة الدينية[193] إذ أن نظر الأمة يبقى مشدوداً باتجاه الفقيه الذي يُقلد ، لا ، إلى المفكر الذي لم يتصد لطبع رسالة عملية[194] مهما كان هذا المفكر الإسلامي عبقرياً .

هذا الانشداد هو الذي حدد حركة الأمة في معظم مجالاتها السياسية والاجتماعية.... الخ ، وأصبح رأي الفقيه المقلّد حاضراً في ذهنية الوعي التقليدي ، المطالب برأي فقيه التقليد في أي مساهمة أو عطاء أو مشروع فكري أو ثقافي أو اجتماعي أو خيري فضلاً عن التحرك السياسي وما ينطوي عليه من مخاطر[195] .

---

193 - للسيد كمال الحيدري رأي يخالف فيه جميع علماء الشيعة في الأعلمية في مقابلة منشورة على الانترنت في موقعه الرسمي .

194 - الرسالة العملية ، هي المنهاج الذي يوضح للمقلدين كيفية إتقان أعمالهم العبادية من حلال وحرام ومعاملة .

195 - عادل رؤوف ، عراق بلا قيادة ، المصدر السابق ، ص 536 .

لقد رسّخ في ذهنية الأمة مسالة القيادة الدينية ، كواجب ديني شرعي ، وأصبح فوق افتراض أن يُناقش أو يُطرح للبحث والمسائلة والمراجعة ، فلم يحدث أن عايشت الأمة نمطاً غير نمط القيادة الفردانية ، ورغم اشتراط هذا النمط بشرط الأعلمية إلا أننا نجد تعدد أقطاب المرجعية الدينية ، كما أن هذا التعدد لم يكن تكاملياً ، بل ، في نفس إطار الوعي الفردي للقيادة[196] .

إن شرط الأعلمية بقي ضمانة لضبط الثقل الأكبر من تقليد الأمة باتجاه أحد الشخصيات المرجعية في حين بقي الجزء المتبقي من الأمة موزعاً بين رموز آخرين ، وهذا ما يفسر عدم تحرك كل قطاعات الأمة نحو هدف اجتماعي - سياسي بعينه ، حيث اختفى السلوك المنظم الموحد المتجانس للأمة ، وأصبح تصفية نشاطات ورجالات الأمة أسهل على الحكومات .

في القرن العشرين ولظروف متعددة ولمرّة واحدة حدث تحرّك شبه كلي في العراق تمثل بأحداث انتفاضة 1991 إلاّ إنها أحبطت من قبل الحكومة ووجدت الانتفاضة نفسها بلا قيادة دينية تقودها وفق ما تطمح إليه لأن المرجعية العليا لا تهتم للأمر السياسي ووجدت نفسها محشورة بهكذا حدث ضخم[197] .

إن العنصر الثاني في وعي الأمة تجاه القائد الديني يتمحور حول قدسية المرجع (رجل الدين) والتي هي في الأصل تصورات مفترضة ، تفترض أن رجل الدين فوق أن يخطئ ، فهو النائب للإمام عن الله في الأرض حسب وعي شرائح من الأمة وبالتالي فهو مقدس

---

196 ـ عادل رؤوف، عراق بلا قيادة ، المصدر السابق،ص536؛ حسين بركة الشامي ، مصدر سابق ، ص 230 ؛ د. متعب مناف ، الدين والسياسة والعلمانية ، مصدر سابق ، ص 79 .

197 ـ عادل رؤوف ، عراق بلا قيادة ، المصدر السابق ، ص 536 .

وينبغي أن يُطاع دون مناقشة أو تفكير أو تأمل فيها يتخذه من مواقف وسياسات"[198] ، ولذلك فقد اتسع نطاق إفتاء الحوزة في المشكلات السياسية وازداد تأثير المراجع الدينية نفوذاً سياسياً قد يفوق نفوذهم الفقهي الاجتماعي ، ويستطيع المرجع الديني تحريك المسلمين في البلد الآخر وهو في مقره"[199] .

فالمقلدون يُبررون مواقف مرجعهم ، وغالباً ما يندفع الناس بشكل لا إرادي للدفاع عن المرجع– القائد ، وهذا ما يفسر الرسوخ للقدسية في الوعي الجمعي .

ومنذ تجربة الصدر الثاني بدأ هذا التقديس يتراجع ، حيث بدأت شروط أخرى (مبان فقهية) في النظر إلى المرجع ، على الرغم من أن هذه المبان والتوجه أصبح صعباً بسبب الحرب الداخلية في ذات المؤسسة الدينية بفعل المراجع التقليديين المهيمنين على المؤسسة والتي أدت وإلى اليوم ، إلى اتجاهات فردانية القيادة المصحوبة بالتكفير ضد ناقديها.

فهم يستندون في هذا الموقف إلى حديث الإمام الصادق ﷺ وحسب ما جاء في كتاب عقائد الإمامية :–

(عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط انه نائب للإمام ﷺفي حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق ، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله تعالى ، وهو على حد الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت عليه السلام)[200] .

---

[198] - المصدر السابق ، ص 537 .

[199] - د.متعب مناف ، المصدر السابق، ص 79 .

[200] - محمد رضا المظفر ، عقائد الإمامية ، مطبعة أفق ، قم ، ط 4 ، 1422 هـ ، ص 34 .

كما يمثل عنصر الطائفية سمة مميزة في المؤسسة الدينية[201] ، و على الرغم من أن هذا العنصر يعد إشكالية إسلامية عمومية ، إلا أنه في العراق يأخذ سياقاً خاصاً لأسباب تاريخية وسياسية . فالعراق الحاضن لحركة التشيّع ، ومركزاً فقهياً وفكرياً مؤثراً في المراكز الشيعية الأخرى في شتى أنحاء العالم ، وبسبب وجود المراقد المقدسة للائمة (ع) أخذ العراق موقعاً استثنائياً في التأثير على المحيط الإسلامي والعالمي .. وربما هذا السبب الرئيسي الذي جعل العراق من أكثر البلدان استهدافاً من القوى الاستعمارية ، وعلى المستوى السياسي والفكري واتجاهات السلوك المعبّرة عنها .

إن ما يدور داخل المؤسسة الدينية وطريقة التعاطي مع ما يتعلق بمناهج التدريس، أو رموز المؤسسة الثورية والتقليدية أو حجم الاستقطاب الخارجي لها ... إذ أن ما يلاحظ على القرن العشرين أن العراق كمركز للتشيّع لم يلعب دوراً مهماً على المستوى الفكري-المذهبي في الساحة الإسلامية بالشكل الذي يتناسب مع مركزيته إذ بقي الحوار المذهبي-الفكري حواراً ثانوياً وليس أساسياً في اهتمامات المؤسسة الدينية[202] .

إن الواقع الذي بقي فيه الحوار المذهبي ثانوياً وليس أساسياً ، وربما هامشياً ، لا ينسجم مع حجم العراق الشيعي ومركزه ، فإذا كان ينم عن شيء فهو ينم عن شكل التشيّع الذي أُريد له أن يسود فيه ، وان يحرمه من القيام بدوره المفترض ، فلقد أُريد لهذا التشيّع أن يتجه بثقله الأكبر اجتماعياً نحو الطقوس والخرافة والشكلانية ، وأُريد إفراغه من مضامينه الثورية والوحدوية وهذا ما يفسر شيوع بعض المدارس والاتجاهات التي لا

---

[201] - هذا ما يختلف معنا فيه ، عمّار البغدادي ، مبادئ الدولة والقيادة ، البيّنة ، عن مركز الهدى ، العدد / 7 ، ص 129 ، لسنة 2008 .

[202] - عادل رؤوف ، عراق بلا قيادة ، المصدر السابق ، ص 539 .

زالت تعمل بلا هوادة على إضفاء هذا الطابع الخرافي المتطرف على التشيع باسم الثورة الحسين .

هذه الثورة التي بقيت شاهداً تاريخياً على ثورية التشيّع وأُريد لمضامينها هي الأخرى أن تتحول إلى طقوسية و شكلانية فارغة من محتوى الأهداف السياسية والاجتماعية الحيوية .

مشكلة القيادة المرجعية :

إن مشكلة القيادة المرجعية في كل تاريخها إنها كانت شخصاً لا مؤسسة ، وكانت تعتمد على مستوى شخصية هذا الشخص ، قوةً وضعفاً ، وعلى مبادراته ، وعلى سعة أفقه العلمي والأشخاص المحيطين به ، ولم تفكر القيادة المرجعية الشخصانية بأن تتحمل مسؤولية التشيّع ، أمام كل المتغيرات الواقعية على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، وعلى مستوى التطورات التي انطلقت في العالم[203] .

يقول صاحب كتاب المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة : (إننا نعتقد أن المرجعية مع كل احترامنا للأشخاص الذين يتحركون في دائرتها أو يُشرفون عليها أو يقودونها ، لا تستطيع أن تواجه تطورات العصر . ولذا فهي تعيش انكماشاً في دائرتها الخاصة في نطاق الفتاوى ، أو في نطاق بعض الأعمال التي تتحرك هنا أو هناك)[204] .

ولعل السبب الرئيس الذي يكمن وراء مشكلة القيادة المرجعية هو أن المرجع نتاج الحوزة من جهة ، ونتاج الظروف المحيطة والمؤثرات الداخلية التي تحكم ذهنيّته من خلال بعض التأثيرات التي تحيط به من الخارج والتي قد تحكم كثيراً من خطوطه الفكرية التي

---

[203] - للمزيد راجع : محمد حسين فضل الله ، آراء في المرجعية الشيعية ، مركز الإمام الصادق ، مطبعة اليعسوب ، بيروت ، ط 6 ، (د.ت) ، ص 438 .

[204] - حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 230 .

يتحرك من خلالها في هذا الواقع ، أو من خلال عبقريته الخاصة التي جعلته يتجاوز بيئته من جهة أخرى .

ولذلك كانت حركة القيادة المرجعية بين مد وجزر ، فهناك مرجعيات استطاعت أن تنفتح على الواقع الإسلامي بحجم الظروف التي كانت تعيشها ، ولذلك كانت قيادتها تعطي بعض اللّمعات والإضاءات في كثير من مراحل الواقع الإسلامي.

بينما نجد أن هناك مرجعيات انكمشت انكماشاً شديداً حتى كان يُخيّل للناس إنها غائبة تماماً عن كل شيء في الواقع ، لدرجة إنها لا تشارك حتى في القضايا الثقافية العامة التي تطرح فيها الأفكار في مستوى الفعل أو رد الفعل في ساحة التحديات للإسلام وأهله"[205] . فالمرجعية ليست مجرد منصب يقدم الفتيا للناس هنا وهناك ، بل هي في كل أبعادها تمثل حركة الاجتهاد في حركة الإسلام في الزمن .

إننا نلاحظ أن العصر قد تطور ، و أن المراكز الدينية في العالم ، سواء على مستوى المسيحية أو على مستوى اليهودية أو على مستوى المسلمين من غير الشيعة ، أصبحت تملك مواقع في الإطلالة على الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي في دوائرها الخاصة وغير الخاصة ، كما أنّ الشيعة بفعل التطورات والمتغيرات التي حدثت في مواقعهم ، وبفعل الآفاق الجديدة التي انفتحت عليهم والتي انفتحت لهم ، أصبحوا يمثلون حجماً كبيراً يستطيع أن يشارك في كثير من القضايا ، كما إنه أصبحت لهم حاجات سياسية واقتصادية وثقافية وما إلى ذلك مما يفرض على المرجعية أن تتطور في انطلاقاتها وفي شروطها تبعاً لتطور الواقع الذي تتحرك فيه .

والحقيقة أن الواقع الذي نعيشه أصبح أكبر من المرجعية في طبيعة خصائصها وظروفها وطريقة تكوينها بكثير ، بحيث أن المرجع الذي يراد له من خلال عنوانه أن

---

[205] - المصدر السابق، ص 231 .

يشرف على كل شؤون الشيعة ، تحول إلى مجرد شخص مفتٍ لا يتصرف في الشؤون الشيعية إلا بطريقة خجولة ومتواضعة .

إننا نلاحظ أن الواقع الشيعي هو اكبر بكثير من واقع القيادة المرجعية ، وإننا نخشى أن هذا الواقع قد يتطور إلى مجال أوسع بحيث تفقد القيادة المرجعية معناها عنده، لأن القيادة المرجعية لم تستطع أن تُرجِع هذا الواقع إلى الوراء ، ولهذا لابد من التفكير بهذه المسألة بكثير من الخطورة ، لان المسألة ، فيما نلاحظه ، بالواقع اخطر مما يتصوره الكثيرون.

الفصل الرابع
الدور السياس للمؤسسة الدينية
في العراق بين2003 – 2010

- المبحث الاول/ القيادة والقائد
- المبحث الثاني/ القيادة الدينية وركائزها العامة
- المبحث الثالث/ دور المؤسسة الدينية بعد 2003

مدخل

القيادة نمط من السلوك غرضه تنظيم جهود مجموعة نحو الأهداف المرغوبة وتوجيهها ، وتوجد القيادة السياسية حيث تكون تلك الأهداف .

إنها سلوك وضعي إذ تعتمد القيادة على أشكال معينة لقائدٍ ما ، والأنصار والأهداف ، وطرق تحقيق الأهداف في بيئة معينة .

إن قبول الأنصار القيادة تعتمد على احترامهم شرعية القائد فضلاً عن الكفاءة المحتملة للقيادة ، على سبيل المثال ، وقد تعتمد هذه الشرعية على تولي القائد دور سلطة رسمية ، ويؤكد مخطط (ويبر) التصنيفي للأنواع المثالية للقيادة الاختلافات في القواعد لقبول القيادة .. ويُميّز (ويبر) بين القيادة الموهوبة عندما يطاع القادة لأنهم يعدّون أصحاب خصائص استثنائية أو سحرية .. وبين القيادة التقليدية عندما يطاع القادة لأنهم يتولّون مركزاً في المجتمع كأن يحق له أن يطاع ، مثلاً بسبب الولادة في سلالة أو طبقة حاكمة ، والقيادة القانونية – العقلانية المستندة إلى السلطة الناشئة عن مجموعة مثبتة عقلانياً من القواعد والإجراءات[206] .

كما أن أساليب القيادة أيضاً تتباين ، فبعض القادة يستعملون وسائل إقناع وآخرين يستعملون وسائل الفرض ويتّبع غيرهم وسائل التفاهم ، ودراسة مثل هذه الأساليب المختلفة هي أحد ميادين علم النفس السياسي ، ويبدو أن الكفاية تعتمد على امتلاك أسلوب واحد أقل مما تعتمد على القدرة على اختيار الأساليب وتكييفها في إطار المهمة والوسيلة المتيسّرة[207] .

---

206 - د. أحمد عطية الله السعيد ، المصدر السابق ، ص 239 .

207 - المصدر نفسه ، ص 241 .

إن أنماط التعليم والفروق بين الطبقات الاجتماعية وأنواع المركز القيادي المتوافر والقيود المفروضة على المرشحين (أعضاء الأقليات العرقية أو الدينية والناس دون سن معينة) كلها تؤثر في توافر القادة .

غير أن من الأمور المهمة ملاحظة أن العمليات النظامية وغير النظامية تؤثر في اختيار القياديين ، كذلك قد تسمح مطالب أزمة ما بظهور قادة ، قد لا ينظر بخلاف ذلك ، في توليهم مثل هذه المراكز ، والتأريخ حافل بمثل هذه الملاحظة، أنظر هتلر مثلاً.

كما أن هناك شروطاً شخصية لابد توافرها في القائد كما أن هناك شروطاً بيئية يجب أيضاً توافرها ولعل أهمها مدى رغبة وثقافة وتحضّر الأفراد أو الناس الّذين يقودهم[208] .

---

[208] - د. محمد علي محمد ، دراسات في علم الاجتماع ، دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1977 ، ص 37 .

؛ مولود زايد الطبيب ، دور التنشئة السياسية في تنمية المجتمع ، المؤسسة العربية – الدولية ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 2001 ، ص 91– 93.

المبحث الأول

القيادة والقـــائد

يخلط الكثير بين مصطلح القيادة والرئاسة والإدارة ، والحقيقة أن لكل من هذه المصطلحات اختصاصه ومميزاته ، إلاّ أن ما يهمّنا هنا هو القيادة ، ولذلك سنركز عليه بحثنا .

القيادة تركّز على العلاقات الإنسانية وتهتم بالمستقبل ، وتحرص على عدم الخوض إلا في المهم من الأمور ، وتهتم القيادة بالرؤية والتوجهات الإستراتيجية وتمارس أسلوب القدوة والتدريب"[209] .

ولكن هل يمكن تعلم فن القيادة ؟

بعض المفكرين يرى أنه لا يمكن تعلّم القيادة ، فالقيادة شخصية وحكمة وهما شيئان لا يمكن تعلّمهما ولا تعليمهما"[210] .

والبعض يرى أن القيادة هي فن اتخاذ القرار ويمكن أن يتعلمها أي شخص وباستطاعته التعلّم . ويرى الدكتور سليم الياس إن القيادة تنقسم إلى قسمين أو جزأين، جزء يمكن تعلّمه وإتقانه وجزء يجب أن يكون موجوداً بالفطرة في الشخص وبدون هذين الجزأين لا يمكن أن تكتمل شخصية القائد ونجاحه كقائد"[211] .

---

[209] ـ مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الإدارية الشاملة ، القادة والمدراء ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، بيروت ، ط 1 ، (د.ت)، ص 6 .

؛ د. إبراهيم الفقي ، سحر القيادة ، الراية ، سوريا ، ط بلا ، 2010 ، ص 22 .

[210] ـ المصدر نفسه ، ص 6 .

[211] ـ المصدر نفسه ، ص 7 .

أما الجزء الّذي يمكن تعلّمه فهو ما يتعلق بمهارات التواصل والتخاطب والنظريات و الاستراتيجية والأساليب القيادية المختلفة ، وكلها أمور يمكن تعلمها في المعاهد والمراكز والجامعات في دورات تطول أو تقصر .

لكن الجزء الّذي لا يُعلّم ولا يمكن اكتسابه بشكل مصطنع هو المتعلق بالمشاعر والعاطفة وسرعة البديهة والاهتمام بمن حول القائد وهي صفات تصنع القائد وتحبب الناس فيه فيسهل عليهم إتباعه .

وبصفة عامة فإن القيادة تتعلق بشخصية الإنسان ككل ، وهي بروز الشخصية القيادية الحقيقية ، وهذا أمر يحتاج إلى الكثير من الوقت والصبر ، إذ أن الشخصية القيادية لا يمكن أن توجد وتدرّب وتُصقل وتكتسب الخبرة اللازمة في يوم وليلة ، بل هي عملية تأخذ سنوات من العمر .

كما يساعد تعريف المسؤولية على تقرير وتحديد الدور الذي يؤديه القائد في مجتمعه (فالمسؤولية تعني الالتزام بأداء مهمة معينة ثم ألزام كائن معين بأداء هذا العمل)[212] . إن المسؤولية في أوسع مجالاتها لا تحدد الواجبات التي يُسأل عنها كل فرد في المجتمع بل تحدد الأشخاص الّذين يعتبر العضو مسئولا أمامهم وعنهم في القيام بهذه الواجبات .. وبذلك تحدد الوضع الرسمي لكل عضو ومكانه في التقسيم الطبقي في المجتمع .. إن القيادة والنظام المؤسس في المجتمع ما هو إلاّ بعض مظاهر المسؤولية فيها[213] .

---

[212] - دروين كارتريت وآخرون ، تنظيم وقيادة الجماعات ، ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ط 1 ، 1965 ، ص 29 .

[213] - المصدر نفسه ، ص 25 .

القيادة

تعريف القيادة :

المهمّة التي يقوم بها فرد لديه مجموعة من الصفات تؤهله للقيام بدور متميز بين المجموعة التي يكون فيها ، كما يكون قادراً على تغيير سلوك تلك المجموعة من الأفراد ويوجههم إلى تحقيق الأهداف"[214] .

والقيادة بمفهومها العام تعني عملية التأثير في موقف معيّن ، كما تعني العملية التي من خلالها يؤثر القائد في سلوك أعضاء الجماعة للوصول إلى الهدف ، كما تعني عملية التأثير المتبادل الذي يؤدي عن طريق تضافر الأفراد – رغم الفروق بينهم – إلى توجيه النشاط الإنساني سعياً وراء تحقيق هدف مشترك"[215]

ومن خلال ما تقدم نخلص إلى الحقائق الآتية :-

1- أن أساس القيادة هو مساعدة الجماعة لكي يتعاون أفرادها في تحقيق هدف مشترك يتفقون عليه ويقتنعون بأهميته ، فيتفاعلون بطريقة تضمن تماسك الجماعة وتضامنها وتحركها في الاتجاه المرغوب الّذي يؤدي إلى تحقيق الهدف المشترك .

2- أن هناك شخصاً (القائد) يوجّه هذه الجماعة ويتعاون معها لتحقيق هدف ما .

3- إن القيادة ظاهرة اجتماعية تنبثق حينما تتوافر في فرد معيّن سمات الشخصية المسيطرة إزاء الآخرين الّذين يتميزون بسمات الشخصية التابعة"[216] .

---

[214] - د. طلعت حسن رحيم ، علم النفس الاجتماعي المعاصر ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1981 ،ص 50.

[215] - المصدر نفسه ، ص 51 .

[216] - المصدر نفسه ، ص 51 .

مقوّمات القيادة الناجحة :-

لابد أن تتوافر صفات ومهارات للقائد من فطنة وذكاء والقدرة على إدارة الظروف والمواقف من مرونة تساعده في التفسير حسب الحاجة الملحّة . وفي هذا السياق لابد أن تتوافر ثلاث صفات على وجه العموم للقيادة وهي :-

1- مهارات إنسانية : وهي القدرة على التفاعل والتفاهم مع الناس والقدرة على خلق روح العمل كفريق بين أفراد التنظيم .

2- مهارات فنية : وهي المعرفة والفهم لنوع العمل الّذي يؤديه القائد فعليه أن يكون ملماً بجميع الأعمال والعلوم مثل المحاسبة ، القانون ، الاقتصاد ، .... الخ .

3- مهارات فكرية : هي القدرة على تصوّر الأمور ورؤية الأبعاد الكاملة لأي مشكلة ، أي هي القدرة على تصوّر العلاقات بين العوامل المختلفة[217] .

لا يوجد نمط قيادي محدد يوافق كل الثقافات ، ولتحقيق قيادة ناجحة يتعيّن على القائد أن يكون ملمّاً بأكبر قدر ممكن من الملاحظات التي تحتوي اختلاف الثقافات .

سمات القائد :

فيما يأتي أهم السّمات التي يجب توافرها في كل فرد يتحمل مسؤولية القيادة :-

1- السمات الفيزيقية أو الجُبلية : وهذه السمات لها علاقة بطول القائد والحجم والحيوية والنشاط والمظهر الشخصي .

2- السمات الشخصية :

أ- الثقة بالنفس ب- الاتزان ج- السيطرة د- الذكاء هـ-المبادأة

[217] - مجموعة مؤلفين ، المصدر السابق ، ص 34 – 35 .

و- الطموح   ز- المرونة   ح-الحماس   ي- البشاشة   ك- الحساسية الاجتماعية   ل- الشجاعة   م- الابتكار والإبداع   ن- اللباقة

وأخيراً تكامل الشخصية وتوافقها والموضوعية (عدم التحيّز)"[218] .

والقيادة خاصية من خصائص الجماعة وظيفتها القيام بأنواع من النشاط المهم للجماعة ، والقيادة غير الزعامة أو الرئاسة التي تنحصر بالجماعات المنتظمة والكامنة ، دون جماعات السلطة ، فالقيادة من معانيها السلطان ، الحكم ، الجماعة القائدة (الصفوة) ، القيادة السياسية ، القيادة الدينية"[219] .

أهمية القيادة في حياة الجماعة :

يلعب القادة دوراً هاماً في تحديد أهداف المجتمع (الجماعة) وفي وضع قيمه كما يضعون خطط النشاط المختلف للمجتمع .. ويقع على المجتمع قبول أو رفض القيادة ، لذا فلابد للقائد أن يُشبع حاجات المجتمع .

وتظهر القيادة في الجماعة ظهوراً تلقائياً حينما يميل التأثير في الجماعة إلى الاستقرار في يد شخص معيّن أو عدد قليل من الأشخاص .

وكلما زاد حجم الجماعة وتشعبت وظائفها كلّما ظهرت الحاجة إلى وجود عدد كبير من القادة الّذين ينظمون شكلاً هرمياً للقيادة بحيث يكون في أعلى هذا الشكل الهرمي القائد

---

[218] - د. طلعت حسن رحيم ، المصدر السابق ، ص 55 .
؛ د. حامد عبد السلام ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1977 ، ط 4 ، ص 274 .

[219] - مولود زايد الطبيب ، المصدر السابق ، ص 92 – 93 .

الأول ويليه طبقات أخرى من القادة في المرتبة الثانية والثالثة وهكذا حتى ينتهي الهرم بالقاعدة حيث يوجد فيها الأتباع[220] . القائد الأول

القائد الثاني

القائد الثالث

القائد الرابع

الأتبـاع

تظهر الحاجة للقادة أكثر ما تظهر عندما تمر الجماعة بأزمة من الأزمات أو تتعرض لخطر وتعجز عن كيفية التخلص منه ، وهنا تظهر الحاجة إلى القائد الذي يأخذ بيد الجماعة . كذلك فإن تعرض الجماعة إلى تهديد داخلي أو خارجي يؤدي إلى اتحاد الجماعة وتماسكها تحت راية قيادة موحدة قوية .

وتُعد ظاهرة القيادة ضرورية بالنسبة لتكوين الجماعات ولاستمرار بقائها فأن مجرّد وجود جمع من الناس لا ينتظمون في تنظيم معيّن ولا يخضعون لقيادة معينة لا يعد تجمعهم هذا كجماعة أو مجتمع إنما يكون تجمهراً ، ومن خصائص القيادة أنها تكون النواة التي يلتف حولها الأفراد . والمواقف الاجتماعية بدورها تعمل على بروز بعض الصفات القيادية في بعض الأشخاص فيتولون القيادة[221] .

وللقيادة وظائف متعددة يحددها كرتش وكوتسفيلد وتتلخص هذه الوظائف في الإدارة والتنفيذ والتخطيط وإبداء الرأي والاستشارة للجماعة وتمثيلها لدى الغير وضبط العلاقات القائمة بين أعضائها والثواب والعقاب والفصل في المنازعات التي تنشأ بين

---

[220] - د. عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط بلا ، (د. ت) ، ص 375 .

[221] - د. عبد الرحمن محمد عيسوي ، المصدر السابق ، ص 376 .

أعضاء الجماعة ، والقائد فوق ذلك هو نموذج الجماعة ورمزها و المسؤول عنها والناطق بلسانها وهو الذي يمثل الأب وكبش الفداء[222].

نظريات القيـادة :

تعددت النظريات الموضّحة لكثير من خصائص القيادة وأنماطها والتي من الممكن أن تُسهِم في توضيح العديد من الجوانب المتعلقة بالقيادة وسوف نتطرّق إلى مجموعة من النظريات هي :-

أولاً : النظريات التي تتعلق بالسمات .

ثانياً : النظريات السلوكية .

ثالثاً : نظرية التحليل النفسي .

رابعاً : النظريات الموقـفية[223] .

أولاً : النظريات التي تتعلق بالسمات :

تعد تلك النظرية من أقدم النظريات التي تستند إلى بعض الصفات التي اتصف بها القائد الناجح ، وتنضوي تحت هذه النظرية نظريتان هما :

النظرية الأولى : نظرية الرجل العظيم :

تفترض النظرية إن القادة العظام يولدون ولا يُصنعون أي أن الجانب الوراثي يلعب دوراً مهماً في صياغة وبلورة هؤلاء العظام .

---

222 - د. صلاح مخيمر وعبدة ميخائيل ، المدخل إلى علم النفس الاجتماعي ، الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1968 ، ط 1 ، ص 207 .

223 - يقسم أهل علم النفس الاجتماعي النظريات الخاصة بالقيادة إلى ثلاث نظريات هي نظرية السمات ولا يقسمونها ونظرية المواقف والنظرية المشتركة ، أنظر : د. طلعت حسن عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص 66 - 67 .

النظرية الثانية : نظرية الرجل الناجح[224] :

على الرغم من أهمية هذه النظرية إلا أنها واجهت انتقادات منها :

- لا توجد قواسم مشتركة للقادة للناجحين .
- غفلت النظرية عن مقارنة مدى التفاعل بين سمات القائد ومتطلبات الموقف الذي يعيش فيه القائد[225] .

ثانياً : النظرية السلوكية :

أ – النّمط الفوضوي :

أن القائد الفوضوي غير محبوب من قبل الجماعة ، فهو يترك لهم الحرية في التصرف ، فلا يشترك في اتخاذ القرارات ولا في المناقشات ولا يوجه الأفراد إلا متى احتاجوا للتوجيه[226] .

ب- النمط الاستبدادي :

هو القائد الذي يسعى للاستحواذ على السلطة من اتخاذ للقرارات والأهداف، ويفرض الأوامر على الأفراد دون مناقشة ، وهو مصدر الثواب والعقاب، ويعتمد أعضاء الجماعة عليه اعتماداً مطلقاً ، وهذا النوع يحرص على تقليص الإنصات بين الأعضاء بعضهم البعض[227] .

---

224 - راجع ص139.

225 - مجموعة مؤلفين ، مصدر سابق ، ص 37 .

226 - د. عبد الرحمن محمد عيسوي ، مصدر سابق، ص 371 .

227 - المصدر نفسه ، ص 371 .

ج- النمط الديمقراطي :

وهذا النمط من أكثر الأنماط نجاحاً حيث تبرز فيه المشاركة بين القائد وأفراد المجموعة وهو يساعد المجموعة على تحقيق أهدافها من خلال توزيع المسؤوليات والمهام، والقائد هنا عبارة عن محرك المجموعة وهذا أكثر الأنواع نجاحاً[228].

ثالثاً : نظرية التحليل النفسي :

إن هذه النظرية هي أوضح في المجال السياسي والديني ، إلاّ أن أهم الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية ، أنها لا تساعد في اختبار القادة بل إنها كانت ترّكز على طفولة القادة الحاليين الذين وصلوا إلى المراكز القيادية ، فضلا عن أن النظرية تذكر أن الصعوبات التي يواجهها الطفل هي بمثابة موجه للمستقبل المهني ، وهذا الاستنتاج غير صحيح بصورة مطلقة وخاصة للقائد[229] .

رابعاً : النظريات الموقفية :

هذه النظريات تُبرز نجاح القائد بمقدار الموائمة بين الموقف والسلوك المناسب وأهم النظريات هي :

1- نظرية فدلر :

حددت النظرية ثلاثة متغيرات للموقف تعكس مدى السيطرة التي يفرضها القائد على الموقف وهي كالآتي :

أ- العلاقة بين القائد وأفراده أي نوعية ومدى العلاقة بينهما سواء كانت قوية أو ضعيفة ، ومدى الثقة والاحترام المتبادل .

---

228 - المصدر السابق ، ص 371 .

229 - د. عبد الحليم محمود السيد ، علم النفس الاجتماعي والإعلام ، ج 1 ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط بلا ، 1979 ، ص 259 .

ب- قوة المنصب : ما مقدار السلطات والصلاحيات الممنوحة للقائد .

ج- تنظيم الوظائف الوظيفية : أي مدى وضوح وتحديد الأهداف والواجبات والمسؤوليات (محددة أو غير محددة)[230] .

2- نظرية الطريق والهدف :

وتدرس هذه النظرية أنماط وسلوك القائد كالآتي :

أ- الأنماط التي من الممكن أن يسلكها القائد لتحقيق الأهداف .

ب- السلوك الموجه نحو الانجاز : تحديد معايير العمل وصولاً للهدف .

ج- السلوك المشارك ، أي إشراك الأفراد في اتخاذ القرارات .

د- السلوك التوجيهي ، إعطاء التعليمات للقيام بعمل ما بطريقة صحيحة .

هـ- السلوك المساند ، وهو الذي يهتم بالعلاقات الإنسانية[231] .

عشر صفات تختص بالقيادة[232] :-

1- إظهار الكفاءة من خلال إظهار القدرات الشخصية .

2- الرؤية المستقبلية من خلال التحفيز .

3- القدوة عن طريق ربط الأفعال بالقيم المشتركة .

4- الرؤية المشتركة مع الآخرين .

5- التجربة والمخاطرة من خلال التّعلم من الأخطاء .

6- اقتناص الفرص من خلال الإبداع والابتكار .

7- التعرّف على المساهمات المختلفة .

---

230 - مجموعة مؤلفين ، المصدر السابق ، ص 43 .

231 - المصدر نفسه ، ص 43 .

232 - المصدر نفسه ، ص44 ؛ إبراهيم الفقي ، المصدر السابق ، ص 20 -21 .

8- روح التعاون .

9- تحفيز الآخرين وإعطاءهم حرية التصرف .

10- الاحتفال بالنجاح .

التـغيـير

التغيير هو أحد سلوكيات القائد الناجح ، فهو (التغيير) حاجة مطلوبة على الدّوام ، إلاّ أن جل البشر يخشون التغيير ، ويريدون إبقاء الحال على ما هو عليه ، حتى وإن تمنى البعض التغيير وردَّدَ أنه يطمع في التغيير ، تجده أضعف الناس في اتخاذ قرار أو القيام بمبادرة إيجابية نحو التغيير للأفضل .

هنالك سبب هام ورئيس يجعل القائد يجنح إلى السكون وعدم التغيير، وهو الخوف من المجهول فربما كان القادم على غير ما يتوقع .

إن الطبيعة البشرية تحب السكون والهدوء والسكينة وتأبى التغيير وترفضه ، فالبشر يحب أن يسكن إلى المنطقة المسمّاة (منطقة الراحة والتبلّد) والتي توفر الهدوء والأمان ، رغم أن هذا الاعتقاد هو قتل للطموح والهمة . فالتغيير سنّة كونية فلا شيء يثبت على حاله فالكل يتبدّل ويتغيّر .

إن أحد العوامل الجوهرية المؤثرة في فعّالية القادة هو اتقاءهم للتغيير فالقائد الناجح هو الذي يبدأ التغيير ولا يتجنبه ، ويتعامل بمرونة كبيرة مع رياح التغيّرات التي تهب عليه ويكون قادراً على تعديل الشراع في مؤسسته ليتوافق مع مستجدات الحياة.

موانع التغيير :

هنالك خمسة موانع رئيسة تقف أمام رغبات القائد الذي يود التغيير وهي :-

<u>1- الشّك :</u> ونقصد به عدم إيمانه بالفوائد التي ستعود عليه من جرّاء التغيير .

2- الخوف من المخاطرة : يستلزم التغيير نوعاً من المخاطرة وارتياد أرض مجهولة والشخص المتردد نراه دائماً يستحضر كم الخسائر التي يمكن أن يجرّها عليه التغيير ، ولا يلتفت إلى قدر الخسائر التي ستحصل إذا لم يبدأ بالتغيير .

3-الروتين والتعوّد : إن الشخص الذي ظلَّ سنين عدّة يقوم بعمله بطريقة واحدة ورتيبة ، يجد صعوبة في تغيير هذا الروتين ، والعادات المتأصّلة تُعَد أصعب العقبات التي تقف أمام المرء الذي يرغب في التغيير .

4-الرهبة والخوف : ما لم يمنعنا الخوف عن اتخاذ الخطوات الفعّالة فلا بأس به ، فالخوف شعور طبيعي ، لكن أن يكون الخوف عاملاً مسيطراً على حياتنا ويمنعنا من اتخاذ خطوات التغيير المرجوة ، فهنا تكمن المشكلة .

5- الاعتراض الاجتماعي : كثير من القادة يوقفهم خوفهم من رفض المحيطين بهم لفكرة ما عن المضي قدماً نحو تحقيق هذه الفكرة ، فاستهجان المحيطين بنا لأمر ما يجعلنا في رهبة من طرح هذا الأمر ، والخوف من صيحات الاعتراض يمنعنا من عمل التغيير المطلوب .

إن الشيء الوحيد الثابت هو التغيير المستمر ، والتقدم مستحيل بدون تغيير ، وأولئك الذين لا يستطيعون تغيير عقولهم لا يستطيعون تغيير أي شيء"[233] .

[233] - د. عبد الحليم محمود السيد ، المصدر السابق ، ص 336 .

المبحث الثاني

القيادة الدينية وركائزها العامة

نتعرّض هنا إلى آراء مفكرين إسلاميين في موضوع القيادة الدينية حيث يعتقد أحدهم"[234] إن خط خلافة الإنسان على الأرض وُضِعَ إلى جانب خط القيادة الدينية المرجعية وهي تمثّل تدخل ربّاني من أجل صيانة الإنسان الخليفة من الانحراف وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة وهذا مردّه إلى معرفة الله المسبقة بضعف النفس البشرية وكثرة أهوائها وشهواتها ، وإذا تُرِكَ الإنسان والحال هذه يمارس دوره في الخلافة بدون توجيه وهدى كان خلقه عبثاً .

ويتمثل دور القيادة الدينية في ما يأتي :-

1- استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها .

2- الإشراف على ممارسة الإنسان لدوره في الخلافة .

3- التدخل لمقاومة الانحراف واتخاذ التدابير الممكنة .

فالقائد (المرجع) هو مرجع فكري وتشريعي من الناحية الإيديولوجية ويشرف على سير الجماعة وانسجامه إيديولوجياً مع الرسالة الربّانية التي يحملها ومسؤول عن التدخل لتعديل المسيرة أو إعادتها إلى طريقها الصحيح إذا واجه انحرافاً في مجال التطبيق"[235] .

إن على القائد أن يَلم بقضايا وهموم عصره ، إذ لا يمكن للشعب أن يقبل من قائده أن يقول إنني لا ابدي رأياً في القضايا السياسية . إن من خصوصيات القائد معرفة أساليب التعامل مع الخدع والتخريف الموجود في الثقافة الحاكمة على العالم ، وامتلاك البصيرة والنظرة الاقتصادية والعلم بكيفية التعامل مع اقتصاد العالم ومعرفة السياسات

---

[234] - محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، المصدر السابق ، ص 131 .

[235] - المصدر نفسه ، ص 133 .

والسياسيين وأساليبهم ، إذ لا يمكن عدم لقاء سياسي لسبب واه يعد فخراً بالوقت الذي يضيع مع عدم اللقاء حقوق الشعب وتُهْدَرُ الدماء بلا سبب"[236] .

إن القائد إذا استوعب هموم الأمة بمختلف طبقاتها مع إيمانه بقدرات الأمة، لا اعتماداً على قدراته، في صنع مصيرها الذي تريد ، إذا توفرت لها القيادة التي تبعث فيها روح الثورة والجهاد ، وتعيد ثقتها إلى نفسها ، مع توفر عنصر الإخلاص لدى القائد ، حينها سيكون على مقربة من النجاح وملامسة قلوب الشعب .

فعلى القائد أن يتّسم بالوعي والتحدي والوضوح وأن لا يأبه لما يتقول المتقوّلون ، كما أن عليه أن يرسم صورة المرجع الذي تحتاجه الأمة في مرحلتها التي تخوض أخطر التحديات من قبل أعداء الإسلام ، وهي صورة لم تكن موجودة في الزمن السابق"[237]

إن القائد مصلح ، وعليه أن يمتلك مشروعاً إصلاحياً كبيراً بصفة أساسية ، وأن لا يضعف عزمه ما دامت الرؤيا واضحة وإلاّ فكيف للأمة أن تلتف حول قائد وتعطيه الثقة والولاء وهي لم تجد فيه صفة القائد الواثق من نفسه ومشروعه ؟ .

كما نود أن نشير إلى أهمية اعتماد القائد على ذوي الاختصاص والاستعانة بهم ومشاورتهم وتقسيم الأعمال على لجان مختصّة لأن المسؤولية أكبر وأعقد من أن يستقل بها شخص واحد ، خصوصاً في العصر الحديث مع ما فيه من تعقيدات ، وكذلك دعمه ورعايته للعاملين في المؤسسات والمراكز والمشاريع"[238] .

---

[236] - حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ص 163 .

[237] - السيد محمد سعيد الحكيم ، المرجعية الدينية وقضايا أخرى ، دار الهلال ، العراق ، ط 5 ، 2010 ، ص 68 .

[238] - المصدر نفسه ، ص 68 .

يعتقد الباحث إن تناقضاً واضحاً موجوداً في أطروحات بعض مفكري الإسلام السياسي فالسيد محمد سعيد الحكيم يقول : (نحن لا نُنكر السلبيات للمرجعية الفردية ، الناشئة من عدم الضابط للتصدي للمرجعية ومن تعدد المرجعيات، وتباين وجهات النظر ، وعدم استفادة المرجعيات اللاحقة في كثير من الحالات مع إمكانيات المرجعيات السابقة ... ، إلاّ أن ذلك لا ينبغي أن يؤجج العاطفة نحو التغيير من دون موازنة بين البديلين)[239]. ويضيف المفكر الإسلامي إن المرجعية الفردية – مع ما فيها من سلبيات – قد أثبتت جدارتها هذه المدة الطويلة في قيادة التشيّع[240] . هذا مضافاً إلى رأيه في المرجعية المؤسسة ، يشكل تناقضاً واضحاً وعدم ثبات على رأي ، كذلك رأيه في حاشية المرجع التي لا بأس بأن تكون من الأولاد والأحفاد والأقارب ، فأين رأي الاختصاصيين الذي أورده سابقاً؟.

كما يرى السيد محمد سعيد الحكيم أن شروطاً لابد من توافرها في القيادة الدينية وهي:

1- المرتبة العالية من العدالة .

2- الاجتهاد ، وهو القدرة على أخذ الحكم من الأدلة الشرعية والفاقد لهذه القدرة جاهل لا يجوز الرجوع إليه .

3- الأعلمية .

4- الورع .

أما ما يتعرض إليه القائد المرجع من ضغوط فيمكن إدراجها بالآتي :-

1- الضغط النفسي عند اختيار الأحكام ....

2- ضغوط خارجة عن مقام الاستدلال . وهو ما يتعارض مع الواقع أو الحاكم .

---

239 - السيد محمد سعيد الحكيم ، المرجعية الدينية وقضايا أخرى، المصدر السابق ، ص 68 .

240 - المصدر نفسه ، ص 51 .

3- ضغوط كثرة الأموال وامتلاك الجاه"[241] .

أركان المؤسسة الدينية :

هناك أركان خمسة حسب رأي السيد محمد باقر الحكيم تلخص التشكيلات في نظام ونظرية المؤسسة الدينية وهي :-

1- المرجع . 2- مؤسسات المرجعية . 3- المؤسسات التخصصية المستقلة إدارياً عن جهاز المرجعية .4- المؤسسات العامة . 5- المؤسسات الخاصة"[242] .

مواصفات القائد الديني – السياسي :

أولاً : لا بد للقائد المرجع من مواصفات يتصف بها ليكون مؤهلاً للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، والمسؤولية العظيمة ، وبقدر ما يرتفع بهذه الصفات يكون أقدر على الارتفاع بهذه المهمة والقيام بها ، ويمكن تلخيص هذه المواصفات بالآتي :

1- الصفات الروحية والأخلاقية الحميدة ، من التقوى ، والعدالة ، والسلوك الأخلاقي الرفيع ، مثل : الزهد ، والتضحية بالمال والنفس ، وسعة الصدر ، والثقة بالله ، والصبر على المكاره ، وتحمّل الضغوط والآلام والمشاكل مع الاستقامة ، والشجاعة في التصدي ، واتخاذ القرار ، ورعاية كافة المؤمنين ، وحُسن المعاشرة لهم ، ومداراة الناس ... والحد الأدنى لهذه الصفة أن يكون ملتزماً بالحكم الشرعي ، ومستقيماً على جادة الشرع ، وأن يكون في السلوك بمستوى القدوة لعموم الناس"[243] 2- العلم بالدين والشريعة

---

[241] - المصدر السابق ، ص 26 .

[242] - محمد سعيد الحكيم، المصدر السابق، ص26 .

[243] - السيد محمد باقر الحكيم، المرجعية الدينية، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف ،العراق، ط1 ، 2005، ص238.

بمستوى الاجتهاد والقدرة على استنباط الحكم الشرعي وتطبيقاته على موضوعاته السياسية والاجتماعية .

3- الخبرة السياسية ، والقدرة على تحليل الأخبار والمعلومات .

4- التصدي الفعلي للعمل ، وبمقدار ما تفرضه حاجة العمل السياسي.

5- الالتزام المبدئي بالعقائد السياسية الأصيلة وتبنيها والدفاع عنها .

6- القدرة والسيطرة على النفس ، والانسجام في التحرك السياسي مع الضوابط والقواعد الإسلامية .

7- الحكمة في العمل والانسجام مع التحرّك العام للمسلمين"[244] .

لم يذكر السيد محمد باقر الحكيم (الأعلمية) كصفة رئيسية وهو هنا يموّه ويؤشر إلى أن القائد لا يجب أن يكون الأعلم وأن من الممكن الفصل بين القائد الديني السياسي والمرجع الديني واعتبارهما مؤسستين منفصلتين وهذا الرأي نابع من التأثر بولاية الفقيه في إيران كما أنه في رأيه هذا يتوافق مع رأي السيد السيستاني الذي سيأتي لاحقاً .

شروط المرجع القائد حسب رأي السيد السيستاني :

جاء في المسألة رقم (6) من منهاج الصالحين ما نصه :

(يجوز تقليد من اجتمعت فيه أمور : البلوغ ، والعقل ، والإيمان ، والذكورة ، والاجتهاد ، وطهارة المولد ، والضبط بالمقدار المُتعارَف ، والحياة فلا يجوز تقليد الميّت إبتداءً)[245].

[244] ـ السيد محمد باقر الحكيم ، المصدر السابق ، ص 240 .

[245] ـ السيد علي السيستاني ، منهاج الصالحين ، ج 1 ، مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي ، المسألة رقم (6) ، الكويت ، ط 1 ، 2001 ، ص 10 .

وتجدر الملاحظة هنا أن السيد السيستاني ابتعد عن أقرانه في مسألة الأعلمية التي كانت على رأس الشروط لدى الفقهاء السابقين ، نرى أن السيد السيستاني لم يول اهتماماً لرأي المجتهد الأعلم ، وهذا الرأي ابتعد كثيراً بالذات عن ولاية الفقيه المطلق .

وجاء في صفات الإمام (القائد) في تفسير النعماني عن علي بن ابي طالب ﴿ (وأما اللواتي في صفات ذاته فإنه يجب أن يكون أزهد الناس ، وأعلم الناس ، وأشجع الناس ، وأكرم الناس ... إلى أن قال : والثاني : أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه ، وضروب أحكامه ، وأمره ونهيه ، وجميع ما يحتاج إليه الناس ، فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم .. وإلى أن قال والخامس : العصمة من جميع الذنوب ... وإلى أن قال : وأما كونه أعلم الناس فإنه لو لم يكن عالماً لم يُؤمَنْ أن يقلب الأحكام والحدود ، ويختلف عليه القضايا المشكلة ، فلا يُجيب عنها بخلافها ...)[246] .

البنية الداخلية لقيادة المؤسسة الدينية (الحاشية) :

إن من الطبيعي جداً أن يحتاج الإنسان أثناء احتكاكه وتحركه ضمن دائرته الاجتماعية المحدودة إلى يد تبسط له بساط العون في انجاز الأعمال الملقاة على عاتقه ، فكيف الحال بالمرجع الذي لا حدود فعلية لدائرة تحرّكه الاجتماعي ، حيث تتسع المساحات التي ينبغي أن يملأها بما ينسجم والهدف الكامن من وراء تصديه .

ومن هنا نشأ إلى جانب المؤسسة الدينية لاحقاً بما صار يُعرف الآن بـ (الحاشية) والذي كان تشكيلها بادئ الأمر تشكلاً عفوياً بعيداً عن تحكّم المرجع نفسه واختياره .

فالحاشية عبارة عن مجموعة من الأشخاص القريبين من شخص المرجع تطفو تلقائياً بظهوره على الساحة ، وهم المساعدين والمستشارين والوكلاء للمرجع، وتُعنى

---

[246] - السيد كاظم الحائري ، المرجعية والقيادة ، دار البشير ، إيران ، 1427 هـ ، ص 203 .

بالقيام بالشؤون الإجرائية للمرجعية ، وغالباً ما تكون من أفراد أسرته وطلابه المقربين، وقبل اتساع رقعة العمل المرجعي"[247] .

إن التطور الذي حصل على صعيد كل دول العالم ومنها العالم الإسلامي ، لم يقابل بتطور البنية الداخلية لجهاز المرجعية كماً أو كيفاً ، من أجل موازاة عملية التطور والتوسع ، الأمر الذي أدى إلى إحداث فجوة زمنية بين المرجع والأمة ولا تزال هذه الفجوات تتراكم حتى أدى تراكمها إلى ظهور كل من المرجع والأمة على أنهما في عصرين وزمنين مختلفين مما أدى إلى صعوبة مهمة الإصلاح وسد الفجوة .

وعلى كل حال ، فبغض النظر عن منشأ المشكلات الآتية هل هي الحاشية أو جهة معينة أخرى ، فإنه يمكن تسجيل جملة منها :

1- عفوية الحاشية وافتقادها للتخصص :

وغالباً ما ينتج عن هذه العفوية تشكّل مجموعة من الأشخاص إلى جانب المرجع تعوزها الخبرة والتخصص لإدارة شؤون المرجعية فيسري هذا العجز إلى تنفيذ المهمات الملقاة على عاتق المرجع نفسه والتي تترقب الأمة تحققها . وينجم عن عدم وضوح رؤى الحاشية مسبقاً جملة من المشكلات التي تؤدي تدريجياً إلى ضياع الآمال المعقودة على مرجعية الأمة"[248] .

2- الطابع العائلي للحاشية :

بعد افتقاد الحاشية إلى التخصص والكفاءة في أكثر الأحيان اعتماد المرجعية - غالباً – على مبدأ (الوثاقة) فحسب ، كان من الطبيعي أن تتشكل إلى جانب المرجعية حاشية ذات

---

[247] ـ الشيخ أحمد أبو زيد ، المنهاج ، مجلة فصلية ، العدد 34 ، ط 2 ، 2004 ، ص 33 .

[248] ـ السيد محمد الغروي ، السيد الإمام الشهيد الصدر ، دار الهادي ، قم ، 1422 هـ ، ط 1 ، ص 338 .

طابع عائلي ورحمي ، وذلك لثقة المرجعية بأرحامها على أفضل تقدير أو جرياً مع الأمور ، وقرب الأرحام من المرجعية من الناحية الفعلية . وإن هذا التصرف يسلب سمة الموضوعية عن المرجعية ويجعلها في مرمى سهام الاتهام وعليه يجب منع أفراد العائلة من الدخول في الحاشية"[249] .

3- الاعتماد المطلق على الحاشية :

الاعتماد يؤدي إلى الثقة العمياء حتى بأخطاء الحاشية التي يؤدي أخطائها إلى التضحية بالأهداف الحقيقية للمرجعية ، ويعتقد السيد محمد باقر الصدر في هذه النقطة بالذات إنه لابد من نزع العقلية الأصولية حين الدخول إلى الساحة الاجتماعية والتعامل بعقلية اجتماعية مناسبة"[250] .

وعلى المرجع أن يؤمّن جهازاً معلوماتياً مستقلاً لا أن يحصر قنواته المعلوماتية بالحاشية ، فإن هذا خللٌ كبير لابد من تفاديه كما لا عصمة للحاشية .

4- الفراغ الإداري والعاطفي بين المرجعية وحاشيتها :

ضرورة إشراك الجهاز المرجعي في عملية إدارة المرجعية على أن تعقد اجتماعات أسبوعية لمناقشة هموم الأمة ولأجل الاشتراك في المسؤولية والابتعاد عن الفردانية في القرار ولعدم الوقوع في الزلل ، وعلى المرجع أن يحدد الهدف الذي يجب الوصول إليه مع جهازه وعليه أن يبذل لجهازه العاطفة الكافية ليضمن استمراره"[251] .

---

[249] - قام بذلك الإمام الخميني عندما منع ابنه أحمد من تسلم المسؤولية في الدولة ، راجع الشيخ أحمد أبو زيد ، المنهاج ، مجلة فصلية ، العدد 34 ، ط 5 ، 2004 ، ص 35 .

[250] - محمد باقر الصدر ، المحنة ، انتشارات ذو الفقار ، إيران ، قم ، 1983 ، ط 1 ، ص 73 - 74 .

[251] - الشيخ أحمد أبو زيد ، مجلة المنهاج ، المصدر السابق ، ص 38 .

5- عجز الحاشية :

أن المرجع وإن كان استثنائياً ، غير أن ابتلائه بحاشية لا تعيش الهموم التي يعيشها ، ولا تبصر في الأفق ما يبصره هو بطرفة عين ، ولا يمكن أن تكون ساعده الأيمن الذي يعتمد عليه في تحقيق الأهداف سيؤدي إلى تحديد دور الحاشية وبالتالي تحديد دور المرجعية ، ومن هنا كان على المرجع اختيار جهاز متميز يضم نخبة من العقول الواعية الذين عاشوا هموم العالم وقضاياه الفكرية وغيرها .

6- انعزال المرجعية وحاشيتها :

إن على المرجعية أن تقوم بالمبادرة وغزو الساحات العلمية والثقافية والاجتماعية على حدٍ سواء .. والحضور المرجعي حالياً يقتصر على الحوزة العلمية وحسب . ويكفي للدلالة على ضعف حضور المرجعية ، غياب أسماء الكثيرين عن العديد من الأوساط، بل قد لا يُحسِن الكثير من المقلدين تلفظ اسم مرجعهم ، ومنهم من لا يعرف عنه سوى اسمه أو صورة رآها له[252] .

يرى السيد محمد باقر الصدر في هذه النقطة أنه ضرورة دخول المرجعية إلى الكيان الجامعي وتشجيع ذوي القابليات من الأكاديميين على الدخول إلى الحوزة وتكفّل نفقاتهم[253] .

7- ظاهرة الألقاب :

إن مصدر الألقاب هم الحاشية لأنهم يؤمنون بالتمايز والتفاخر ، لذا نرى السيد محمد باقر الصدر قد أمر بنزع عبارة (سماحة آية الله العظمى) من على غلاف الفتاوى الواضحة[254] .

8- عدم تقديم الأهم على المهم :

---

[252] ـ السيد محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، المصدر السابق ، ص159 - 160 .

[253] ـ نفس المصدر ، ص 160 .

[254] ـ السيد محمد باقر الصدر ، سنوات المحنة ، المصدر السابق ، ص 72 .

من الملاحظ أن العاملين كثيراً ما لا يرتبون سلّم أهدافهم وأولوياتهم فلا يكون الانتصار حليفهم في صراعهم مع الزمن . وفي هذه النقطة بالذات نذكر أن أحد العلماء أراد أن يطبع كتاب بعنوان (مثالب العلماء) إلاّ أن السيد محمد باقر الصدر اعترض قائلاً (إن العلماء لن يفلحوا بعدها)[255] .

9- الانشغال بالصراعات الداخلية :

يقول الشهيد في محنته : تُصرف ثمانين بالمائة من قوانا وطاقاتنا بالمعارك داخل الإطار ، كان بالإمكان لو أننا نتحلى بأخلاقية الإنسان العامل – أعني بأخلاقية التضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة –[256] .

لابد من التنبيه أن السيد لم يكن يتحدث عن الحاشية على وجه الخصوص بل عن حالة الحوزة عموماً والحاشية معنية بذلك .

10- عدم التعامل بموضوعية مع المرجعية :

إن الحاشية تنظر إلى المرجعية نظرة شخصية إن صحّ التعبير وكأنها تغفل عن كون المرجع طريقاً إلى الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه المجتمع ، فالمرجعية ليست شخصاً، فهي سبيل لخدمة الإسلام ، والمرجعية ليس قبض الحق الشرعي وتوزيعه أو تدريس الفقه و أصوله ، بل المسؤولية الكبيرة التي يجب التفكير فيها هي إقامة حكم الله[257].

11- إلغاء مرجعية الآخرين :-

فبدلاً من عـد المرجعيات الأخرى مكملة أو عاملة في الإطار نفسه تقوم الحاشية بالعمل بسلبية واضحة تجاه المراجع الآخرين يصل إلى التهديد بالقتل ، فالحاشية تعد المراجع

---

[255] - الشيخ أحمد أبو زيد ، المصدر السابق ، ص 41 .

[256] - السيد محمد باقر الصدر «سنوات المحنة» المصدر السابق ، ص 74 .

[257] - السيد محمد الغروي ، المصدر السابق ، ص 299 .

الآخرين مزاحمين لمرجعهم ولذلك فهي تعمل على إلصاق التهم بالمراجع ومحاربتهم نفسياً وعبارات الشتم ومنع الدرس ومنع التقاء الطلبة بأستاذهم والكثير من هذه الأفعال نالها السيد محمد باقر الصدر أبان زعامة السيد أبو القاسم الخوئي"[258]

[258] ـ الشيخ أحمد أبو زيد ، المصدر السابق ، ص 41 .

المبحث الثالث

دور المؤسسة الدينية بعد 2003

يقترن 9 نيسان 2003 بذكرى دخول القوات الأمريكية وحلفائها إلى بغداد وسقوط نظام البعث الحاكم فيها ، حيث برز الدور الاستراتيجي للمؤسسة الدينية في العراق لاسيما مواقف السيد علي السيستاني في مدينة النجف الأشرف .. وإن السيد قد قام بانجازات ثلاثة مهمة كان قد مرَّ بها العراق كمحطات إستراتيجية وهي على الترتيب :-

أولاً : - منعه انجرار العراقيين في منزلق الحرب الأهلية والتي كادت أن تقع بسبب حرب الإرهاب التي شنها ولا زال التكفيريون على الشيعة بوجه خاص ، حيث القتل على الهوية والانتماء"[259] .

ثانياً :- دوره في توكيد الخيار الشعبي في بناء العراق الجديد من خلال إصراره على إجراء الانتخابات العامة ، لاختيار البرلمان العراقي ، ورفضه تأجيل الانتخابات واللجوء إلى التعيين لتشكيل البرلمان والحكومة"[260] .

ثالثاً :- الإصرار على كتابة الدستور العراقي من خلال لجنة منتخبة من العراقيين أنفسهم ، على أن تتم المصادقة على الدستور بصيغته النهائية عن طريق الاستفتاء الشعبي العام ، وهي المرّة الأولى التي يتم فيها تبني دستور دائم للبلاد في استفتاء حر وعام في تاريخ العراق المعاصر بل في تاريخ الدول العربية جميعاً"[261] .

---

[259] - حسين محمد علي الفاضلي ،الإمام السيستاني أمة في رجل ، مؤسسة البلاغ ،دار سلوني، لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 246 .

[260] - المصدر نفسه ، ص 246 .

[261] - المصدر نفسه ، ص 247 .

لقد أثبتت الأيام العصيبة التي مرّت على العراق ما بين 2003 – 2007 بأن المؤسسة الدينية قد لعبت الدور الإيجابي على وجه التحديد ، وهي الجهة الوحيدة في الساحة السياسية العراقية التي كانت تفكّر بعقلية الوحدة الوطنية الجامعة للعراق مع التعالي على الانتماءات الإثنية والمذهبية والقفز على الولاءات الحزبية والاتجاهات الفكرية .

لذا فإن العراقيين رأوا فيها أبان تلك المدة على التحديد كصمام أمان لصيانة الحقوق من العبث أو التجاوز ومن هنا حاز السيد السيستاني على ثقة الجميع ، ولذلك تجد السياسيين يذهبون إلى مدينة النجف الأشرف لغرض ملاقاة السيد والاستئناس برأيه وأخذ المشورة منه[262] كما شهدت الانتخابات لمجالس المحافظات أو البرلمان استخدام أسماء رجال الدين من العلماء الأموات والأحياء لغرض الدعاية الانتخابية .

إن الأحزاب الإسلامية بالتحديد هي التي هدفت إلى التأثير على الناخب العراقي من خلال استخدام الدين ورموزه في خدمة السياسة ولهذا السبب بالذات فإن طرق باب المرجعية من قبل ممثل الجامعة العربية أو مندوبي الأمم المتحدة وقادة الكتل السياسية العراقيين هو جر للدين باتجاه السياسة لذلك فإن التصريحات التي خرجت من مكتب السيد السيستاني كانت بناءً على تلك المواقف وغيرها[263] .

علاقة المؤسسة الدينية بالاحتلال الأمريكي :

صرّح السفير بول بريمر بأن :

1– (لا يزال العديد من الشيعة يشعرون بالغضب لأن الأمريكيين لم يتدخلوا لوقف

---

[262] ـ المصدر السابق ، ص 251 .

[263] ـ عمّار البغدادي ، المصدر السابق ، ص 104 .

المجزرة* . مع ذلك ، شجّع القادة الشيعة بما فيهم آية الله العظمى السيستاني أتباعهم على التعاون مع الائتلاف منذ التحرير ، ولا يمكن المخاطرة بفقدان تعاونهم)[264] .

2- وفي أعقاب التحرير على الفور ، أعلن آية الله عبر قنوات خاصة بأنه لن يجتمع مع أحد من الائتلاف .. وقد حلل (هيوم هوران) الوضع ببلاغة (لا يمكن أن يشاهد علنياً بأنه يتعاون مع القوى المحتلة)[265] .

3- إن آية الله يعتقد بأن تجنب الاتصال العام مع الائتلاف يتيح له أن يكون ذا فائدة أكبر في (مساعينا المشتركة)[266] .

4- اصطحبت وزير الخارجية (باول) إلى عشاء في منزل آية الله حسين الصدر أرفع رجل دين شيعي في بغداد .. وكنت أزور آية الله بانتظام وقد تأثرت بروحانيته كثيراً ... كنت أعرف أن حسين الصدر يقابل السيستاني كل أسبوع .. اقترحت عليه ربما يمكن انتقاء (المؤتمر الدستوري بطريقة ما من بين مختلف عناصر المجتمع بدلاً من انتخابه .. غير أن السيستاني لم يتزحزح عن موقفه)[267] .

وقد ادعى السفير بول بريمر بوجود رسائل متبادلة عبر الوسيط عماد أو غيره بينه وبين السيد السيستاني .

إلاّ أن مكتب السيد السيستاني ردَّ على جميع ما طرح السفير في كتابه فالسيد بحكم موقفه ومسؤوليته في رعاية الأمة كان ولا يزال يستقبل كافة الشّخصيات العراقية – السياسية

---

* يقصد الكاتب انتفاضة 1991 .

[264] - السفير بول بريمر ، عام قضيّته في العراق ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص 75 .

[265] - المصدر نفسه ، ص 213 .

[266] - المصدر نفسه ، ص 214 .

[267] - المصدر نفسه ، ص 215 .

والدينية والثقافية والعشائرية وغيرهم ويستمع إلى وجهات نظرهم واستفساراتهم ... وكان يُنقل إلى سماحته مواقف وآراء وتصوّرات سلطة الاحتلال وممثلها بريمر بتكليفٍ منه أو من تلقاء نفسه ، وكان سماحته يعلق على ما يسمعه منهم في كل القضايا التي لها مساس بالمصالح العليا للشعب العراقي .."[268] .

وعن اتفاق 15 تشرين الثاني / نوفمبر 2003 .

ردَّ السيد السيستاني متحفظاً على هذا الاتفاق كالآتي :-

1- إنها لا تبتني على إعداد قانون إدارة الدولة العراقية للمدة الانتقالية من مجلس الحكم بالاتفاق مع سلطة الاحتلال وهذا يضفي عليه الشرعية ... بل لا بدّ من عرضه على ممثلي الشعب العراقي لإقراره .

2- إن الآلية الواردة فيها لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي الانتقالي لا تضمن تشكيل مجلس يمثّل الشعب العراقي تمثيلاً حقيقياً فلابدّ من استبدالها بآلية أخرى تضمن ذلك وهي الانتخابات . وبالإمكان إجراء الانتخابات اعتماداً على البطاقة التموينية مع بعض الضمائم الأخرى"[269] .

ويبدو دور المؤسسة الدينية الشيعية واضحاً من الاحتلال من خلال توجيهها رسالة إلى الأمم المتحدة بعد سبعون يوماً على احتلال العراق .. فقد شاع في الأوساط السياسية رغبة سلطة الاحتلال تعيين أشخاص محددين لكتابة دستور العراق ، فاعترضت

---

[268] - حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد علي السيستاني في المسألة العراقية ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2007 ، ص 425 .

[269] - المصدر نفسه ، ص 426 - 427 .

المرجعية على هذا الأسلوب وطالبت بمجيء الأمم المتحدة لمساعدة الشعب العراقي لترتيب الأمور لإجراء الانتخابات[270] .

ورداً على سؤال من جريدة الاقتصاد اليابانية حول قدوم قوات يابانية إلى العراق في 28 ، جمادي الأولى 1424 هـ الموافق 28 / 7 / 2003 فكان الرأي : إن تم ذلك تحت مظلة الأمم المتحدة ولغرض توفير الظروف الملائمة لإجراء الانتخابات العامة[271].

ورداً على أسئلة لصحيفة (نوفيل أوبزرفاتر)الفرنسية في 29 / 8 / 2003 عن الوقت المناسب لمغادرة الأمريكان من العراق .

الجواب : لا مبرر لتواجدهم من الأساس ، ومع الحاجة لقوات أجنبية فلتكن تحت مظلة الأمم المتحدة .

وعلى سؤال : هل ترغبون أن تلعب فرنسا دوراً في بناء العراق وكذلك الأمم المتحدة ؟

الجواب : جيد وفق ما تُمليه مصلحة الشعب العراقي[272] .

كما إن المرجعية ترى إن الأمم المتحدة التي أقرّت الاحتلال ووفرت له الغطاء الدولي تتحمل مسؤولية كبيرة أمام الشعب العراقي ، وهي مطالبة بأداء فعّال في مساعدة العراقيين في الخروج من محنتهم والإشراف العام على العملية السياسية إلى حين الوصول إلى الوضع الدائم[273] .

270- المصدر السابق ، ص 36 .

271 - المصدر نفسه ، ص 43 .

272 - المصدر نفسه، ص 61 .

273 - المصدر نفسه ، ص ص96 ، 97 .

إن المرجعية الدينية بذلت جهوداً في سبيل عودة الأمم المتحدة إلى العراق لإشرافها على العملية السياسية وإجراء انتخابات عامة ، كانت تتوقع أن يُترك لممثلي الشعب العراقي حرية الرأي في إدارة البلاد وكتابة الدستور والاستفتاء عليه .

ولكن بعد إقرار ما يسمى بقانون الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية أصبحت الجمعية الوطنية مكبلة بقيود كثيرة لا تسمح لها باتخاذ ما تراه مطابقاً لمصلحة الشعب العراقي ، حيث أملى عليها مجلس غير منتخب ، هو مجلس الحكم وبالتنسيق مع سلطة الاحتلال قانوناً غريباً لإدارة الدولة في المرحلة الانتقالية ، كما أملى عليها – وهو الأخطر – مبادئ وأحكام وآليات معيّنة فيما يخص كتابة الدستور الدائم وإجراء الاستفتاء عليه"[274] .

إن هذا القانون لا يتمتع بتأييد الشعب العراقي فهو يصادر حق ممثلي الشعب العراقي ، وبذلك تفقد الانتخابات الكثير من معناها .

إن هذا القانون يعهد بمنصب الرئاسة في العراق إلى مجلس يُشكل من ثلاثة أشخاص سيكون أحدهم من الكرد والثاني من السنة العرب والثالث من الشيعة العرب ، يكرس الطائفية والعرقية في النظام السياسي للبلد ويعيق اتخاذ أي قرار في مجلس الرئاسة إلاّ بحصول حالة التوافق بين الأعضاء الثلاثة وهذا ما يعرّض البلاد إلى عدم الاستقرار وربما التجزئة والتقسيم"[275] .

علماً إن الأخضر الإبراهيمي ممثل الأمين العام للأمم المتحدة أتخذ مواقف لم تحظى بالشرعية كما إنها لم تمثل جميع شرائح المجتمع العراقي وقواه السياسية .

وحسب وجهة نظر الرجل الأول في المؤسسة الدينية السيد السيستاني فإن المسؤوليات مقسّمة ولا تقع على عاتق جهة أو شخص بعينه ، فالمسئول عن الأمن وتلبية الخدمات على

---

274 ـ المصدر السابق ، ص 260 .

275 ـ المصدر نفسه ، ص 260 - 261 .

كافة المستويات ، وتوفير الحياة الحرة الكريمة هي الدولة ، ومسؤولية المرجع هي التسديد والنصح والتنبيه ، كون المرجع يضطلع بمهام لها علاقة بالأمة وتطلعاتها المشروعة .

يقول السيد السيستاني (لا يصح أن يزج برجال الدين في الجوانب الإدارية والتنفيذية بل ينبغي أن يقتصر دورهم على التوجيه والإرشاد والإشراف على اللجان التي تتشكل لإدارة أمور المدينة وتوفير الأمن والخدمات للأهالي)[276] .

أمّا ما يخص طلبة العلوم الدينية فيقول (وظيفتهم في هذا الزمان كسائر الأزمنة – فيما يتعلق بالمجتمع هي السعي في ترويج الشرع الحنيف ونشر أحكامه وتعليم الجاهلين ونصح المؤمنين ووعظهم وإصلاح ذات بينهم ونحو ذلك مما يرجع إلى إصلاح دينهم وتكميل نفوسهم ولا شأن لهم بالأمور الإدارية ونحوها)[277] .

فالمؤسسة الدينية لا تصنع القرارات الحكومية وليست مسؤولة عن عملها أو أدائها ولا تضع برنامجاً اقتصادياً – اجتماعياً لها ، ولا تتدخل في التفاصيل والإجراءات الميدانية لسياستها[278] .

كما يرفض السيد السيستاني أن تنفرد أي جهة أو تيّار أو حزب أو ميليشيا مسلّحة علنية أو سرية ، بالدولة والقانون والثروة الوطنية ... كما يرفض احتكار القوة في حال آلت مسؤوليات الدولة إلى جهة سياسية بعينها .. وإن العراق بلد متعدد الأعراق والقوميات

---

[276] - عباس جعفر محمد الإمامي ، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث ، بيت العلم للنابهين ، بيروت ، ط 1 ، 2011 ، ص 321.

[277] - المصدر نفسه ، ص 321 .

[278] - عمّار البغدادي ، المصدر السابق ، ص 101 .

والأثنيات وإن الشعب العراقي هو الأحق بالتصرف بثروته .. وفق قواعد اجتماعية واقتصادية وقانونية تشرّع في هذا المجال"[279] .

لقد واجهت المؤسسة الدينية بعد سقوط النظام 2003 عدّة أطروحات تميّزت بالحدّة لها مساس بالثروة الوطنية وتوزيعها والموقف من الوحدة الوطنية وكون الشعب العراقي نسيج اجتماعي وطني واحد .

المسألة الأهم من ذلك هي إن الخشية كانت من إعادة فكر المراحل السابقة التي مرّت في تاريخ الشعب العراقي ، تلك المراحل التي سادها منطق التفرد والهيمنة والدكتاتورية والاستئصال وهو ما لم ينسجم مع طموحات العراقيين وآمالهم الوطنية الجديدة برؤية نظام سياسي وطني يعبّر عن أهدافهم في الخلاص والحرية وتوزيع الثروة بشكل عادل .

كما رفض السيد السيستاني منطق الميليشيات المسلحة التي تريد إعادة إنتاج احتكار القوة في الشارع في حال إقرار الفيدرالية وشدّد على مركزية الدولة باعتبارها السبيل الوحيد لإنعاش البلاد اقتصادياً واجتماعياً وتنموياً وأمنياً"[280] .

إن الإقرار بالانقسام الاجتماعي هو إقرار بالتفتيت وإخضاع البلاد إلى نزعات طائفية وعرقية وجهوية من أجل تكريس هويات جزئية بديلة ونقيضة للهوية الوطنية لذا كان من اللازم إحياء كل المقومات والركائز القادرة على إعادة الروح الوطنية وتكريس مفهوم الأمة الواحدة والخريطة الواحدة .

من هنا كان مشروع المصالحة الوطنية في محله من صراع الدولة المركزية الوطنية مع مواجهة التيارات التكفيرية وبقايا النظام السابق ، والتدخلات الإقليمية والدولية .

---

279 - المصدر السابق ، ص 101 .

280 - المصدر نفسه ، 103 .

كذلك الموقف من الميليشيات المسلحة وقرار الحكومة بسحب السلاح وتحديده بيد الأجهزة الأمنية الرسمية ، إنها دعوة شرعية وسياسية حقيقية لقيام دولة تمثل ألوان الطيف العراقي دون استثناء ، ودون الاعتماد على حكومات غير مركزية تضعف في حال احتكارها للقوة من إحساس المواطن بوجود دولة مركزية تمثلهُ .

الوطنية والمذهبية في الدور السياسي للمرجع الديني :

بعد 9 نيسان 2003 وبعد أن كانت المرجعية منهمكة في الدرس والتبليغ ، وعند حدوث فراغ سياسي وانقسام الشارع العراقي مع وجود الاحتلال التفت الساسة من الداخل والخارج وجمهور الشيعة ، إلى المرجعية ، كذلك ظهر لها أن لا مسوّغ لسكوتها وعدم تدخلها المباشر في السياسة .

ولعل ذلك أبرز إشكالية تبدو صعبة وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالمؤسسة الدينية الشيعية في العراق ، وهي التداخل بين الوطنية والمذهبية .

فهناك ببساطة من يحتج على تدخل مرجع من جنسية أخرى في الشأن العراقي ، لكن إذا ما أخذنا أهمية الدين فهمنا بيسر ما تعنيه أهمية المذاهب ، فليس هناك ما تصدّه أو تحجبه عروبة الإمام مالك بن أنس وقد قدم من شعوب ما وراء النهر (الهند) وكما الحال في سطوة علماء عرب لبنانيين داخل إيران في العهد الصفوي مثل الشيخ نور الدين علي عبد العال الكركي[281] .

ولكن السؤال يكمن في موضوعة التقليد الدينية سياسياً وهو كيف لمرجع ديني، همه التعامل مع الروايات والمسائل الفقهية أن يتمتع بقدرة توجيه سياسة البلاد ؟ مع العلم أن التعامل في الشأن السياسي بين المرجع والمقلدين يتم عبر التقليد ، مثله مثل الشأن العبادي

---

[281] - رشيد خيّون، الإسلام السياسي بالعراق، ج 1، المسبار، دبي، ط 2، 2012، ص 129.

مع ما فيه من خطورة في الشأن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، أي سيصل ممثلو الشعب إلى البرلمان عبر الفتوى أو الرأي الديني .

أما من الناحية الوطنية ، فالمرجعيات الدينية عادةً ، تذوب في المذهب ، والمكان الذي تتواجد فيه المرجعية ، إلاّ أن الظروف تتبدل وكذلك المواقف تتبدل وما أن حدث احتلال العراق عام 2003 حتى سقط الحاجز بين المرجعية والأتباع ، وانبرى السيد السيستاني كقائد ميداني ، وكما إنه دعم تشكيل الائتلاف الشيعي (الائتلاف العراقي الموحد) في انتخابات (2004 – 2005) وإعطاء الموافقات على تعيين الوزراء ، وما يتعلق بالدستور ، والعلاقة مع الأمريكان في عقد الاتفاقية أو رفضها ، و إن عند كل معضلة سياسية تنشأ في إدارة الدولة تجد السيد السيستاني مستقبلاً المسؤولين ، بطلبهم ، و أن كلمته هي القول الفصل في أدق الحوادث و أخطرها[282] .

أعطت مسألة تشكيل الائتلاف الشيعي مبرراً لتشكيل التوافق السّني ، ودخول الكرد ، من قبل الائتلاف ، بالتحالف الكردستاني وبذلك شيدت الدولة على أساس المحاصصة الطائفية ، والتي أعاقت تنفيذ القوانين وتحقيق العدالة ، وإعادة الإعمار ، وأصبحت حجر عثرة أمام تنفيذ القانون بحق المسيئين ، بسبب الحماية الطّائفية ، ونفهم إذاً، أن المرجعية أرادت أن يحكم العراق بالمحاصصة الطائفية فائتلاف شيعي لا بد أن يقابله ائتلاف سنّي ويدعم الائتلاف الكردي[283] .

يمكن متابعة الدور السياسي للمؤسسة الدينية من خلال ما صدر عن مرجعية السيد السيستاني ونشر على موقعها الالكتروني الرسمي ، وما نشره الشيخ حامد الخفاف ، الذي

---

[282] - المصدر السابق ، ص 133 . وللمزيد راجع حامد خفاف، المصدر السابق.

[283] - يورد السيد رشيد خيّون ، تفاصيل مهمة في هذا المجال ، راجع المصدر السابق ، ص 135 ، فما بعدها .

يصفه الإعلام بمدير مكتب السيد السيستاني ببيروت ، والناطق الرسمي باسم المرجعية في كتابه (النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية) ، وكان سبب إصدار الكتاب ، حسب مقدمة الخفاف ، هو : (تقديم آراء المرجعية الدينية العليا في العملية السياسية ، وفق ما صدر عنها مباشرة ، في محاولة لتوثيقها منهجياً من جهة ، ولتطويق حملة الافتراءات والتقولات على المرجعية الدينية من جهة أخرى ، التي تنسب لها من وقت إلى آخر تصريحات وبيانات كاذبة وظالمة تستهدف تشويه سمعتها)[284].

ويبدو أن غرض كتاب الخفاف كان دفاعياً ، بسبب اللغط الذي كثر حول دور المرجعية في العملية السياسية ، وعلى وجه التحديد دورها في التأسيس لإدارة الدولة عن طريق المحاصصة ، ودعم جماعات في الانتخابات أكثرت في الفساد ولم تعكس صورة جيدة في أذهان الناس ، ومنهم بطبيعة الحال أتباع المرجعية . لذا يأتي التعرض إلى المرجعية ليس على الظاهر من البيانات بل على ممارسة الحكم بمباركتها ، وهذا ما يُخشى تكراره في الانتخابات القادمة :

عموماً لولا هذا الظرف الحرج ، الذي وضع المرجعية الدينية في هذا الموقف لما كان لها التدخل في الشأن السياسي إلى هذا الحد ، الذي تعترض فيه على قضية أو تعلن تأييدها لأخرى .

ليس لنا التعرّض لمرجعية السيد السيستاني دون غيرها من المرجعيات لولا حضورها في مفاصل السياسة العراقية بقوة حسب مقتضيات الظرف الذي تواجهه ، من دون تبني حزب أو منظمة ، أما وجودها كدعاية انتخابية فيبدو إنه حُمّل أكثر مما يجب واستغلته الأحزاب والكيانات[285] .

---

284 - حامد الخفاف ، المصدر السابق ، ص 5 .

285 - رشيد خيّون ، المصدر السابق ، ص 140 .

وتجدر الإشارة إلى دور مستشاري السيد السيستاني في نقل الصورة السياسية وتقريبها وتقييمها للمرجع ، فكثيراً ما يشار إلى نجله محمد رضا ، وفي خضم الإعصار السياسي داخل العراق بالتدخل وحسابه حساب الولاءات ، ومحاولة المحافظة على مركز أو دور إشرافي ، على غرار ولاية الفقيه"[286] .

إن كل ما ذكر لا بد أن له انعكاساته على سمعة المرجعية الدينية بأسرها، تلك (المرجعية) التي من تقاليدها ألاّ يظهر المرجع خطيباً ، ولا يرى عبر مشهد إعلامي أو دعائي ، ذلك للمحافظة على هيبة المرجعية وإبقائها في أذهان الناس قوة روحية عليا تؤثر فيهم .

لكن من وراء حجاب !!! .

---

[286] ـ المصدر السابق ، ص 140 .

الخـــاتمة

ونحن نعيش اليوم في عالم تسوده مبادئ التخصص في جميع مجالات العلوم والمهن وعليه فليس من الصواب أن تزج المؤسسة الدينية (المرجعية) نفسها في مجال ليس مجالها وهي حتى اليوم لم تستطع أن ترتّق ثوبها .

فالتعددية المرجعية وانقسامها داخلياً وخارجياً وعدم اندماجها لم يأتي بنتاج إيجابي لصالحها ... فهي حتى اليوم لم تستطع أن تؤسس لنفسها مؤسسة تدار وفق مناهج إدارية معتمدة كي تنطلق إلى عالم الحداثة والاندماج والمقبولية ، فالعالم لا يرجع إلى الوراء ولا يثبت مكانه ولو لدقيقة واحدة ، وعليه ، فالمؤسسة الدينية رغم عدم تأسيسها .. إلا أن ما يصدر منها من أفعال ومواقف على مدى تأريخها يدل عليها ، إلا أن اختصاصها الفقهي يبقى هو المسيطر على صورتها في الواقع .

فلأجل أن يتبوأ الفقيه (رجل الدين) دوراً سياسياً فلابد من أن تتوفر فيه.شروط أبرزها :-

1- ثقافة سياسية واسعة :

أي إحاطة نظرية بالعلوم والنظريات السياسية والفكر السياسي وبكل معطيات المسألة السياسية .

2- المعاصرة السياسية :

أي معرفة رجل الدين السياسي بجميع أمور زمانه وإحاطة بالموضوعات والمسائل السياسية وملاحقة الحدث السياسي وتحليله والخروج بنتائج مؤثرة .

3- اهتماماً حقيقياً بأمور الرعية وشؤون الوطن وعدم دمج الموضوع الوطني بأممية المذهب فهنالك مصالح خاصة بالوطن وتحتاج إلى قرار ووقفة قيادية متحررة .

4- وعي سياسي من خلال فهم خلفيات الواقع الاجتماعي والسياسي والتحليل المعمق لحوادث التأريخ والقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة .

5- حكمة اجتماعية وسياسية في الممارسة والتطبيق والرعاية والولاية على المستوى الشرعي والقانوني .

6- مران وممارسة وخبرة اجتماعية وسياسية وتغليب مصلحة الوطن على مصلحة البلد المسلم الجار .

7- توضيح علاقتها بالأحزاب السياسية من حيث التمثيل ورؤى واضحة في الحداثة والديمقراطية .

8- استخدام لغة واضحة في الخطاب السياسي تختلف عن لغة الخطاب الديني المتعارف

9- الاعتراف والاعتماد على التخصصات الأخرى وإبداء الحاجة لها .

نحن نفتقد اليوم إلى دراسة موضوعية تاريخية وفقهية لموضوعة المرجعية ، لمعرفة أصل ثبوتها بصورتها التي ألفتها الأمة وحقيقة وسعة دورها الاجتماعي والسياسي ، فالمؤسسة الدينية لم يكن لديها اتصال بالنخبة الواعية بالمجتمع وبذلك فإن اتصالها ضعيف بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي وهذا ما ظهر أبان انتفاضة شعبان 1991 م . كما يركز رجال الدين بالمؤسسة الدينية في رؤاهم على الأصول الدينية في تعاملهم مع الواقع والسلطة والمجتمع والأحداث (وهذا ما يتعارض مع العمل السياسي) وإن كل نشاطاتها قد تأطّرت بهذا الإطار وحسب .

ولأن المؤسسة الدينية متعددة المراجع وغير متحدة في ذاتها وقيادتها .. فإنها قد مرّت بحالات من الانكفاء والانعزال أحياناً ، وصعوداً نشيطاً قوياً وواضحاً أحياناً أخرى.

كما مثلت دور المعارضة السلمية حتى في الوقت الذي كان زمام الأمور بيدها والشعب رهن إشارتها ، إلا إنها استطاعت إحداث تغيير في قدراتها السياسية وتغيير طرق وأساليب عملها وطرحها الفكري .

لم تستطع المؤسسة الدينية إحداث تغيير حقيقي في وعي المقلدين المؤمنين بها (لإتباعهم العاطفة في إتباعها) فقد تشظى هؤلاء المؤمنين إلى أقسام وحسب تشظي المرجعية نفسها (وهذا ما ظهر عام 1992 أبان مرجعية الصدر الثاني مع وجود مرجعيات أخرى) ولم تستطع أن تبني لنفسها مستوىً واحداً في وجودها وقيادتها ورؤاها السياسية على الأقل .

كما كانت المؤسسة الدينية الجهة الشرعية التي خرجت منها التنظيمات السياسية ، رغم أنها لا تشرعنها حقيقة ولا تمارس العمل الحزبي ، إلا أنها عملت في العمل السياسي المنظم الذي كان له دور في مقارعة النظام البعثي ، ولم تستطع المؤسسة من التأثير في طلبة الجامعات والأساتذة والموظفين الحكوميين ، إلا باستثناء المرجع السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد صادق الصدر .

أما الموقف من الديمقراطية ، فمن الناحية الفكرية لا تطابق في الاتجاه النظري – الفكري ، ولكن هنالك دعوة إلى دمقرطة الشعب من خلالها وبتوجيهه منها ، كما توضّح بعد عام 2003 فقد بدا تدخل المؤسسة واضحاً في رسم صورة الدستور العراقي وشكل النظام السياسي الموجود حالياً والمبني على الطائفية البحتة في كل شيء ... مما أظهر بعدين ، أحدهما ايجابي في لم شمل المختلفين والآخر سلبي حيث فرّطت المؤسسة الدينية الشيعية بحقوق الشيعة في الدستور والواقع القائم لشكل النظام السياسي .

ملخص الكتاب

المؤسسة الدينية هي أحدى مؤسسات الضبط الاجتماعي وهي عنصر فاعل في عملية التنشئة الاجتماعية و السياسية في العراق ألا أنها ورغم خصوصيتها في التدريس الديني وهو مجال اختصاصها و رغم استقلالها الاقتصادي فهي تتدخل بشكل أو بآخر في العمل السياسي عن طريق إنشاء أحزاب سياسية أو الخوض مباشرةً في العمل السياسي .

رغم عدم تخصص رجال الدين في أي اختصاص خارج العلوم الدينية وهذا التدخل المستمر نابع بصورة عكسية من قوة الدولة أو ضعفها فكلما ضعفت الدولة برز دور المؤسسة الدينية على الصعيد السياسي والخدمات الاجتماعية وخير مثال على ذلك فترة الحصار الاقتصادي الذي عاشه العراق ما بين عام 1990_2003 ولذلك حاولنا الخوض في استكشاف مشكلة (الدور السياسي) للمؤسسة الدينية .. فهي تنأى بنفسها عن التدخل في رسم سياسة الدولة أو التحزب في حين هي متحزبة أصلا وهي لا تؤمن بولاية الفقيه لكنها تحاول تطبيقها في العراق ...

فقد جعلت من نفسها راعية لكل شيء في العراق فهي تتدخل في الانتخابات المحلية والبرلمانية وكتابة الدستور واقتراح القوانين ونقد سياسة الحكومة الداخلية والخارجية وأن كل ما ذكرناه مضافا إلى أسباب أخرى هو الذي دفعني إلى دراسة هذا الموضوع بالذات دون غيره.

ولأن للبحث في مثل هذه المواضيع، أهمية فكرية وتاريخية فهو يتابع مفاصل عديدة لمدة زمنية محددة الخصائص والشخصيات التي ساهمت في إرساء قواعد المؤسسة الدينية.

هدف الكتاب إلى إبراز الحقائق وتسليط الضوء على أهداف المؤسسة الدينية ومجالات عملها وعلاقة المؤسسة الدينية بالمؤسسات الأخرى المدنية والحكومية كما حاولنا الإجابة عن أسئلة كثيرة أهمها :

1- ما هو وضع المؤسسة الدينية قياسا إلى المؤسسات الأخرى.

2- ما هي تداعيات التغيير والإصلاح في المؤسسة الدينية .

3-على ماذا تستند في ديمومتها فهناك أسئلة كثيرة يحاول البحث الإجابة عنها .

إن التركيز على الشخصيات المبحوثة يأتي من كونها تسنمت زعامة المؤسسة كل في حينه ولذلك فليس دراسة آرائهم الموجودة في متن الكتاب إلا استجلاء للحقيقة من امها ووجدنا أن جميع من درس تاريخ المرجعية أو الأدوار السياسية أو الاجتماعية للمرجعية قد اغفلوا دراسة عام 1990 إلى 2003.

أن ما يلاحظ على القرن العشرين، ان العراق كمركز للتشيع لم يلعب دورا مهما على المستوى الفكري – المذهبي في الساحة الاسلامية بالشكل الذي يتناسب مع مركزيته اذ بقي الحوار المذهبي –الفكري حوارا ثانويا وليس اساسيا في اهتمامات المؤسسة الدينية .وهذا ما لا يتناسب وحجم العراق ومركزيته في العالم الاسلامي.

ان مشكلة القيادة الدينية انها كانت شخصا لا مؤسسة وتعتمد على مستوى شخصية هذا الشخص قوة وضعفا وعلى سعة علمه ومبادراته وعلى الاشخاص المحيطين به ولم تفكر القيادة المرجعية الشخصانية بان تتحمل المسؤولية امام كل المتغيرات على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي وعلى مستوى التطورات التي انطلقت في العالم ولعل هذا الواقع يرجع الى ان المرجع هو نتاج الحوزة من جهة ونتاج الظروف المحيطة به والمؤثرات الداخلية التي تحكم ذهنيته.

إن تعددية المرجعية الدينية وانقسامها أفضت بالسلب على عمل المؤسسة الدينية وعلاقتها بالمجتمع العراقي فرجل الدين بعد عام 2003 حاول أن يزج نفسه في العمل السياسي رغم عدم توفر الشروط اللازمة فيه والتي منها .

1- حصوله على الثقافة السياسية .

2- كما ليس لديه معاصرة سياسية لأمور الدنيا وليس لديه تحليل سياسي فهو يحلل الأمور السياسية بطريقة فقهية.

3- كما برز موضوع المواطنة فقد اختفى النهج الوطني في حديث رجال الدين فهم يستخدمون لفظة المذهب أو الدين أو الإسلام بدل الوطن دائما.

4- كما أن المؤسسة الدينية لا تعتمد على التخصصات الأخرى مثل القانون والاقتصاد والسياسة وهي عماد الفكر والدولة .

ولأن المؤسسة الدينية متعددة المراجع وغير متحدة في ذاتها وقيادتها فإنها قد مرت بحالات من العزلة والصعود والنشاط كما قد مثلت دور المعارضة حتى في الوقت الذي كان زمام الأمور بيدها والشعب رهن إشارتها كما لم تستطع المؤسسة من إحداث تغيير حقيقي في وعي المقلدين المؤمنين بها .. فقد انقسم المقلدين حسب انقسام المرجعية نفسها هذا ظهر بالذات عام 1992 وقت ظهور المرجع محمد صادق الصدر.

تتعارض المؤسسة الدينية من الناحية الفكرية مع الديمقراطية كفكرة ومنهج وتعتبرها منهج غربي ، وهي تسعى من خلال توجيه أتباعها إلى ممارسة الديمقراطية من خلال الانتخابات وتحث على ذلك بقوة ، لا من باب التطابق مع الديمقراطية بل من باب مصلحة المذهب وهذا ما أدى فيما بعد إلى ردة فعل في مناطق غرب العراق في التعامل مع الانتخابات .

Abstract

We live in a world dominated by the principles of specialization in all fields of science, professions and it is not immerse greenhouses that religious institutions (religion reference) itself in its field which is not until today that you can not fearing its dress

Pluralism of religion reference and divided internally and externally and lack of integration did not come to a positive outcome in their favor ... It is to this day failed to establish the institution itself is managed in accordance with methods approved administrative order released to the world of modernity, integration and acceptability world is not due to the backward position does not prove, even for one minute, and therefore, religious establishment, although not established .. But what comes out of them on the actions and attitudes of its history the evidence, but the juristic competence remains the dominant image inreality: For the purpose assume that Al-Faqih (cleric) of a political role should be available in which the conditions including:-
1 - A broad political culture: a brief theory and theories of political science and political thought and political issue, with all data.
2 - Contemporary Political any knowledge of a political religion in all things, his time and to inform the issues and political issues and the prosecution of political event and analyze the results of moving in and out
3 - Genuine interest in parish matters and affairs of the nation and not to merge topic doctrine there are national interests of the country and especially need to reconsider the decision of the leading liberal

4 - Awareness of political backgrounds by understanding

the social and political reality and in-depth analysis of the incidents of history and social and political issues of contemporary
5 - social and political wisdom in the practice and application, care and state-level legal and legitimate
6 – skillfulness, practice and experience of social and political interests of the country and giving priority to the interests of the country's Muslim neighbor
7 - To clarify its relationship with political parties in terms of representation and a clear vision of modernity and democracy
8 - The use of clear language in its political letter differs from the language of religious discourse accepted
9 - To recognize and rely on other disciplines and show the need for them
We miss today to the objective study of historical and jurisprudential placed the religious authority to determine continued to proved, its image, which formed by the nation and the fact that the capacity of its social role and political religious establishment did not have contact elite-conscious society, so the contact is weak reality, social, political, cultural, and this is what emerged during the uprising of August 1991.

Religious clerics institution focus of in the religious visions of assets in their dealings with the reality and power, community and events (and this is contrary to the political action) and that all activities may form according to this framework.
And because the religious establishment, multiple references, is united in itself and its leadership .. It has gone through cases of sufficiency and isolation at times, and strong up an active and clear at times other

It also represented the role of the peaceful opposition, even in the time he was with her time of things and the

people under its reference, but it was able to bring about change in their political and change the ways and methods of work and put forward the intellectual.

It can not change the religious establishment in the consciousness of real people to follow (for their followers emotion) active its believers into sections and used by the cleric (and this appeared in 1992 during the second period of Al-Sadr) has not been able to build a single level and the political leadership, at least

As they were the party that emerged from the legislation and political organizations, although it does not sell party work, but it worked in politics when she was resistant to the Baath Party was unable to influence the religious establishment, university students, professors, government officials, but with the exception of Mr. Mohammed Baqir Al-Sadr and Mohammad Sadeq Al-Sadr

The intellectual aspect that does not match in the direction the theoretical - the intellectual, but calls for a democratic orientation also placed after the year 2003, intervened and put in the formulation of the policy of the Iraqi constitution and the formation of the current political system, based on sectarianism, which showed two dimensions, one positive in the reunification of the different and the other negative, where wastes Foundation Shiite political rights of the Shiites in the Constitution and the reality of the form of political system.

المصـــــادر

- القرآن الكريم

1. إبراهيم مدكور ، معجم علم الاجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، مصر ،1979 .

2. إبراهيم الفقي ، سحر القيادة ، الراية ، سورية ، ط بلا ، 2010.

3. أحمد عطية الله السعيد ، المعجم السياسي الحديث ، شركة بهجت المعرفة ، بغداد،(د.ت)

4. أياد محبوبة ، منهج الصدر الثاني في الإصلاح ، في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة السيد محمد الصدر : رجل الفكر والميدان ، إيران ، مطبعة الأمين ، 2001 .

5. أبو القاسم الموسوي الخوئي ، منهاج الصالحين ، العبادات ، م 1 ، باب الجهاد ، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي ، قم ، ط 31 ، 2004 .

6. بول بريمر ، عام قضيته في العراق ،.ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 .

7. توفيق الشاوي ، الشورى ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 .

8. جعفر السبحاني ، مفاهيم القرآن ، دراسة موسعة عن صيغة الحكومة الإسلامية وأركانها وخصائصها ، ج 2 ، مؤسسة الصادق ، قم ، ط 4 ، 1413هـ .

9. حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2007 .

10. حسن الصفار ، الحوار والانفتاح على الآخر ، دار الهادي ، بيروت ، ط 1 ، 2004.

11. حمزة الموسوي ، سطور ساخنة من وقائع الانتفاضة الشعبانية في النجف الأشرف ، كتاب الكتروني على الموقع الرسمي للانتفاضة الشعبانية http://www.intifaza.com

12. حسين بركة الشامي ، المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة ، دار السلام ، بغداد ، ط 3، 2006 .

13. حسين محمد على الفاضلي ، الإمام السيستاني ،أمة في رجل ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2011 .

14. حامد عبد السلام ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 4 ، 1977.

15. حسن عباس حسن ، الفكر السياسي الشيعي ، الأصول والمبادئ ، العالمية للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1988 .

16. خليل الشماع ود: خضير حمود ، نظرية المنظمة ، دار المسيرة ، عمّان ، الأردن ، ط 4 ، 2009 .

17. دوروين كارتريت وآخرون ، تنظيم وقيادة الجماعات ، ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى، مطابع الشعب، القاهرة، ط 1، 1965 0 .

18. رضا حدرج ، ظروف وأصول المرجعية الدينية ، مجلة الهدى ، السنة 13 ، العدد9 ، 1430 هـ .

19. رشيد الخيّون ، لاهوت السياسة دراسات عراقية ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 2009

20. رشيد الخيّون ، الإسلام السياسي بالعراق ، ج 1 ، المسبار ، دبي ، ط 2 ، 2012 .

21. صلاح مهدي علي الفضلي ، المرجعية الدينية ودورها الوطني ، مؤسسة مصر مرتضى ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 2010 .

22. صادق اطيمش ، دين السماء ودين الفقهاء ، المؤسسة اللبنانية للنشر ، بيروت ، ط2 ، 2010 .

23. صلاح مخيمر وعبدة ميخائيل ، المدخل إلى علم النفس الاجتماعي ، الإنجلو – مصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1968 .

24. صادق جعفر ، النهضة الصدرية ، شبهات وردود في لجنة إحياء الذكرى الأولى لشهادة السيد محمد الصدر ، رجل الفكر والميدان ، إيران ، مطبعة الأمين ، ط بلا ، 2001

25. عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف الأشرف ، النظام ومشاريع الإصلاح ، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ، العراق ، ط 1 ، 2004 .

26. عادل رؤوف ، محمد محمد صادق الصدر ، مرجعية الميدان ، المركز العراقي للإعلام والدراسات ، دمشق ، سوريا ، ط 8 ، 2005 .

27. عادل رؤوف ، العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية ، المركز العراقي للإعلام والدراسات ، دمشق ، سوريا ، ط 3 ، 2005 .

28. عباس جعفر محمد الإمامي ، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث ، بيت العلم للنابهين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2011 .

29. عباس الزيدي ، السفير الخامس ، ممثلية المرجع ، بيروت ، ط 1 ، 2001 .

30. عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، دار النهر للنشر ، بيروت ، ط بلا ، 1983 .

31. عبد العظيم الاسدي، قناديل العارفين، دار الهادي، النجف، ط 1 ،1426.

32. عبد اللطيف الحرز ، النقاء والارتقاء ، سلسلة غريب على الطريق ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2012 .

33. عمّار البغدادي ، مبادئ الدولة والقيادة ، البيّنة، عن مركز الهدى ، العدد 7 ، 2008.

34. علي محمد تركي ، رجل الدين و استراتيجية تحوّل الدولة ، حميد الهاشمي في h_hashimi@mailcty.com

35. علي السيستاني ، منهاج الصالحين ، ج 1 ، مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي ، الكويت ، ط 1 ، 2001 .

36. علي غالب ، المرجعية وأدوار أخرى ، كتاب الكتروني في مدونة الرشيد http://www.intifaza.com

37. علي شريعتي ، الآثار الكاملة – ج 4 و 5 ، دار الأمير ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .

38. عبد الكريم سروش ، الصراطات المستقيمة ، ترجمة أحمد القبانجي ، دار الفكر الجديد ، النجف ، العراق ، ط 2 ،(د.ت).

39. عبد الرحمن محمد عيسوي ، علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط بلا ،(د.ت).

40. عبد الحليم محمود السيد ، علم النفس الاجتماعي والإعلام ، ج 1 ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط بلا ، 1979 .

41. طلعت حسين رحيم ، علم النفس الاجتماعي المعاصر ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1981 .

42. فؤاد إفرام البستاني ، منجد الطالب ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط 22 ،1986 .

43. فالح عبد الجبار ، العمامة والأفندي ، سيسيولوجيا ، خطاب وحركات الاحتجاج الديني ، ترجمة أمجد حسين ، منشورات الجمل ، بيروت ، ط 1 ، 2010 .

44. فهمي هويدي ، فتاوى معاصرة ، المستقبل العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003.

45. السيد كمال الحيدري ، الفتاوى الفقهية ، العبادات ، دار المرتضى ، بيروت ، ط 3 ، 2010.

46. كاظم الحائري ، مباحث الأصول ، مركز الإعلام الإسلامي ، قم ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، 1977 .

47. كاظم الحائري ، المرجعية والقيادة ، دار البشير ، إيران ، ط 1 ، 1427 هـ.

48. الكليني الرازي ، الأصول في الكافي ، مجلد 1 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط3 ، 1388 هـ .

49. محمد دكير ، تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر من الاستبداد إلى ولاية الفقيه ، في كتاب المنهاج ، العدد 10 ، مركز الغدير للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 2001.

50. محمد دكير ، الدين والسياسة ، الغدير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003.

51. متعب مناف ، الدين والسياسة والعلمانية ، مركز المستقبل للدراسات والبحوث ، العراق ، ط 1 ، 2005 .

52. محمد علي محمد ، دراسات في علم الاجتماع ، دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1977 .

53. مصطفى جواد ، موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) ، ج 6 ، القسم الأول ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، 1987 .

54. محمد باقر الحكيم ، المرجعية الدينية ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، النجف ، العراق ، ط 1 ، 2005 .

55. محمد باقر الحكيم ، موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية ، أربعة أجزاء ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، النجف ، العراق ، ط 1 ، 2005 .

56. محمد باقر الصدر ، المحنة ، انتشارات ذو الفقار ، قم ، إيران ، ط 1 ، 1983.

57. محمد باقر الصدر ، الفتاوى الواضحة ، ج 1 ، دار البشير ، قم ، إيران ، ط1 ، 2012 .

58. محمد باقر الصدر ، الإسلام يقود الحياة ، دار التعارف ، بيروت ، 2003 .

59. محمد سعيد الحكيم ، المرجعية الدينية وقضايا أخرى ، ج 1 و ج 2 ، دار الهلال ، العراق ، ط 5 ، 2010 .

60. محمد الشيرازي ، شرح الصحيفة السجّادية ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط بلا ، 1967 .

61. محمد محمد صادق الصدر ، ما وراء الفقه ، ج 3 ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، قم ، إيران ، 1421 هـ .

62. محمد الغروي ، السيد الإمام الشهيد الصدر ، دار الهادي ، العراق ، ط1 ، 1422هـ.

63. حسين معتوق ، المرجعية والولاية كتاب الكتروني في
http://www.hawza.kw.org/2/2.html

64. محمد باقر الناصري ، ملاحظات حول دراسة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ، دراسات عراقية العدد/ 11 ، تشرين الأول 1999 .

65. محمد رضا المظفّر ، عقائد الإمامية ، مطبعة أفق ، قم ، ط 4 ، 1422 هـ .

66. محمد مجتهد ، الإسلام المعاصر والديمقراطية ، ثقافة التسامح ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، 2004 .

67. مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الإدارية الشاملة – القادة والمدراء ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، بيروت ، ط 1 ،(د.ت).

68. محمد حسين فضل الله ، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية ، تأليف سليم الحسني ، مطبعة صدر ، بيروت ، ط 1 ، 1993 .

69. محمد حسين فضل الله ، آراء في المرجعية الشيعية ، مركز الإمام الصادق ، مطبعة اليعسوب ، بيروت ، ط 6 ، بلا تاريخ .

70. محمد صادق محمد باقر بحر العلوم ، النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة ، دار الزهراء ، بيروت ، ط 1 ، 2009 .

71. محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد ، دار المعارف ، بيروت ، ط 1 ، 1983

72. محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتقليد ، مركز المعرفة ، بيروت ، ط بلا ، 1988 .

73. معن خليل عمر ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ، عمّان ، الأردن ، ط 2 ، 2006 .

74. مهدي فضل الله ، الشورى وطبيعة الحاكمية في الإسلام ، دار الأندلس ، بيروت ، ط1 ، 1984 .

75. مولود زايد الطبيب ، دور التنشئة السياسية في تنمية المجتمع ، المؤسسة العربية – الدولية ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 2001 .

76. وليد شهيب الحلي ، النجف : نظرة إلى واقع انتفاضة شعبان ، آذار ، 1991 م ، 1411 هـ ، كتاب الكتروني ، الموقع الرسمي للانتفاضة الشعبانية :

http://www.intifaza.com

77. هادي نسيرة ، نظريات السلطة ، صراع المفاهيم والرؤى ، في مدونة الرشيد :

http://www.intifaza.com

78. نخبة من الباحثين ، الصدر الثاني ، دراسة في فكره وجهاده ، لندن . بحث السيد حسين الشامي ، الصدر وقفة مع الدور التاريخي ، 2002 .

الصحف والمجلات :

1- مجلة المنهاج ، بحث الشيخ أحمد أبو زيد ، مجلة فصلية ، العدد 34 ، ط 2 ، .2004

2- مجلة الوسط ، العدد 116 في نيسان 1994 ، مقابلة مع السيد محمد صادق الصدر .

3- جريدة الجهاد ، آذار / 1999 ، مقابلة مع الشيخ أبي جعفر العراقي .

4- جريدة المواطن ، العدد 1579 ، 7 شباط / 2012 ، شهادات في الانتفاضة الشعبانية / القسم الأول .

5- صوت الدعوة ، نشرة خاصة بالدعاة ، العدد 44 ، محرم 1414 هـ .

6- جماعة العلماء المجاهدين في العراق ، العدد 2 ، نيسان / 1981 ، ابن النجف (اسم حركي) ، دور العلماء في قيادة الأمة .

7- رسالتنا ، مجلة العدد 1 ، رجب ، 2003 ، بحث كاظم الحائري ، في مسيرة شهيد الجمعة المظلوم محمد الصدر .

8- الفكر العربي ، معهد الإنماء العربي ، العدد 188 ، 1997 ، طلال الخالدي .

رسائل الماجستير والدكتوراه :

1- خالد حنتوش ساجت ، المؤسسة الدينية ودورها في المجتمع / حوزة النجف أنموذجاً ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاجتماع ، 2010 .

2- صلاح مهدي علي الفضلي ، السيد الشهيد محمد باقر الصدر وأثره في تاريخ العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العربي للدراسات العليا / بغداد ، 2005 .

المواقع الالكترونية :

1- http://www.alshirazi.com/
Compilations/administration/al_idara/chapter/2/pa
rt 4 .
2- http://www.alhakeem.net/arabic/mrg2/
3- http://www.alkatib.com.uk/dawlah.
4- http://www.hawza.kw.org/2/2.html.
5- http://www.intifaza.com
6- http://www.sistani.org.

Dr. Ali Sabeeh Altamimi

The Political Role of Religious Institution in Iraq 1990-2010



دار أمجد للنشر والتوزيع

جوال :
٠٠٩٦٢٧٩٦٩١٤٦٣٢
٠٠٩٦٢٧٩٩٢٩١٧٠٢
٠٠٩٦٢٧٩٦٨٠٣٦٧٠

هاتف :٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٢

فاكس:٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٢

dar.almajd@hotmail.com

dar.amjad2014dp@yahoo.com

عمان - الأردن - وسط البلد- مجمع الفحيص - الطابق الثالث

